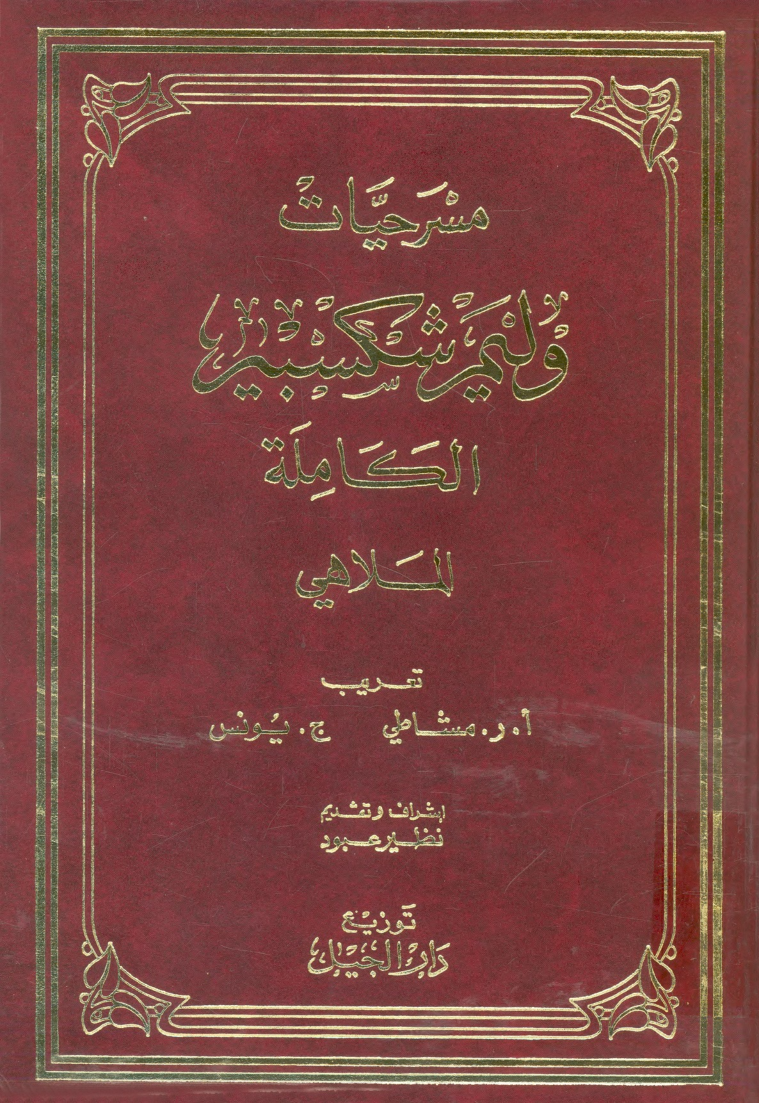

مسرحيات
وليم شكسبير
الكاملة
الملاهي
تعريب
أ. ر. مشاطي ج. يونس
إشراف وتقديم
نظير عبود
توزيع
دار الجيل

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

الملاهي

١

تعريب

أ. ر. مشاطي ج. يونس

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود
ص. ب: ٨٦ . ٨ - ١١ تلفون: ٩٣٦٧٧٢

دار نظير عبود

طبعة ثانية

١٩٩٧

ص . ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على:

صفحة



تعريف

وليم شكسبير
١٥٦٤ ـــ ١٦١٩

بقلم نظير عبود

كُتِبَ عن وليم شكسبير، أكثر مما كتبَ من روايات، لا بل أكثر مما مُثِّلَتْ رواياته.

ولكثرة ما كُتب فيه اصبح كالأسطورة بل كاد يصبح أسطورة.

منهم من شك في وجود رجل حقيقي يحمل هذا الاسم! وبعضهم انزله عن المستوى اللائق فاتهمه بكونه سكيراً، فاسقاً، مغتصباً النساء، الخ...

أما حقيقة ما يجب أن يقال عنه، أو عن كتابات هذا الفذ فتختصر بثلاث:

١ ـــ شاعر انقادت له ملكة الشعر غير مستجد القافية.

٢ ـــ أديب مبدع.

٣ ـــ انسان حكيم، متأمل، صوّر ما يحدث بلوحات كتابية فنيّة ولا أروع، كتب كابريال هارفي عن أحد العمال:

« إنه شاب لم يتعلّم في جامعة ولكنه يخجل اساتذتها الذين يتعلمون منه. هم يملكون الكتب والعمال يملكون المعرفة ».

هذا ما ينطبق على هذا الرجل مبدع الروائع المجلّي في كتابة السير التي كانت عبرة للبشر:

وتصفف روائع وليم شكسبير في طليعة ما تفخر به الانسانية. فأية مشاهد أشد ألماً من غيرة عطيل، وجنون الملك لير، ومناجاة هملت الكئيب، وأي سحر أكثر هولاً من مكبث، وأية واقعية أوفر قساوة من تاجر البندقية وأية

شاعرية اعظم من حلم ليلة صيف، وأي ضحك ابهج من مرح زوجات وندسور المرحات؟

ان هذا الرجل قد أحدث ثورة في عالم المسرح، ونفخ فيه حياة صاخبة

نتاج شكسبير ثروة بشرية لا تنضب.

ولست هنا لأعرض على القارىء شيئاً جديداً لم يطالعه عن حياة هذا العبقري أو عن أعماله، انما صدور مجموعة كاملة لأعماله بالعربية يستلزم مني مثل هذا التقديم .

ولد عبقري الأدب الانكليزي والذي يدعي الالمان أنهم أول من اكتشف أهمية أعماله بعد كتابتها بلغتها الأم ــ في ستراستفورد احدى قرى واركشير في انكلترا في ٢٣ نيسان ١٥٦٤ وقَبِل سر العماد في ٢٦ نيسان حسب سجل العماد المحفوظ في كنيسة القرية.

أبوه من عامة الناس اسمه يوحنا، وأمه ماري اردن من عائلة تفوق عائلة أبيه مقاماً. أول ابنائهما وليم بعد أن رزق بابنتين توفاهما الله قبل ولادة وليم وهما: حنة ١٥٥٨ ــ مرجريت ١٥٦٢.

ثم كان له ثلاثة أشقاء هم، جيلبرت، ريتشارد، وادموند. وشقيقتان حنة وآن.

توفيت والدته ١٦٠٨ بعد وفاة والده بست سنوات. واخوته لم يعمروا، ولم يخلفوه ولم يشتغل معه في التمثيل سوى جلبرت.

تعلمه

لا يعرف شيء عن تعلمه قبل انخراطه في مدرسة القرية، ولكن قد يكون تعلّم في البيت من امه وزوار أبيه بعدما صار والده آنذاك من المرموقين. وبعد أن عيّن محضّراً للجلسات ١٥٦٩ لمحكمة ستراسفورد.

ولما حان وقت قبوله في المدرسة، أي في الثامنة دخلها وقضى فيها

خمس سنوات وكان البرنامج مقرراً في جميع البلاد ومراقباً من أحد خريجي اوكسفورد؛ يتلقى التلميذ فيها أبسط مبادىء القراءة والحساب واللغة اللاتينية. ويقرأون فيها حكايات ايزوب ومختارات من شيشرون وفرجيل وهوراس ويحفظون نبذاً من كتابة البلغاء، كما كانوا يمثلون بعض مناظر بلوتس.

تركه المدرسة

ترك المدرسة بعد خمس سنوات من دخولها. ليساعد والده الذي حلّت به ضائقة مالية بعد ان كان من ذوي الرخاء وما وقوعه بتلك المحنة المالية الا نتيجة مغامرات تجارية كان يهدف من ورائها الى نيل الغنى والثروة، فعمل في تجارة الجلود، وصناعة القفازات، وتجارة الصوف ومبيع المحاصيل الزراعية كما تسلم وظائف عدة في القرية، غير أن الآمال لم تتحقق فأخفق الوالد في تجاراته ولم يحقّق الغنى المنشود.

لهذه الأسباب خرج من المدرسة ليساعد والده بعد أن خسر كل ما امتلكه وحتى منزلته بين الناس.

حلّت هذه الضائقة بالوالد، والولد في الثانية عشرة من عمره فترك المدرسة وعكف على مساعدة أبيه في صناعته وتجارته ورعي ماشيته.

حداثته

كان لتأخر حال والده تأثير كبير على حياته وقد اتصفت حداثته بشيء من الطيش ومنهم من قال أنه كان ينتمي الى جمعيةٍ جميع أفرادها يتباهون بالشرب.

بعد خروجه من المدرسة قيل انه علّم في مدرسة القرية كما قيل انه اشتغل في محل جزار.

القسم الثاني

زواجه

اقترن بـ (آن) كبرى بنات أبيها، من عائلة هانوي الريفية، وهي تكبره بثماني سنوات، أنجبا البنت الكبرى بعد ستة أشهر من زواجهما وهذا مما دعا إلى الشك في تاريخ القِران. وبعدها بسنتين ولد له توأمان سمي الذكر هامنت والأنثى جوديث.

منصفوه من الناقدين يقولون أن ميلاد ابنته بستة أشهر بعد زواجه لا يستند إليه لأنه قد يكون سجل القران متأخراً في السجلات الرسمية كما كان يحصل. ولأن القانون يجيز ذلك، أي بعد الاكليل الكنسي هناك مدة لتسجيلها مدنياً بينما مبغضوه يقولون انه استغواها وفُرض عليه الزواج منها ولا سيما لأنها تكبره بثماني سنوات، خاصةً بعد أن ألمح في رواياته، الى الزواج دون الفارق السني، وفي وصيّته إلى الأشياء الثمينة التي وهبها الى اصدقائه وأقاربه ولم يهب زوجته الا سريره الثاني. بينما خصّ ابنته وزوجها بالنصيب الأوفر.

أما محبّوه فيقولون ان وصيته هذه يبررها اعتباره ابنته وزوجها جديران بالثروة لتمكنهما من التمتع بملاذ الحياة ومباهجها أما زوجته فستملك حتماً بموجب القانون ثلث عقاره، وهذا يكفيها لأنها كانت في الستين عندما كتب وليم شكسبير وصيّته.

هجرته

بعد أن أنعم الله عليه بهذه العائلة، لم يعد يكفيه ما كان يدخله من اعانة والده في تجارته وزراعته لا سيما وحالة أبيه تتأزم، ووضع متجره

يتأخر وقد بدا أن والده سيخسر مرتّبه في وظائفه الحكومية، اذ كان يضطر الى التخلف عن هذه الوظائف لمتابعة أعماله.

ومنهم من يعلّل هجرته إلى لندن بالمحادثة التالية: ذهب ليصطاد الغزلان في مكان مسوّر « مصون » للسير توما لوسي، فساقه النواطير الى المحكمة فحكم عليه بالسجن يوماً واحداً.

لم يرق هذا الحكم له وقضى بالسجن ذلك النهار ينظم قصيدة يهجو فيها القاضي. ولما خرج من السجن وشاع خبر هذه القصيدة. استدعاه القاضي فخاف سوء المغبة وهرب الى لندن.

هاجر الى العاصمة ١٥٨٦ لأنه كان يعول اسرة عجز عن الانفاق عليها مما كان يوفّره له دَخله المحدود.

في لندن

فار من ستراستفورد القرية الى لندن العاصمة لم يجد ما يعمله الا الوقوف على باب المسارح يمسك الخيول لروّاد المسرح من الأغنياء.

ولكن من في نفسه الموهبة كالنبع المطمور ينتظر من يزيل عنه العوائق ليتفجر. وهكذا أزال هذا الرجل عن نفسه العوائق، وبسرعة تحوّل من سائس خيل خارج المسرح، إلى خادم في المسرح يتأمل ويحفظ الأدوار خلال خدمته، وما أن يصادف غياب أحد الممثّلين لسبب من الأسباب حتى يتقدّم هذا الرجل مندفعاً ليكون بديله موفّراً في ذلك على مدير المسرح الكثير من الحيرة والارتباك.

ولكنه لم يكتف بالتمثيل فنفسه المتأججة المتعطشة وموهبته المنفتحة دفعتاه إلى أن يؤلف ويمثل. وهنا أظهر مع براعته في التمثيل وفي التأليف، انه رجل أعمال أيضاً، فأخذ يشتري بما كان يقتصده من أرباحه أسهماً حتى بات مساهماً في المسرح الذي يعمل فيه.

ترك التمثيل بعد أن تبين له انه لم يكن يجيد التمثيل ولم تصل درجته في التمثيل الا لدرجة مقبولة.

اما في التأليف فظهر تفوقه فوراً.

والذي يتطلب منا وقفة ولو سريعة. هو حقبة من حياة شكسبير غامضة، وما دار حولها من اشاعات وأقاويل. وهذه الحقبة تبدأ بهروبه من قريته الى لندن وتستمر حتى ظهوره على المسرح أي من سنة ١٥٨٥ إلى ١٥٩١.

فقد انقطعت عن شكسبير الأخبار، وكثرت الأقاويل. فمن قائل يرى أن هروبه الى لندن كان فراراً من العقاب كما مر بنا. ومن قائل يرى ان انتقاله الى لندن كان لالتحاقه بفرقة من الممثلين الجوالة دفعها تجولها الى لندن فأتى معها دون علم أبيه.

ومن قائل يرى أنه ذهب في رحلة عسكرية.

وهناك من يزعم أنه زار بليموث، ومنها زار البلاد الايطالية ويدعم اصحاب هذا الرأي مذهبهم بالدقة التي يصف بها شكسبير البلاد الايطالية في رواياته وتمثلياته. وفي هذا الصدد يقول عباس محمود العقاد:

« ويذهب الأكثرون من اصحاب الأقاويل المختلفة من ملء فراغ هذه السنوات مذاهب من الظن والتخمين لا سند لها من الوقائع ولا من الشهادات المسلمة أو الوثائق المتفق عليها، وانما يأخذون فيها بالقرينة والاحتمال القريب قياساً على المعهود في أحوال العصر أو أحوال المترجم وأمثاله، وبعضها رجم بالظن لا يرجع الى شهادة عيان ولا الى شهادة سماع مقبول، وقد تكون القرينة في نفيه أقوى من القرينة في ترجيحه ».

اما جون سمارث فيقول :

كان يتردد الى جامعة اوكسفورد قبل زواجه ولم ينقطع عنها الا بعد الزواج.

وأخيراً قال الشاعر الناقد جون ماسفيلد :

كل هذا ليس بالبينة ولا بالرواية ولكنه تخمين جامح، وقد يقال مثله انه ارتقى عرشاً أو صار من قدماء الرومان أو عمل في صناعة النسيج أو افتتح حانة شراب، ولا فرق في السند بين ما قيل وما يقال على هـذا المثال .

لما ذهب الى لندن وبقيت زوجته في ستراسفورد، علّل الناس هذا العمل بسوء علاقته بزوجته. ونسوا ان معظم المهاجرين فعلوا ما فعل شكسبير.

ظهوره

بعد هذه الفترة التي قضاها في لندن، ظهر اسمه في عالم التمثيل ١٥٩١، اذ عمل في أكبر الفرق الـ (ايرل او ليستر).

بسرعة ارتفع شأنه ومنزلته وعزز مكانته الاجتماعية وحاز على لقب السيد وسجل اداء الرسوم لهذه الحلة في شهر تشرين الأول ١٩٥٦ واستعاد قسماً كبيراً من المقتنيات التي كان قد باعها والده بسبب الرهن أو العوز اذ استرد أولاً ما قبل الشارون رده. وعاد واقتنى املاكاً وبيوتاً غيرها.

عودته الى مسقط رأسه

في سنة ١٦١١ عاد الى مسقط رأسه نهائياً يقضي أيامه الأخيرة فيه ولكنه كان يتردد مرة كل سنة بزيارة لمسقط رأسه وأقاربه وبقي هناك الى أن ادركته الوفاة في الثالث والعشرين من شهر ابريل أي في نفس اليوم الذي ولد فيه من عام ١٦١٩.

وصيته

لما أحس بدنو أجله كتب وصيته والذين خصّهم بتلك الوصية:

زوجته

بنته سوزان (الكبرى)

جوديث (الصغرى)
حفيدته (اليصابات)
وبعض الهبات للفقراء والمعوزين من أقاربه وبعضها لمساعديه.

كتب كثيراً عن هذه الوصية قيل أنه لم يصب زوجته من تركته الا سريره الثاني منهم من قال ان لا غرابة في ذلك لأنه كان منكداً في عيشته البيتية وقد ورد عبارات كثيرة في رواياته تبين خطأ الزواج دون النظر الى الفارق السني كما مر معنا.

مؤلفاته

الملاهي

١ ــ العاصفة	The Tempest
٢ ــ سيدان من فيرونا	The Two Gentlemen of Verona
٣ ــ زوجات وندسور المرحات	The Merry Wives of Windsor
٤ ــ واحدة بواحدة	Measure for Measure
٥ ــ مهزلة الأغلاط	The Comedy of Errors
٦ ــ جعجعة دون طحن	Much ado about Nothing
٧ ــ عذاب الحب الضائع	Love's labour's lost
٨ ــ حلم ليلة صيف	Midsummer Night's Dream
٩ ــ تاجر البندقية	The Merchant of Venice
١٠ ــ كما تشاء	As You like it
١١ ــ ترويض الشرسة	The Taming of the Shrew
١٢ ــ العبرة بالنهاية	All's well that ends Well
١٣ ــ الليلة الثانية عشرة	Twelfth Night
١٤ ــ حكاية الشتاء	The Winter's Tale

المآسي

١ ـــ مأساة كريولينس	The Tragedy of Coriolanus
٢ ـــ تيتس أندرونيكس	Titus Andronicus
٣ ـــ روميو وجولييت	Romeo and Juliette
٤ ـــ تيمون الأثيني	Timon of Athens
٥ ـــ يوليوس قيصر	The Life and Death of Julius Caesar
٦ ـــ ماكبث	The Tragedy fo Macbeth
٧ ـــ هملت	The Tragedy of Hamlet
٨ ـــ الملك لير	King Lear
٩ ـــ عطيل	Othello, The Moor of Venice
١٠ ـــ أنتوني وكليوباترة	Anthony and Cleopater
١١ ـــ سمبلين	Cymbeline King of Britain

التاريخيات

١ ـــ الملك جون وموته	The life and Death of King John
٢ ـــ ريتشارد الثاني	The life and Death of Richard the second
٣ ـــ هنري الرابع: جزء أول	The First Part of King Henry the fourth
٤ ـــ هنري الرابع: جزء ثان	The Second Part of King Henry the fourth
٥ ـــ هنري الخامس	The Life of King Henry the Fifth
٦ ـــ هنري السادس: جزء أول	The First part of King Henry the sixth
٧ ـــ هنري السادس: جزء ثان	The Second par of King Henry the sixth
٨ ـــ هنري السادس: جزء ثالث	The Third part of King Henry the sixth
٩ ـــ ريتشارد الثالث	The Life and Death of Richard the third
١٠ ـــ هنري الثامن	The Life of King Henry the Eighth

العَاصِفَــة

تعــريــب

أ. ر. مشــاطي

أشخاص المسرحية

آلونزو	: ملك نابولي
سيبستيان	: اخوه
بروسبارو	: دوق ميلانو الشرعي
انطونيو	: اخوه دوق ميلانو المغتصب
فردينان	: ابن ملك نابولي
غنزالو	: مستشار عجوز مستقيم
أدريان فرنسيسكو	وجيهان
كليبان	: عبد شرس ومشوّه
ترنكولو	: مهرّج
استيفانو	: خادم سكّير
ربّان سفينة	
رئيس بحّارة	
ملاّحون	
ميراندا	: ابنة بروسبارو
أريال	: روح الأهوية
إيريس ساراس جينون	ارواح

عرائس بحر، وحصّادون.

الاحداث تجري في جزيرة مقفرة

الفصل الأول

المشهد الأول

رعود وبروق وصخب عاصفة. على متن سفينة في البحر.

(ربان ورئيس بحارة)

الربان : ايها الرئيس.

الرئيس : انا هنا ايها الربان، والحالة على ما يرام.

الربان : علينا ان نغير وجهتنا. فاعمل اللازم وكن يقظا، وإلا اصطدمنا بالشاطىء. عجلوا، عجلوا.

(يخرج ويدخل بعض الملاحين).

الرئيس : هيا، يا رجال، استبسلوا يا شجعان، استبسلوا وأسرعوا، اسرعوا. أنزلوا الاشرعة السفلى واتبعوا تعليمات صفّارة الربان. استجمعوا عزائمكم، وقاوموا الرياح لنبتعد عن الساحل الى عرض البحر.

(يدخل آلونزو وسيبستيان وأنطونيو وفرديناد وأتباعهم)

آلونزو : افتح عينيك يا رئيس البحارة. اين الربان؟ ارجوك ان تنادي الجميع.

الرئيس : انت ابق تحت، من فضلك.

آلونزو : اين الربان، يا رئيس البحارة؟

الرئيس : ألا تسمعه؟ انك تفسد علينا عملنا. الى حُجَركم. اما انتم فساعدونا للتغلب على الموج.

غنزالو : هدىء روعك، يا صديقي.
الرئيس : قل ذلك لهذه الامواج العاتية. ابتعدوا واحذروا اللجة المزمجرة. أتظنون ان هيبة الملك تخيفها؟ وأنت، هيا الى حجرتك. إلزم الصمت، ولا تعد الى ازعاجنا.
غنزالو : على كل حال ايها الشجاع، لا تنس من معك على متن السفينة.
الرئيس : لا احد يستحق التقدير اكثر مني. فأنت المستشار، وعليك ان تُسكت هذه العناصر، وأن تسكِّن غضب هذا الاعصار، ونحن من جهتنا لا نلمس اية حبال. أرنا قدرتك وسطوتك. وإلا، اشكر ربك على بقائك حيا حتى هذه الساعة. ترقب في حجرتك، وتحمَّل المزيد ان قدِّرت لنا النجاة. استبسلوا يا اصحاب. أكرر عليك ان تذهب من هنا.

(يخرج)

غنزالو :هذا الانسان يوحي اليّ بالثقة. وأعتقد بأنه لن يكون نصيبه الغرق ما دامت سحنته رهيبة كالجلاد المتحجر القلب. أوجد لنا حبلا متينا من القنب لعله يساعدنا على الخلاص من الهلاك، ان حالفنا الحظ، لان هذه الحبال تكاد تتقطع بين أيدينا. أما ان كنت قد ولدت لكي يحزّ حبل المشنقة على عنقك، فهذا داء لن تلاقي له دواء.

(يدخل الرئيس ويخرج الحاضرون)

الرئيس : شد الشراع السفلى بقوة وأنزله، أنزله حتى مستوى الشراع الكبير. (يسمع صراخ وضجة) ليحصدهم الطاعون مع صخبهم، فهم وحدهم يضجون اكثر من زمجرة الامواج وصخب انهماك البحارة.

(يعود سيبستيان وانطونيو وغنزالو)

انتم من جديد هنا؟ ماذا اتيتم تفعلون؟ هل يترتب علينا ان ندع كل شيء ينهار حتى نغرق؟ هل تنوون ان تغوروا في قعر اللجة؟
سيبستيان : ليخطفك الوباء ايها الفاسق المجدف، ايها الكلب الأجرب.
الرئيس : هيا تعال، ووسِّخ يديك مثلنا.
انطونيو : الى المشنقة ايها الحيوان القذر، يا ابن الزانية، الى المشنقة ايها النجس الوقح، فنحن لا نخشى الغرق نظيرك.

غنزالو : انا واثق بأنه لن يغرق، وان كانت هذه السفينة أقل صلابة من قشرة الجوزة، وان ارتمت في أحضان الماء كالمستهترة.
الرئيس : قاوموا الرياح بكل قواكم، وارفعوا الاشرعة السفلى. ثم توجهوا نحو عرض البحر.

(يدخل بعض الملاحين والمياه تسيل من ملابسهم)

الملاحون : كلنا هالكون. اركعوا وصلُّوا، فكلنا هالكون.
الرئيس : ماذا تقولون؟ هل استسلمتم الى الموت بهذه السرعة؟
غنزالو : الملك والأمراء جميعهم يتضرعون. تعالوا نضم اصواتنا الى دعائهم لان مصيرنا ليس افضل من مصيرهم.
سيبستيان : انا قد عيل صبري.
انطونيو : السكارى حطموا حياتنا. فهذا الاحمق الذي يتشدق بالسخافات لا بد للجَّة من ان تبتلعه فتخلصنا من شره.
غنزالو : انه يستحق الموت. فلتبتلعه الامواج الهائجة وهو واجم جاحظ العينين من الهلع.

(تحدث ضجة)

اصوات واجفة : الرحمة. نحن نغوص. وداعا يا زوجتي ويا اولادي. وداعا يا اخي. نحن نغوص، نحن نغرق.
انطونيو : لنذهب جميعا الى الملك كي نهلك معه.
سيبستيان : ونودعه.

(يخرجون)

غنزالو : انا أهب الف فرسخ من الامواج حالا مقابل فدان واحد من الارض. لكن، ما احلى الموت على الارض اليابسة.

(يخرج)

المشهد الثاني

الجزيرة. امام كوخ بروسبارو

(بروسبارو وميراندا)

ميراندا : اذا كنت، يا والدي الحبيب، قد أثرت بقدرتك هياج هذه المياه الطاغية، ارجوك ان تأمرها بالهدوء. لان السماء، كما يقال، تصب علينا نارها المحرقة، والبحر يصعِّد امواجه حتى تبلغ عنان الفضاء. ومع ذلك اراك عاجزا عن اطفاء اللهب. لقد تألمت مع من أبصرتهم يتعذبون في السفينة المترنحة التي تكاد تتحول الى حطام، وهي تحمل انسانا مثلك، آه! كم تعالت صيحات الذعر من أفواه المروّعين، وتجاوبت اصداؤها في قلبي من جراء محنتهم. لو كنت إلهة ولي سلطان لدفنت البحر برمته في بطن الارض، ولم ادع هذا المركب الرائع يغرق في أعماق اللجة الهائجة مع حمولتها الوافرة من النفوس الغالية.

بروسبارو : عودي الى رشدك، وطمئني فؤادك الشفوق. فالفاجعة لن تحل بنا.

ميراندا : تبًّا له من يوم اسود.

بروسبارو : لن يصيبنا اي اذى. اتكلي عليّ فأنا شديد الاهتمام بك يا بنيَّتي العزيزة، يا من لا تعرفين من انت ولا تدرين من اين انا اتيت، انا ابوك بروسبارو صاحب هذا الكوخ الحقير.

ميراندا : لم أشغل بالي ابدا بكشف النقاب عما لا ادركه.

بروسبارو : لقد حان الوقت لأطلعك على ما لا تعلمين. مدّي يدك وانزعي عني هذا المعطف السحري.

(يضع معطفه جانبا)

استريحي هنا، يا عزيزتي، وامسحي دمعك وتجلدي. فان مشهد هذا الغرق الهائل الذي يروعك له مغزى عويص. أجل، انا بكل حكمتي وتبصُّري قد امرت الانواء بأن لا تلحق أي ضرر بانسان، وأن لا تمس شعرة من رأس اي

مسافر على متن هذه السفينة التي يتصاعد منها العويل، وتكاد الامواج ان تبتلعها بمن فيها. اجلسي واصغي اليّ لأزيدك علما بما يحيط بك من غوامض.

ميراندا : لقد اوشكتَ مرارا ان تقولي لي من انا. ثم لُذت بالصمت وتركتني في حيرة من امري. وأنت تردد على مسمعي عبارتك: لا لم يحن الأوان بعد.

بروسبارو : الان قد حان الوقت، وأسألك أن تكوني آذانا صاغية. اطيعيني واسمعي بانتباه. هل تذكرين ايام لم نكن نحن من سكان هذا الكوخ؟ اني لأعجب ان كنت فعلا تذكرين، لان عمرك آنذاك لم يتعدَ الاعوام الثلاثة.

ميراندا : بل اذكر جيدا يا سيدي.

بروسبارو : ماذا تذكرين؟ أبيتا آخر ام شخصا آخر؟ وأية صورة تحفظين في مخيلتك، ان كنت ما زلت تذكرين شيئا من بقايا الماضي البعيد؟

ميراندا : أجل، الماضي اصبح الان بعيدا. لكني اذكره كحلم اكثر مما هو حقيقة. أذكر ان اربعا او خمسا من النساء كنّ يقمن بخدمتي.

بروسبارو : نعم يا ميراندا، وأكثر. واني لأعجب كيف لا تزال هذه التذكارات حية في ذهنك. فماذا تحفظين ايضا من صور الماضي ومن تقلبات الزمان؟ وفي هذه الحال، هل تذكرين من جاء بك، وكيف وصلتِ الى هنا؟

ميراندا : لا، ابدا.

بروسبارو : لقد مرت على ذلك اثنتا عشرة سنة. فوالدك دوق ميلانو كان اميرا قديرا جديرا بكل تبجيل.

ميراندا : أولست انت ابي، يا سيدي؟

بروسبارو : والدتك الفاضلة روت انك ابنتي، كما روت انك اميرة من سلالة عريقة، وأن والدك هو دوق ميلانو، وانك انت وريثته الوحيدة.

ميراندا : يا إلهي، اذاً هناك مؤامرة اجبرتنا على الرحيل. وعلينا ان نحمد الله على ما غمرنا به من نعمه.

بروسبارو : الامران جائزان، الامران معا، يا بنيَّتي. أجل نحن ضحية مؤامرة قذفت بنا ذات يوم الى المجهول. ثم قادتنا العناية الالهية الى هذه الشواطىء.

ميراندا : قلبي يتفطر عندما أفكر بالويلات التي حلت بك بسببي، بدون ان اذكر كيف. ارجوك ان تكمل لي شرحك.

بروسبارو : عمل المدعو انطونيو، مع انه اخي، كان انسانا عقوقا بالرغم من كل ما احطته به من محبة وتقدير. حتى اني كلفته بالسهر على شؤون دولتي. وكانت افضل امارة في هذه المنطقة. كما كان بروسبارو بجاهه ونفوذه من خيرة الحكام بما امتاز به من فطنة وعدالة. لكن ثقتي به لم تكن في محلها. ونظرا لانشغالي ببعض الدراسات. لم يتسن لي أن أعطي القوس باريها. فما كان من عمك الخائن الا... هل تصغين اليّ؟

ميراندا : لا يفوتني حرف مما تقوله، يا سيدي.

بروسبارو : فما كان منه الا ان أبعد أنصاري وبدّد محبيّ واستبدلهم على هواه بمن استمالهم اليه بطرق ملتوية، حتى دانت له كل مراكز القوة والنفوذ في امارتي. وعندما شدد قبضته على مقاليد الحكم... هل تسمعين جيدا؟

ميراندا : أجل، أجل، يا مولاي الكريم.

بروسبارو : ارجوك ان تنتبهي الى كل كلمة افوه بها. وبما اني لم اكن أهتم كما يجب بشؤوني الدنيوية، وقد انصرفت الى رياضتي الروحية وتنمية الفضائل في نفسي بالانزواء والانقطاع عن اباطيل الدنيا، هاجراً ما يميل اليه معظم الناس، فما كان من زهدي الا ان ولّد في صدر اخي غريزة الجشع الكريه وشجّعه غيابي على الانفراد بالحكم والحلول مكاني نهائيا كأنه من ألد اعدائي، مستبيحا ثقتي العمياء به. فاختلس أموالي فوق ما استأثر به مما خلعته عليه من سلطان، مستعينا بالكذب والخداع لايهام أتباعي بأنه اصبح هو الدوق الأصيل نظرا لما صرّفته فيه أثناء اختلائي، من قدرة على الحل والربط باسمي. وما كان لؤمه وانحطاطه الا ليزيدا طمعه يوما بعد يوم. أتسمعين؟

ميراندا : حديثك يشوقني الى معرفة النهاية، يا سيدي.

بروسبارو : ولكي لا يترك فاصلا بين الدور الذي يقوم به والسلطة التي منحته اياها، شاء ان يصبح الحاكم الوحيد في ميلانو. واذ كنت انا معتصما بمكتبتي الخاصة أرشف من ينابيع المعرفة، وأغترف من كنوز التقوى، كان هو يصمني بالتقصير والخنوع ويسعى الى محالفة ملك نابولي على ان يقاسمه الجزية ويشاركه في الامجاد ويخضع عرشي الى أطماع هذا الخصم الطاغية مقللا من شأن ميلانو، مطأطئا هامته امام عنفوان حاكم نابولي المستبد.

ميراندا : يا إلهي.
بروسبارو : اصغي جيدا الى حجته والى مجرى الاحداث، ثم احكمي ان كان يجوز ان اعتبر هذا الخائن اخي.
ميراندا : سأخطىء حتما ان شككت بأن جدتي الشريفة الاصيلة قد انجبت مثل هذا الابن العاق.

بروسبارو : ها هي حجته: ان ملك نابولي الذي عاداني طويلا، قد احتضن شقيقي الذي ألتمس منه الاعتبار والمساندة لقاء ما أجهل من الموجبات، لكي يستأصلني من الامارة ويجردني من أنصاري ويثبت اخي في سدة حكم ميلانو الجميلة، بينما انا صاحب الحق الوحيد فيها، معتمدا على طغمة من الخونة. ففتح انطونيو ابواب مدينة ميلانو على مصراعيها في ليلة ظلماء وحرّض أعوانه على اقصائي معك بسرعة وأنت دامعة العين.

ميراندا : ما أشقاني انا التي لم اعد اذكر كيف بكيت آنذاك، وعليّ ان أنتحب مجددا لان مجرد الافتكار بهذه الجناية البشعة يقرح أجفاني.
بروسبارو : اسمعي ايضا ما حل بنا بعدئذ من بؤس مرير، وإلا، لا يكون لروايتي اي معنى ولا مغزى.

ميراندا : لكن كيف تسنى لنا الخلاص من براثنهم ولم يقضوا علينا فورا؟
بروسبارو : اليك السبب يا بنيَّتي، وقد كنت أنتظر منك هذا السؤال. لم يجرؤوا على ذلك يا حبيبتي، خوفا من مغبة ما يكنه لي الشعب بكامله من محبة وتقدير. فامتنعوا عن تلويث أيديهم بدمائنا. غير انهم لم يتورعوا عن سومنا اقسى العذابات. فألقونا في قارب، وأبعدونا الى عرض البحر حيث كانوا قد أعدوا لنا مركبا نتنا مشؤوما، مجردا من الاشرعة، خاليا من المؤن، حتى الجرذان هربت منه بدافع غريزتها لصون حياتها، وأسلمونا الى جنون العاصفة وعنفها بدون رأفة ولا رجاء، آملين أن تنوب عنهم عناصر الطبيعة الغاضبة في ازهاق ارواحنا وازالتنا من عالم الوجود.

ميراندا : واأسفاه! كم كنت عبئا ثقيلا عليك؟
بروسبارو : كلا، كنت بالعكس، ولا تزالين ملاكي الحارس، تبسمين لي

بوداعة سماوية، بينما كنت أمسح عن محياك ملوحة ماء البحر، وأنوء تحت ثقل حملك وأنت تساندين شجاعتي لمجابهة ما تخبئه لنا الايام المقبلة.

ميراندا : وكيف وصلنا الى شاطىء الامان؟

بروسبارو : العناية الالهية حمتنا وأرشدتنا. اذ كان لدينا بعض الطعام وقليل من الماء العذب زودنا بهما وجيه شهم من نابولي يدعى غنزالو، استدرّ وضعنا التعيس عطفه بالرغم من كونه قد اصبح على رأس الادارة، فأمر لنا بملابس خارجية وداخلية وأمتعة اسعفتنا كثيرا في محنتنا. وفوق كل ذلك: نظرا لما يعرفه عني من حب المطالعة، أمر بتزويدي بعدة كتب أفضِّلها على امارتي كلها.

ميراندا : هل يتسنى لي ان ارى يوما هذا الرجل الكريم لأشكره؟

بروسبارو : لا أعلم، اذ لا يسعني الان الا ترقب خاتمة محاولاتنا وقد نجونا من البحر.

(يرتدي معطفه)

ووصلنا الى هذه الجزيرة، وأصبحت انا استاذك. فربيتك على أكمل وجه، لا يحسنه اي امير مهما تمتع به من مقدرة وحسن نية.

ميراندا : جزاك الله عني خيرا. ارجوك يا سيدي ان تتفضل بالاجابة على السؤال الذي ما فتىء يجول في خاطري، ألا وهو: ما الذي دفعك الى قبول مصارعة أنواء هذا البحر الغاشم؟

بروسبارو : اعلمي ان الحظ الاعمى، والغالي اليوم على قلبي، قد حالف اعدائي بصورة غريبة. وعلى هذا الشاطىء بالذات، انا واثق بأن الامور لن تلبث أن تنقلب يوما وتعود الى مجراها الطبيعي وترجع الينا غبطتنا وسعادتنا، فما علينا الا ان نترقب الفرج. وأسألك ان تتوقفي هنا عن طرح المزيد من الاسئلة، لقد ذبلت عيناك من طول السهر، وعليك ان تأخذي قسطا من النوم والراحة، لانك لن تقوي على المقاومة اكثر مما فعلت.

(ترقد ميراندا)

تعال، يا خادمي الامين، تعال. فأنا الان على أتم الاستعداد. اقترب مني يا أريال، هيا اقترب.

(يدخل أريال)

أريال : عليك السلام ايها المعلم الكريم، عليك السلام ايها السيد المطاع. ها انا ذا بين يديك وتحت امرك، وجاهز لكي اطير وأسبح وأقتحم لهيب النار، وأجري على صهوة حصاني فوق الغمام. اصدر اوامرك فيخضع لمشيئتك السنية أريال نظرا لما امتاز به دوما من الامتثال.

بروسبارو : هل اكملت اثارة العاصفة ايها الروح كما طلبت منك؟

اريال : نفذت اوامرك بحذافيرها. فجابهت سفينة الملك تارة في المقدمة وطورا على متنها حتى في جميع حجراتها ثم في مؤخرتها. فنشرت الذعر والرعب، وأنا أجتاز المفارق، زرعت النار في عدة أمكنة وفي الأشرعة وفي مختلف الصواري، فاشتعلت وأصبحت كتلة من اللهب كأن رعود السماء وبروقها انقضّت على السفينة لتبيدها. فأتى الحريق على كل ما اعترض سبيله، كأن إله البحر نبتون العظيم، وهو يشهر شوكته الرهيبة، قد هاجم بأمواجه اللجبة المدمرة هذه السفينة التي تتراقص على شفير الفناء.

بروسبارو : يا روحي الشجاع، هل وجدت في هذا الصخب الجهنمي شخصا واحدا حافظ على هدوء أعصابه؟

اريال : لا احد، تحت وطأة هذيان هذه الحمى، استطاع ان يسيطر على أعصابه. فما عدا الملاحين ارتمى الجميع الى البحر المزبد هاربين تاركين السفينة تنعي من بناها. ولقد وقف شعر رأس فردينان ابن الملك من الهول حتى بدا كالقصبة المرضوضة في مهب الريح، وكان اول من القوا بأنفسهم الى اليمّ صارخا: لقد هجر الجحيم جميع اهله، وها هم كل الأبالسة يتراقصون أمامنا.

بروسبارو : نعم، نعم. انت الان حاضر بجوارنا قرب الشاطىء الامين، أليس كذلك؟

اريال : انا دائما بجانبك، يا سيدي.

بروسبارو : ولكن، يا اريال، هل الجميع سالمون؟

اريال : لم تسقط من رؤوسهم شعرة، وليس على ثيابهم اية بقعة او خدش، بل هم مرتاحون اكثر مما اوصيتني به. وقد فرّقتهم جماعات صغيرة في انحاء الجزيرة. اما ابن الملك، فوحده ارتمى على الحصى من شدة الاعياء. فتركته

يستريح ويستجمع قواه في زاوية نائية من الشاطىء، حيث جلس ويداه مضمومتان الى صدره هكذا.

بروسبارو : وماذا فعلت بسفينة الملك وبالبحارة وببقية الاسطول؟

اريال : كلهم في أمان يا مولاي. وسفينة الملك راسية في فجوة خفية حيث استدعيتني سابقا عند منتصف الليل للانتعاش برطوبة الندى في مؤخرة الجزيرة الرائعة. هناك يجتمع الملاحون تحت نافذة سقف السفينة متمددين، وقد أنهكهم التعب جميعا فتركتهم يهجعون. اما سائر قطع الاسطول التي كنت قد بددتها بسبب عدائها، فجمعتها ثانية فوق امواج البحر المتوسط لتتجه نحو نابولي مطمئنة الى رؤية مركب الملك يغوص في أعماق البحر وفي داخله شخصه المنبوذ يهلك.

بروسبارو : لقد قمت بمهمتك خير قيام. انما بقي امر واحد: قل لي في اية ساعة نحن الان حسب موقع الشمس.

اريال : بعد الظهر، يا مولاي.

بروسبارو : (ينظر الى الشمس): أجل، بمقدار مرملتين، ومن الان حتى الساعة السادسة ليس امامنا لحظة واحدة نضيعها.

اريال : هل هناك من عمل ايضا؟ انت لا تريحني مطلقا. عليك ان تتذكر ما وعدتني به. فأنا لا ازال أنتظر وفاءه.

بروسبارو : اراك قد اصبحت صاحب نكتة، يا اريال. فماذا تريد مني؟

اريال : حريتي.

بروسبارو : ليس قبل ان يحين الاوان. كفاك ثرثرة.

اريال : ارجوك ان تتذكر انني خدمتك بصدق وأمانة. ولم اكذب عليك بتاتا، ولم أرتكب حماقة في خدمتك، ولم أتململ، ولم أشكُ. وأنت قطعت لي عهدا بأن تطلق سراحي بعد سنة.

بروسبارو : هل نسيت من اية ورطة انتشلتك؟

اريال : كلا، كلا.

بروسبارو : بلى، بما انك تضج لكوني انقذتك من أعماق المياه المالحة، تريد

ان تسابق ريح الشمال وترحل عني نهائيا الى اقاصي الارض التي اخمدت نارها شدة الصقيع.

اريال : ابدا، يا سيدي.

بروسبارو : انت منافق ايها العبد الذميم. هل نسيت الساحرة القبيحة سيكوراكس التي احنت ظهرها الشيخوخة، وكبلتها الخباثة بطوق من حديد؟ قل لي هل نسيت؟

اريال : كلا، يا مولاي.

بروسبارو : بلى، نسيت، هيا قل لي من اين اتيت؟ قل لي.

اريال : من مدينة الجزر، يا مولاي.

بروسبارو : هل انت واثق من ذلك؟ يجب عليّ ان أذكرك على الدوام بما كنت عليه، لانك تنسى ان هذه الساحرة اللعينة سيكوراكس، أبعدت العدالة البشرية عن الجزر كما تعلم، بسبب رذائلها العديدة التي تقتل لشدة هولها. وبالرغم من ذنوب شتى لم تتورع عن اقترافها، لم يحكم عليها بالموت. هل هذا صحيح؟

اريال : أجل يا سيدي.

بروسبارو : ان مصّاصة الدماء هذه ذات العينين الجاحظتين اقتيدت الى هنا وهي حبلى، فما لبث الملاحون ان هجروها. وأنت يا عبدي المشتاق اليها اصبحت خادمها، انت الروح الخفيف الظل لبَّيت اوامرها الارضية المنحطّة وصممت أذنيك حيال تعنيفها المرهق فاحتجزتك بمساعدة أتباعها الاقوياء. وأوثقتك الى صنوبرة هرمة وحبستك ضمن شق فيها مدة اثنتي عشرة سنة. واذ ماتت في هذه الاثناء مكثت هناك تجعجع كحجر الرحى في دورانه، تتألم وتتنهد باستمرار في تلك الجزيرة النائية. اما ولدها الذي انجبته فكان مرقّطا كالوحش الضاري على صورة امه الساحرة السافلة، وبعيدا بعد السماء عن الارض عن كل ما يمتّ الى هيئة الانسان بصلة.

اريال : هل تعني ابنها كليبان؟

بروسبارو : لقد قلت هذا الان يا عديم الذكاء والوفاء. أجل، كليبان الذي أستخدمه اليوم. وأنت تعلم اكثر من سواك كم عانيت من الاهوال بسببه. ان

صراخك حرّض الذئاب على العواء المتواصل، فاخترق القلوب كالسهام وزادها نفورا. اما هذا العذاب الاليم فلا تقوى سيكوراكس ذاتها على تسكينه. وها انا قد رأفت بحالك عندما جئت، وفهمت شكواك ففتحت لك شق الصنوبرة لأخلصك.

اريال : انا لك من الشاكرين، يا معلمي الكريم.

بروسبارو : ثرثر ما شئت يا غبي. كان عليّ أن لا اضع اسفينا في الشق لكي ادعك تعوي في داخله مدة اثني عشر شتاء.

اريال : عفوك، يا معلمي. سأطيع اوامرك وأظل امينا في خدمتك التي اجد نيرها خفيفا.

بروسبارو : وأنا بعد يومين سأفك أسرك.

اريال : يا معلمي النبيل، ماذا يجب عليّ ان افعل؟ قل لي ماذا يجب عليّ ان افعل؟

بروسبارو : تصرّف كعرائس البحر، ولا تهتم بسواي كأنك لا ترى احدا غيري. هيا عد الى رشدك واستعد لكل طارىء وانشط ولا تكن خاملا.

(يخرج أريال)

استيقظ يا فؤادي، استيقظ. فقد طال سباتك العميق، استيقظ.

ميراندا : ان غرابة قصتنا أورثتني الوجوم.

بروسبارو : علينا ان نظل حذرين. سنذهب ونزور كليبان صاحب التذمر والاحتجاج المستمر.

ميراندا : تباً له من مخلوق خبيث تزعجني رؤيته.

بروسبارو : لا سبيل الى نكران ذلك. لكننا بحاجة اليه، فهو يضرم النار في موقدتنا ويحتطب لنا ويخدمنا بقدر المستطاع. ايها العبد الخسيس كليبان، يا قطعة من الجماد، هلا رددت عليّ.

كليبان (من جحره) : لقد جمّعت الحطب، فماذا تريد مني بعد؟

بروسبارو : تعال الى هنا، فلديّ عمل آخر أكلفك به. تقدم يا شبيه السلحفاة.

(يظهر أريال بهيئة عروس البحر)

ما احلى سحنتك يا اريال الغريب الاطوار! اقترب لأسرّ كلمة في أذنك!
اريال : لقد قضي الامر يا مولاي.

(يخرج)

بروسبارو : أيها العبد الخبيث، سليل الشيطان وربيب النجاسة، هيا أخرج.

(يظهر كليبان)

كليبان : ما اسوأ حظي الذي يشبه سواد الغراب! لقد جمعت امي بقايا الحبوب من حول المستنقع الآسن. فهبت عليها الرياح الجنوبية الشرقية وكست جسمها بالبثور الكريهة.

بروسبارو : لاجل هذا، كن على يقين بأنك ستصاب اليوم مساء بتشنجات عصبية تقطع أنفاسك وتغرز ابر القنافذ في جلدك وتمعن طوال الليل في تعذيبك حتى تعم الثقوب بدنك نظير شهد العسل الذي ينتجه النحل الدؤوب.

كليبان : انا لم أسترح بعد. لقد ورثت هده الجزيرة عن والدتي سيكوراكس، فاغتصبتها انت مني عندما قدمت الى هذه الربوع. لذلك رفهتني لتموِّه عليّ الحقيقة، وسقيتني الماء بعد ان نقعت ثمر البلوط فيه، وعدّدت لي اسماء النجوم الكبيرة والصغيرة كطلسم شمل الليل والنهار. فأحببتك وأريتك فضائل هذه الجزيرة ذات الينابيع العذبة والآبار المالحة والاراضي الرطبة والقفار الجرداء. لتنزل عليك اللعنة بواسطة سحر سيكوراكس على شكل ضفادع وخنافس ووطاويط. انا أتنصَّل منكم، وعندما استعيد وعيي تحجزني انت داخل الصخر لتجردني من هذه الجزيرة.

بروسبارو : انك لا تعرف غير الكذب ايها العبد اللئيم، ولا تستحق المعاملة الحسنة بل الجلد بالسياط، كما كنت افعل بك سابقا، لانك نجس كوحل المستنقع. لقد آويتك بانسانية في كوخي، لكنك لدناءة طبعك اختطفت حياة ولدي.

كليبان : لا، لا. لو لم تعترض سبيلي لكنت جعلت هذه الجزيرة آهلة بذريتي.

ميراندا : تباً لك من عبد ذميم، لا تحفظ العهد ولا ترعى الذمم، ولا يردعك رادع عن اقتراف الموبقات. لقد اشفقت عليك وسعيت لمنحك حرية الكلام، فاذا بك تتشامخ عليّ كل يوم بطريقة جديدة مقذعة، بينما انت لم تكن لك اية

جرأة او رغبة او فكرة، ايها الوغد، لادراك ما تغمغم به كما يفعل الأجلاف أمثالك. لقد اكتسبت مع الوقت بعض النشاط. لكنك لوضاعة اصلك وبالرغم من امتثالك للاوامر، لا تزال تفتقر الى ما تتحلى به النفوس الأبية من حميد الخصال، فارتضيت الاستكانة في هذا الصخر، ووجدت السجن احلى من العسل على قلبك الوضيع.

كليبان : انت علمتني الكلام، ولذلك أود الان ان أصب عليك اللعنة. فليسلخ الطاعون جلدك عن لحمك لانك لقنتني أسلوب نطقك.

بروسبارو : ايها المسخ اللعين، أغرب عن وجهي، واجلب لي حالا ما أشعل به النار. ان سحنتك المتجهمة تفيض بذاءة، فتمهَّل وتكلم همسا لئلا يشل التشنج اعضاءك وتتكسر عظامك. فالضواري في أعماق أدغالها ترتجف عند سماع نعيبك المشؤوم، يا وجه البوم.

كليبان : لا، لا. ارجوك ان لا تلصق بي هذه التهمة (على حدة) يتحتم عليّ ان أطيع. لان قدرته لا تقاوم ما دام يسيطر على إله امي ويُخضع ابليس نفسه لمشيئته.

بروسبارو : اذهب اذاً ايها العبد الذليل.

(يخرج كليبان. تسمع أنغام موسيقية. يعزف أريال ويغني بدون أن يراه احد. وعلى بعد مسافة يقف فردينان).

اريال (**ينشد**) : هلموا الى هذه الرمال الصفراء.

وضموا ايديكم المرتجفة العفراء.
ثم احنوا رؤوسكم وقبلوا الارض
لكي يهدأ الموج والنوء يرفضّ
ومن هنا وهناك السماء تبرق
ولا تلبث الشمس من وراء الغمام تشرق
فيتسنى لكم جميعا ان تسرحوا وتمرحوا.

اصوات جوقة متفرقة (**ترتفع**) : أحو، أحو، أحو.

اريال : وأنتم يا كلاب الصيد انبحوا.

الاصوات : أحو، أحو، أحو.

اريال : اصمتوا، فاني اسمع في الهواء
صياح الديك يرتفع في العراء.
الاصوات : كوكو ريكو، كوكو ريكو.
فرديان : من اين تأتي هذه الانغام والصيحات العجيبة، أمن الارض أم من السماء؟ ها هي تتوقف بعد ان بلغت اجواز الفضاء متصاعدة الى عرش إله هذه الجزيرة، الجالس بحزن يندب حظ ابي الملك الذي مات غرقا. حواليّ انسابت هذه الالحان الشجية على صفحة المياه لتهدىء غضبة الطبيعة وتطفىء لواعج أساي بما تفيض به من رقة وعذوبة. فتبعتها انا، بل هي جذبتني ثم هجرتني. لكن لا بد لها من ان تعود اليّ.
اريال (ينشد) : على عمق خمسة باعات تحت الماء
يرقد والدك كما يرغب ويشاء
وعظامه الى مرجان تتحول
وعيونه البراقة حوله تتجول
وفي داخله لا شيء يتغير
بينما البحر في تصرفاته محيَّر
اذ ينقلب الى فيض ضياء
نادر، يسحر في كل حين ببهاء
عرائس البحر التي تنعيه
وعلى حميد مزاياه تبكيه
الاصوات : دينغ، دونغ، دينغ، دونغ.
اريال : اصغوا جيدا الى ما أسمع من غوغاء.
الاصوات : دينغ دونغ، دينغ دونغ دانغ.
فرديان : هذا اللحن يذكرني بوالدي الغريق، وبمآثره الخالدة التي لا بد للارض من ان تقدرها حق قدرها، وأنا اسمع نبرات صوته تطنّ الان في أذني.
ميراندا : ماذا ارى؟ هل هذا روح؟ يا الهي! لا يسعني ان أنكر ان نظراته تصيبني كأنها سهام، وهو يتباهى بكونه من الارواح.
بروسبارو : كلا يا بنيتي، هو يأكل وينام، ونظيرنا هذا الفارس الـذي

تشاهدينه، له احساس وقد نجا من الغرق. وها هي مسحة الحزن تكسو محياه كأنها رجع وسامة تبدو على هذا الرجل المكتمل الصفات الذي خسره رفاقه، وتراه الان يبحث عنهم.
ميراندا : يخيل اليّ انه من زمرة الآلهة وليس لروعته في الكون من مثيل.
بروسبارو (على حدة) : ارى كل شيء يتطور كما تحدثني به نفسي. فيا ايها الروح، بل يا روحي النبيه، سأطلق سراحك عما قريب.
فردينان : لا ريب في ان الآلهة التي ترافقها هذه الكآبة ستنبئني بما اذا كنت ستمكث في الجزيرة حتى أحظى من نعمها ببعض انوار تهديني سواء السبيل. لكن اول رجاء لي وسيكون الاخير، هو الوثوق من كونك فتاة.
ميراندا : كن على يقين بأني لست من العجائب، بل انا فتاة طبيعية.
فردينان : لعمري، انت تتكلمين لغتي التي نطق بها آبائي وأجدادي وكم أود ان احيا حيث هي رائجة.
بروسبارو : أأنت تتحدثين هكذا؟ وأنى لك ذلك؟ ومن تكونين أتمنى ان يسمعك ملك نابولي.
فردينان : لن اكون غير ذاتي، أجل وأنا في غاية الدهشة لورود ذكر ملك نابولي على لسانك. فهو الان من عالمه البعيد يسمعني، وهذا ما يستدرّ دموعي لاني انا من مدينة نابولي، وقد شاهدت بأم عيني ابي الملك يغرق. ومنذ ذلك الحين لم يهدأ لي بال.
ميراندا : الرحمة، الرحمة!
فردينان : أجل، امام ناظري، ابتلعته الامواج مع بعض نبلاء حاشيته وبينهم دوق ميلانو وابنه الشجاع.
بروسبارو (على حدة) : دوق ميلانو وابنه الشجاع لديهما الخبر اليقين بما جرى. ولكن صبرا. انهما من الوهلة الاولى تبادلا النظرات. وأنت يا خادمي الامين اريال، لن تلبث ان تغدو حرا. (لفردينان) كفى يا سيدي. اخشى الان ان تكون قيدت نفسك بهذا التصريح الخطير.
ميراندا : لماذا يتكلم ابي بهذه اللهجة؟ ان الرجل الثالث الذي ابصرته، هو اول من ولَّد الحسرة في صدري. ليت ابي يكنّ له بعض العطف.

فردينان : آه! لو كنت عذراء وحرة في مودتك واختيارك لجعلت منك ملكة نابولي.

بروسبارو : هذا رائع يا سيدي. اسمح لي بكلمة. انا ألاحظ ان بعض الناس مدينون للبعض الآخر. لكني أعارض هذا الشعور خشية ان يعتبر فوزي الوشيك نصرا زهيدا. انت تنتحل اسما لا حق لك فيه، وقد تسللت الى هذه الجزيرة كالجاسوس لتختلسها مني انا سيدها المطلق بدون منازع.

فردينان : كلا، لن أقدم على هذا الظلم ما دمت انسانا لا أبتغي غير الحق.

ميراندا : لا مجال للشر ان يتسرب الى هذا الهيكل المقدس. ولو كان لإبليس مقاما رفيعا لكانت استقطبته جميع فضائل الارض والسماء.

بروسبارو : اتبعني، وكف عن الكلام الهراء، لان المذكور خائن مارق. تعال لأقيِّد رجليك الى عنقك وأجعل ماء البحر شرابك الوحيد وقوتك اليومي أصداف السواقي وجذور الشمندر والقشور الجافة. هيا اتبعني.

فردينان : كلا، انا أرفض معاملة منحرفة كهذه تجعل خصمي اقوى مني.

(يستلّ سيفه ويظل واجما كأنه تحت تأثير سحر رهيب)

ميراندا : سامحه يا ابي. انه لطيف، وغير مشاكس.

بروسبارو : ها ان سلاحي يلقّنك درسا قاسيا. فاستلّ اذاً سيفك. تباً لك من خائن! انت لا تجرؤ على الهجوم لان ضميرك يوبخك على فظاظة جرمك. هيا اتخذ قرارك النهائي، لاني مستعد في هذه اللحظة ان أؤدبك بعد ان أجردك من سلاحك.

ميراندا : أبتاه! أتوسل اليك.

بروسبارو : تراجعي ولا تتشبثي بردائي.

ميراندا : العفو يا سيدي. انا أتكفل به.

بروسبارو : الافضل لكِ ان تصمتي. واذا فهت بكلمة اخرى سأغضب وأكرهك وقد أشنقك. كيف تدافعين عن هذا المجرم اللعين؟ تبصَّري في الامر. هل تظنين انه فريد عصره وانك لم تري له مثيلا. ان كليبان ولد غبي بالنسبة الى سائر الناس، وهو ليس سوى شيطان بينما هم ملائكة اذا قارنتهم به.

ميراندا : اين عطفي وحناني؟ اين انسانيتي؟ هل اضحت كل مشاعري وضيعة في نظرك؟ وأنا لم يعد لي من امل في رؤية رجل مكتمل الصفات والمواهب؟

بروسبارو : تعالي، وطاوعيني. ان أعصابك امست نظير طفل ولدته امه في هذه اللحظة، لا حول له ولا قوة.

فردينان : فعلا، عجز ذهني عن الادراك كأني في غيبوبة، وفقدي والدي هو اكبر مصائبي، ما عدا غرق جميع اصحابي. اما تهديدات هذا الرجل الذي يسيطر على ارادتي فليست بالامر المستهان. فاذا قيَّض الله لي يوما ان أغادر السجن لأشاهد هذه الصبية فسأسعى الى العيش بحرية في غير هذا المكان، ما دام الكون الواسع اصبح ملك يدي على اثر خلاصي من سجني الضيق.

بروسبارو : حيَّاك الله على هذا الموقف البطولي. (لفردينان) هيا تعال يا عزيزي. اما انت يا اريال فقد تجاوزت حدود امكاناتك. (لفردينان) اتبعني. (لآريال): اصغِ جيدا الى ما اقوله لك.

ميراندا : ستكون حرا كرياح الجبال. انما عليك اولا ان تتصرف حيالي تماما كما أشرت عليك.

اريال : سأطبق تعليماتك حرفيا.

بروسبارو : هيا اتبعني. (لميراندا) : لا اريد ان اسمع منك كلمة واحدة بعد الان.

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في ناحية اخرى من الجزيرة

(الملك آلونزو وغنزالو وأدريان وفرنسيسكو وسيبستيان وأنطونيو)

غنزالو : مولاي، أستحلفك برب السماء ان تبتسم. فأنت مدعو نظيرنا جميعا الى الابتهاج في هذه الساعة بخلاصنا. وبسبب ما اعترانا من كوارث أرى ان الطوارىء التي آلمتنا ليست غريبة عما يجري في هذا العالم كل يوم. فكل زوجة ملّاح، وكل صاحب سفينة، وكل تاجر مسافر، جميعهم لا مناص لهم من مثل هذه المفاجآت المزعجة. اما بخصوص معجزة نجاتنا فقليلون من ملايين البشر يستطيعون ان يصرحوا بما نعلنه نحن على رؤوس الاشهاد. فتأمل يا مولاي بما تقتضيه الحكمة منا وما يفرضه علينا حرج موقفنا من استنهاض عزائمنا.

آلونزو : ارجوك ان تلزم الهدوء.

سيبستيان : انه يتلقى توجيهنا كأنه السم في الدسم.

انطونيو : هو كالمتكلم الحريص لا يدع حقيقته تظهر بسهولة للعيان.

سيبستيان : ها هو يستجمع قواه بفكاهته وتهكُّمه كأنه يملأ نابض الساعة ولن يلبث ان يقرع ناقوس الخطر.

غنزالو : مولاي.

سيبستيان : هل تلومه على ذلك؟
غنزالو : ما دام قد قاسى الاهوال يكون معذورا نوعا ما. وبالتالي، علينا ان نقابله بالتسامح واللين.
سيبستيان : أجل، لا بد من ان يكون هناك بعض التساهل والتسامح من قبلنا.
غنزالو : هذا ما أنوي عمله، وهو عين الصواب.
سيبستيان : انت تضفي على كلامي تقديرا اكثر مما يستحق.
غنزالو : لذلك، يا مليكي...
انطونيو : تباً للسانه الزلق.
آلونزو : ارجوك ان تقف عند هذا الحد.
غنزالو : لن افوه بعد الان ببنت شفة. انما...
سيبستيان : اراه لا يقوى على صيانة لسانه من الثرثرة.
انطونيو : ان شئت ان تراهن على احدهما، قل لي أيهما، هو أم أدريان، سيصيح حتما كالديك : كوكو ريكو ؟
سيبستيان : الديك العجوز.
انطونيو : بل الغر الاحمق.
سيبستيان : هل تعتبر الرهان قائما؟
انطونيو : هذه مهزلة.
سيبستيان : ضع يدك في يدي.
أدريان : كم تبدو هذه الجزيرة مقفرة!
انطونيو : هه، هه، ها.
سيبستيان : لقد وصلك حقك.
أدريان : بما انها غير مسكونة فهي اذاً غير صالحة.
سيبستيان : الا اذا...
أدريان : ماذا؟
انطونيو : الامر بديهي.
أدريان : لا ننسَ ان جواً من الصفاء، يشوبه بعض الازعاج، يسود الوضع الحالي.

انطونيو : الصفاء الذي لا سبيل الى تعكيره.
سيبستيان : تبقى المشاكل، اذا صدقنا الدلائل الموسمية.
أدريان : ما أرق هذا النسيم الذي ينساب الينا بنعومة!
سيبستيان : لا سيما الى رئتيه النتنتين.
انطونيو : وهو يهبّ رأسا من جهة المستنقع.
غنزالو : من هنا يصدر كل ما يزدهي به الوجود.
انطونيو : طبعا ما عدا اسباب الحياة.
سيبستيان : يا للسخافة!
غنزالو : انظروا الى العشب كيف اخشوشن مع انه كثيف وطري، وشديد الاخضرار.
انطونيو : أما التراب فهو بالحري قاتم.
سيبستيان : بل اراه مائلا الى الاخضرار.
انطونيو : ما أحدّ بصره!
سيبستيان : لكنه يرى الاشياء معكوسة.
غنزالو : هذا بسيط يكاد لا يصدقه احد.
سيبستيان : نظير كل ما هو بسيط في هذا العالم الغريب العجيب.
غنزالو : ملابسك التي بللتها مياه البحر منذ هنيهة، لا تزال تحافظ على زهوها ونضارتها كأنها جديدة لم تلطخها البقع.
انطونيو : لو تمكن المال المالىء جيبه ان ينطق، لما استطاع ان ينمق الحديث على هواه؟
سيبستيان : أجل، وهو يخشى ان يطوي هذه الزركشات ويخبئها في مكان امين.
غنزالو : وثيابنا تبدو هكذا زاهية كما ارتديناها اول مرة في افريقيا يوم زفاف كلاريبال ابنة الملك الى عاهل تونس.
سيبستيان : زفاف موفق ساعدنا على الرجوع مطمئنين.
أدريان : لم يتسن لتونس ان تتباهى بملكة فريدة المثال نظيرها.
غنزالو : على كل حال ليست مثل ديدون.

انطونيو : تقول من؟ ومنذ متى؟ ان ديدون هي حقا لا شبيه لها.
سيبستيان : نعم، ديدون ابنة « اينيه ».
أدريان : تتكلمون عن ديدون؟ هي من قرطاجة لا من تونس.
غنزالو : ان تونس، يا سيدي، هي ذاتها قرطاجة.
أدريان : تقول قرطاجة؟
غنزالو : نعم، أؤكد لك انها من قرطاجة.
انطونيو : هذا كلام وقعه أجمل من أنغام الآلات الرخيمة.
سيبستيان : ها هي الحواجز والمساكن ترتفع.
انطونيو : لست ادري كيف اصبحت العربات تسلك طرقاتها في الوقت الحاضر.
سيبستيان : هو ينوي الاستيلاء على هذه الجزيرة كي يقدمها هدية لابنه بعد ان يحولها الى تفاحة.
انطونيو : ثم يلقي بذورها في البحر لتنبت مجموعة من الجزر الجديدة.
غنزالو : مولاي، ما هذا الكلام؟
انطونيو : عافاك الله.
غنزالو : كنا نقول ان ثيابنا زاهية اكثر مما كانت عليه اثناء وجودنا في تونس للاشتراك في عرس ابنتك الملكة المتربعة حاليا على العرش.
انطونيو : لم تحظَ هذه المدينة ابدا بملكة نظيرها.
سيبستيان : ما بالك نسيت ديدون؟
انطونيو : نعم، هذه الباسلة ديدون، قد اثبتت جدارتها.
غنزالو : ألا ترى يا مولاي، ان حلتي الارجوانية أبهى الان من يوم ارتدائي اياها سابقا؟ ارجوك ان تتفحصها جيدا.
انطونيو : الاولى ان تتفحصها داخل الماء.
غنزالو : كيف ارتديتها في حفلة قران ابنتك؟
آلونزو : انت تملأ سمعي بكثير من الترهات التي يمجها الذوق السليم. فبعد زواج ابنتي هناك، واختفاء ولدي في طريق العودة، لم تقلّ محبتهما في أعماق فؤادي بالرغم من بعدهما عني، يخيل اليَ اني لن اراهما ثانية. لهفي على

وريث حكمي في نابولي وفي ميلانو. تُرى، أي حوت جشع ابتلعه؟

فرنسيسكو : مولاي، لا تيأس، فقلبي يحدثني بأنه حي. لقد رأيته يغالب زبد البحر ويركب موجه. ومن خلال طيات اللجة كان يتغلغل ويتحاشى الاصطدام بالامواج الهوجاء. ثم رأيته يجذّف بعزم ويتقدم نحو الشاطىء حيث تهدأ حركة البحر كأنه يشفق عليه ويود اسعافه ونجدته. وأنا واثق بأنه بلغ الارض الآمنة.

آلونزو : لا، لا، لقد هلك بدون شك.

سيبستيان : انت مهَّدت يا مولاي لهذه الخسارة الفادحة اذ رضيت بابتعاد ابنتك عنك حين لم تزفها الى شخصية من اوروبا بل فضلت ان تهبها عريسا افريقياً. فسعدت هي في مهجرها، وتضاعف حزنك من جراء بعدها عن انظارك.

آلونزو : لا داعي الى شغل البال.

سيبستيان : لقد رجوناك كلنا بإلحاح ان لا تقدم على ذلك. وابنتك ذاتها لم تدرِ ان كان عليها ان تتمرد او ان تخضع عند صدور قرارك. فميلانو ونابولي تضمان ارامل عديدات من جراء هذه التصرفات. لذا لم تتوصل الى تعزية أي انسان حيال تقصير انت وحدك مسببه.

آلونزو : بل قل كارثة جسيمة وخسارة فادحة.

غنزالو : مولاي سيبستيان، الحقيقة التي تشير اليها ضاعت بين اللين الزائد وقلة الحزم. ولا سبيل الى استدراكها الان خشية ان تنكأ الجراح بدل ان تضمدها.

سيبستيان : كلامك بليغ.

انطونيو : صادر عن خبرة وحنكة.

غنزالو : الحزن يجثم على صدورنا حالما تكتنف نفسك غيمة سوداء.

سيبستيان : أشعر الان ببرد قارس.

انطونيو : اظن ذلك رعشة مباغتة.

غنزالو : ما قولك يا مولاي بزراعة ننشئها في هذه الجزيرة؟

انطونيو : كزراعة القمح مثلا.

سيبستيان : او الخضروات او الفواكه.
غنزالو : لو كنت انا الملك، لما ترددت لحظة في الاقدام على أي عمل.
سيبستيان : هناك نقص في الخمرة منذ زمن بعيد.
غنزالو : في دولتي أتوعَّد عند اصدار قراراتي، ولا من سامع. فصممت على أن ألغي هيئة القضاء وأجعل الادب مجهولا وأكافح الفقر والغنى معا وجميع الخدمات والعقود والوراثات والقسمات والاسيجة واستغلال الاراضي والكرمة ولا أبيح استثمارا على الاطلاق، سواء في استعمال المعادن والحبوب والمشروبات والزيوت. لا عمل، بل عطلة دائمة لجميع الرجال والنساء، للصالحين كما للفاسدين، ولا سلطة لاحد على سواه.
سيبستيان : وما هي صلاحيات الحاكم بصفته ملكا؟
انطونيو : ليتك تعلم كم من ذنب في الدولة ينسى ان له رأسا يدير شؤونه!
غنزالو : وأن الطبيعة الخيِّرة المشتركة تنتج كل ما يلزم بدون جهد ولا عناء ولا منَّة. فلا يبقى من مجال لخيانة او انحطاط او كسل، ولا للجوء الى رمح او سيف او ترس او سكين او سلاح ناري او غيره، اذ تغدو كلها لاغية، لان الطبيعة ذاتها تنتج محاصيلها وفواكهها بوفرة لتغذي الشعب المسالم.
سيبستيان : ولا زواج بين رعاياها.
انطونيو : تقول ان الجميع يمسون بلا عمل، فستؤدي البطالة الى اللصوصية والدعارة والاجرام.
غنزالو : عندئذ أحكم، يا مولاي، بالعدل فيتمتع الجميع بعهد ذهبي و...
سيبستيان : ليحيا جلالة الملك المعظم.
انطونيو : والمجد لغنزالو البطل.
غنزالو : هل تسمعني يا مولاي؟
آلونزو : ارجوك ان تكف عن تلميحك الذي ليس له عندي أي معنى.
غنزالو : انا موافق على رأي جلالتك، وكنت مزمعا ان أقدم بعض الاقتراحات لهؤلاء السادة الذين يشكون من سوء تأويل رواياتهم في كل موضوع ولا يدرون كيف يقهقهون.
انطونيو : تصرفاتك مضحكة.

غنزالو : ومن منا لا يميل الى التهريج؟ يمكنكم ان تسترسلوا في الضحك بدون سبب ولا مبرر.
انطونيو : ما هذا الاستنتاج الهزلي؟
سيبستيان : من المؤسف ان لا يكون في محله.
غنزالو : كلاكما وجيهان من طينة واحدة، وتريدان الوصول الى القمر لانتزاعه من دائرته، ان بقي في وضعه مدة خمسة أسابيع.

(يظهر اريال وهو يعزف لحنا شائعا)

سيبستيان : وفي الليلة الليلاء يفتقد البدر.
انطونيو : لا تغضب يا مولاي.
غنزالو : وأنت لا تخف. فلن أفقد رزانتي لسبب طفيف كهذا. فهات نكتة لطيفة تساعدني على النوم لاني اشعر ببعض التعب.
انطونيو : نم اذاً، وسنتقابل فيما بعد.

(يرقد الجميع ما عدا آلونزو وسيبستيان وانطونيو)

آلونزو : ماذا ارى؟ ها قد رقد الجميع بسرعة. كم أود ان يغمض لي جفن لتهدأ افكاري اذ اشعر الان بأن قواي تخور.
سيبستيان : لقد استعجلت يا مولاي برفض هذا الالتماس الملحّ الذي نادرا ما يخفف الاحزان، ما دامت في حال معالجتها تزول حتما.
انطونيو : ثق يا مولاي بأننا كلينا نضحي بأرواحنا فداء شخصك المبجَّل. فخذ قسطك من الراحة ودعنا نسهر على سلامتك الغالية.
آلونزو : اشكركم على غيرتكم ومحبتكم. هذا امر لا يصدّق.

(ينام ويغيب اريال)

سيبستيان : ما اغرب هذا الاستسلام الذي يسيطر الان عليه!
انطونيو : سببه الرئيسي تقلُّب المناخ.
سيبستيان : لماذا لا يعرف النوم سبيلا الى عيوني؟ فأنا لا أحس بأية بوادر نعاس.
انطونيو : وأنا أيضاً لا ازال مستيقظا. ها هم جميعا قد غاصوا في بحر الكرى كأنهم شخص واحد، ويغطون في سبات عميق كأن الصاعقة انقضَّت عليهم

وتركتهم بلا حراك. ما هذه الفكرة يا سيبستيان النبيل؟ ما هذه الفكرة الغريبة؟ علينا ان نقصيها عنا. مع اني ارى على محياك ما تنوي تحقيقه. فالفرصة سانحة وقلبي ينبئني بأن تاجا سيهبط ويكلل رأسك بالعز والسؤدد.

سيبستيان : هل انت في يقظة ام في حلم؟

انطونيو : ألا تسمعني أتكلم يا سيدي؟

سيبستيان : أجل، اني اسمعك. انما كلماتك غافية، وما تتلفظ به ناجم عن رقادك. ماذا قلت ايضا؟ حقا النوم راحة عجيبة لا سيما عندما تكون العيون مفتوحة فيتحرك المرء ويتحدث وينتصب على قدميه ويمشي بينما هو مع ذلك غائص في لجة النوم.

انطونيو : أيها النبيل سيبستيان، أنت تدع حظك يرقد، بل بالحري يموت، لانك تغمض جفنيك حتى في رابعة النهار.

سيبستيان : انا اسمعك بوضوح تشخر، وأفهم معنى ضيق تنفسك.

انطونيو : اني رصين ومتحفظ اكثر مما عودتك عليه. وأنت كذلك، اذا صدّقتني. وهذا ما يثير فيك القلق والاضطراب.

سيبستيان : انا؟ انا الذي اشبه البحر الهادىء؟

انطونيو : سأعلمك كيف تتصرف.

سيبستيان : حاول جهدك. فعند توقف الموج قلما تهتز السفن.

انطونيو : كم يسيطر الطموح على طبعك حتى عندما تود التنصل منه. ولو دريت كم هو متأصل في أعماقك، مع انك تظن العكس، لاقتنعت بأن الرجل الهادىء غالبا ما يثبت أقدامه في القعر اما عن خوف غامض او عن خمول مزمن.

سيبستيان : ارجوك ان توضح كلامك. ان خدك وعينيك في هذه اللحظة تنطق بما ينطوي عليه عنصرك الطيب، وما تنوي الاقدام عليه بجهد وصعوبة.

انطونيو : هاك يا سيدي، هذا الوجيه المضعضع الحواس الذي يتوارى ذكره في بحر النسيان حالما يغدو تحت التراب، ويحاول ان يقنع الملك، الذي تتجسد القناعة في شخصه، بأن ولده لا يزال حيا يرزق، وأن شواهد عديدة

تدل على انه لم يغرق. فما قيمة كلام هذا النائم الذي يسرح امامنا في دنيا الاحلام المبهمة؟

سيبستيان : انا لا أمل لي بخروجه حيا من تحت الامواج.

انطونيو : لماذا تقطع هكذا الرجاء؟ ان لم يكن هناك بصيص أمل من هذه الناحية فهناك من الناحية المقابلة، امل كبير يتبلور ويخلق مجالاً فسيحا لرجاء غير محدود. ولكن حين لا تلوح اية بارقة افتراض ممكن هل تقتنع معي بأن فردينان قد قضى نحبه غرقا؟

سيبستيان : لا مجال للشك في انه مفقود.

انطونيو : ومن تظن ان يكون بعده وريث الحكم في نابولي؟

سيبستيان : كلاريبال.

انطونيو : ملكة تونس التي تقيم على بعد عشرات الفراسخ من ديارنا، هي التي لا يتسنى لها الوقوف على أنباء نابولي الا ان الشمس تسطع اولا. ويليها القمر متأخراً، وان لحى اطفالنا نبتت وحان زمن حلاقتها، هي التي حالما رحلت عنا كدنا جميعنا نذهب ضحية البحر الذي اوشك ان يبتلعنا، ثم بصق عددا ضئيلا منا، كأن مصيرنا متوقف على عمل بنى الماضي مقدمته، اما خاتمته فأنا وأنت وحدنا نقرر شكلها وتوقيتها.

سيبستيان : ما هذا الهراء المعقد الغامض؟ ماذا تقول؟ أجل ان ابنة شقيقي هي ملكة تونس وهي في الوقت ذاته وريثة الحكم في نابولي بالرغم من وجود مسافات شاسعة تفصل بين هذه الاصقاع.

انطونيو : مسافات فيها كل شبر من الارض يقهقه الان متهكما. هل يمكن ان تجيء كلاريبال الى نابولي لتزاحمنا. فلتبق في تونس. وأنت يا سيبستيان أفق من سباتك. اني اسألك ذلك حتى، ان كان الموت قد اختطفه، لا يكون وضعه اكثر ازعاجا مما هو عليه الان. انا اعرف من الذي سيحكم نابولي ممن يغطون في النوم أمامنا هاهنا. هم لا يعرفون غير التبجُّح بلهجة بليدة سقيمة، أولهم غنزالو، الذي يحاكي البوم في نعيبه. ليتك تفكر مثلي. فهذا النوم وأي اغفاء لا يكون الا في صالح بروزك وازدهارك. هل تسمعني ؟

سيبستيان : أظن.

انطونيو : وبأي وجه تقابل الحظ السعيد الذي ينتظرك؟
سيبستيان : انا لا ازال أتذكر انك فيما مضى قد اقتلعت بروسبارو لتحل مكانه.
انطونيو : هذا صحيح، ألا انظر الى هذه الملابس كم تليق بي. وهي زاهية الالوان اكثر مما كانت عليه في الماضي، يوم كان أعوان اخي رفاقي فأصبحوا اليوم رجالي.
سيبستيان : ولكن اين ضميرك؟
انطونيو : حيث يتربع الدوق على سدة الحكم. لو كان في رجلي دمل لأوجعني. غير ان ارادتي تطغي على شعوري. ولو قام الف ضمير بيني وبين حكم نابولي لذابت جميعها كما يذوب السكر في الماء. هنا يرقد اخوك وليس نصيبه اكثر من الارض التي يتمدد عليها. واذا افترضنا انه لم يمت بعكس ما تدل عليه الظواهر، لكفاه مقدار ثلاثة اصابع حادة لجعله يرقد الى الابد. وأنت لا سواك، بمثل هذه البادرة تستطيع ان تغمض عينيه نهائيا. ولن يكون التحفظ بجانبنا ليوبخنا، وسيهضم الآخرون هذا الحدث كما يلغُ الهر الحليب. وسيضبطون ساعاتهم على التوقيت الذي نحدده نحن لهم.

سيبستيان : دع تنفيذك يا صديقي يتقدم على سابقتي. وفيما انت تستعيد ميلانو أغتنم انا الفرصة للاستيلاء على نابولي. فاستلّ سيفك، وبطعنة واحدة تتخلص من الجزية التي تدفعها. ومتى اصبحت ملكا تثبت لك مودتي الى الابد.
انطونيو : ليستلّ كل منا سيفه اذاً.

(يستلّان سيفيهما)

وعندما أومىء اليك بيدي ستضرب في اللحظة ذاتها بسيفك البتّار عنق غنزالو.
سيبستيان : لديّ كلمة اخيرة.

(يتحدثان بصوت خافت. تسمع أنغام موسيقية)

(يظهر أريال بدون ان يراه الآخرون)

اريال : لقد توقَّع سيدي بحنكته ما يتهددني من الاخطار. فبادر صديقه حالا

الى ايفادي لأنقذ حياته. وإلا، آل مشروعه الى الفشل.

(ينشد في أذن غنزالو)

بينما انت تغظّ هنا في النوم
مؤامرة خفية يحكيها لك القوم
هي الان جاهزة للقضاء عليك
فان خشيت فقْد أصغريك
كفاك رقاد واحذر خصميك
وقم اليهما واطرد النوم من عينيك

انطونيو : هيا أجهز عليه.

غنزالو (يستيقظ) : الملائكة الساهرون انقذوا حياة الملك. فماذا جرى هنا؟ هلموا استيقظوا ايها الراقدون.

آلونزو (يستيقظ) :لماذا هذه السيوف مستلَّة؟ وهذه العيون جاحظة؟ ماذا يدور هنا؟

سيبستيان : نحن ساهرون على راحتك وسلامتك، سمعنا صخبا مروعا كأن نيرانا او أسودا تكرّ واثبة. وأعتقد ان هذا ما أيقظك، لأن اذني لا تزال ترتعش من الهلع.

آلونزو : انا لم اسمع شيئا.

انطونيو : هذه الضجة تصمّ آذان العفاريت وتزلزل الارض كأنها زمجرة سرب هائل من الوحوش الضارية.

آلونزو : هل سمعت يا غنزالو؟

غنزالو : والله، يا مولاي، سمعت اصواتا غريبة. وأعترف بأنها ايقظتني من قيلولتي فهززتك، وأفلتت مني صيحة، ثم فتحت عينيّ لأرى سيفيهما المجرَّدين امامنا. حدوث الضجة امر واقعي لا سبيل الى نكرانه. والأولى بنا الان ان نظل على حذر او نترك هذه المنطقة. على كل حال علينا ان نستلّ سيفينا.

آلونزو : لنغادر هذا المكان، ولنمض للبحث عن ولدي المسكين.

غنزالو : حفظه الله من كل أذى، ولا سيما من الضواري، لاني واثق بأنه لا يزال في الجزيرة.
آلونزو : اخرج انت اولا. (يخرجان).
اريال : سأعلِم سيدي بروسبارو بما فعلت. وأنت يا صاحب الجلالة إبحث عن ابنك، لان الخطر قد زال. (يغيب).

المشهد الثاني

في ناحية أخرى من الجزيرة

(يدخل كليبان وعلى ظهره حمل من الحطب. يسمع قصف الرعد)

كليبان : لتقذف العفاريت رأس بروسبارو بكل الاقذار والأحوال، وليفسخ التنِّين كل شبر من بدنه. ومع ان الارواح تسمعني، لا بد لي من استمطار اللعنات عليه، فهي لن تعارضني ولن تفزعني بما تسلطه عليّ من الجن ولا بما تصبه عليَّ من المياه الآسنة، ولن تستدرجني الى الفخ كالثعلب في الليل، الى داخل قن الدجاج مهما كانت الاغراءات مشوّقة. لقد اطلقت ورائي القرود الناقمة لتعضني، والقنافذ المتدحرجة عند قدمي وأنا امشي حافيا لتغرز فيّ مسلَّاتها الموجعة، والافاعي لتلدغني بأنيابها السامة ويتسبب لي فحيحها المرعب بالجنون المطبق.

(يدخل ترنكولو)

من يا ترى قادم الى هنا؟ أهو الروح ليعذبني لاني تأخرت في جلب الحطب؟ فلأنبطح ارضا عساه لا يبصرني.
ترنكولو : ليس من شجيرات هنا لأحتمي بها. ها قد عادت العاصفة الى الهبوب. وأنا أسمع زمجرتها تصمّ الآذان. وها هي الغيوم الدكناء تغطي أديم السماء. من هو هذا الخيال؟ أهو شبح العاصفة الذي يتهددني؟ ان عاود الكرة

في القصف، لست أدري الى اين يمكنني ان الجأ. انا أعرف ان أمطار هذه السحب ستنهال عليّ كالقِرَب. ولكن، ما هذا؟ أهو رجل ام حوت؟ أهو حي ام ميت؟ ان رائحة الحوت الكريهة كرائحة السمك تزكم الأنوف، وقد انتشرت في كل مكان بشكل مريب. لو كنت في ما وراء بحر المانش كما في الماضي، وأخذت لهذا السمك رسما لن يبقى أحد من سكان الأرض لا يمد له يد المعونة بقطعة من الفضة على سبيل الاحسان. هناك الغول، يبدو كأنه انسان، وأقل ظاهرة تجعل منه بكل تأكيد سيدا محترما، لا يبذل درهما لمساعدة كسيح، لكنه يتصدق بعشرة دراهم لمشاهدة هندي ميت. هو منتصب القامة كمارد رهيب، زعانفه تعمل كأذرع الاخطبوط. لعمري هو دافىء الجسم. اذاً هناك التباس وأنا ارى من الانسب ان أغيِّر تشخيصي، لانه ليس من السمك. ولا بد من ان يكون احد سكان الجزيرة، وقد أصابته الصاعقة. يا للمصيبة، ها هي العاصفة تعود، فما عليّ الا ان أختبىء تحت معطفه، اذ لا ارى أمامي ملاذا سواه. وكم يضطر المرء ان يندسّ في فراش رفيق غريب الاطوار للاحتماء به عند اللزوم. سأمكث في ملجإي الى ان تهدأ العاصفة وينقطع سيل زخّاتها.

(يدخل ستيفانو وهو ينشد، وفي يده قنينة)

استيفانو : لن أذهب بعد الان الى عرض البحر، وسأنتظر الموت على الشاطىء طوعا. وأثناء مرافقتي اي رجل الى مثواه الاخير، أسمِعه نشيدا لم يخطر ببال بشر. وهكذا تتشدد عزيمتي.

(ينشد)

كاترين تطل من الطاقة وجانيتون في ضياء القمر
ووردة وناديا ومرغريت جدائلهن تضفر
وأنا مع الربان والقائد والمدفعي المنتظر
نستغني عن مرتا المحتالة المحلولة الجديله
فيأتي الملّاح ليفرغ الماء من المركب ويزيله
لان طعم القار في فمه، الذوق يمجّه
ويكاد يخنقه سعاله المضني ويزجّه

في قعر اليمّ حيث لا خلاص ولا محجّه
هذا الشراب لا غنى لي عنه ابدا لانه يقوّي عزيمتي.

(يشرب)

كليبان : لا تعذبني.

استيفانو : ما هذا؟ هل توجد هنا شياطين؟ أعتقد بأنك لن تقوم حيالنا بدور الرجل الشرس وتخلق لنا المشاكل والصعاب. هل اكون نجوت من الغرق لأفزع الان من قوائمك الاربع. فأنا لي أيضاً كما يقال اربعة أرجل ثابتة على الارض، ولن أكتم ذلك عنك ما دام استيفانو مطّلعا عليه.

كليبان : الروح يعذبني.

استيفانو : هذا هو غول الجزيرة ذو القوائم الاربع، تعاوده الحمّى على ما أظن مرة كل اربعة ايام. فأين يا ترى تعلّم النطق مثلنا؟ سأسعفه لمجرد بروز هذه الظاهرة، وان تمكنت من ابرائه وتدجينه والرجوع به الى نابولي سيكون أفخم هدية تقدم لامبراطور ينتعل جلد البقر.

كليبان : بربك، لا تعذبني. سأدخِل الحطب فورا.

استيفانو : لقد عاودته النوبة، وها هو يهذي. سيحاول أن يشرب من قنينتي، واذا توصلت الى إبرائه وتقويمه، فلن اطلب المزيد. وللحصول على ذلك، عليّ ان ادفع الثمن.

كليبان : انت لم تسبب لي أي ضرر حتى الان. وأنا لا ازال ارى جيدا. انك تقاوم الرعشة لان بروسبارو يحوم حواليك.

استيفانو : هيا اقترب مني اكثر فأكثر. إفتح فمك لأسكب فيه ما يحل عقدة لسانك يا هرّي الصغير. ستعتريك رجفة، ولدى ارتعاشك ارجو ان تعلمني بشعورك. اذ ذاك لن تعرف اصدقاءك. هيا افتح شدقيك وتكلم.

ترنكولو : يخيل اليّ اني أعرف هذا الصوت. ما هو إلا... ولكنه مات غرقا. النجدة، النجدة! ايتها الأبالسة، لا تعذبيني.

استيفانو : اربعة أفخاذ وصوتان. تباً لك من غول مخيف، بصوتك الباطنٍ لا يسعك الا ان تتكلم عن اصدقائك بالحسنى، وبصوتك الجهوري ستتلفّظ حتما بنذالات حقيرة. وهذا طبعا ناجم عن مفعول الخمرة. لا أشك بأنك

ستشرب قنينتي بكاملها، غير اني مصمم على ابرائك من الحمى التي تنتابك. خذ هذه جرعة اخرى وينقضي الامر. انما عليّ ان أصب من هذه الخمرة في فمك الثاني.

ترنكولو : يا استيفانو.

استيفانو : هل لسانك الثاني يناديني ؟ يا إلهي انه ليس غولا بل شيطانا رهيبا. وأنا لا اريد ان أدنو منه بعد الان لان ليس لديّ ملعقة طويلة المقبض لأسقيه بها.

ترنكولو : استيفانو، يا استيفانو. أهذا انت؟ اقترب مني، كلمني. انا ترنكولو، لا تخف مني. انا صديقك الودود ترنكولو.

استيفانو : اذا كنت انت ترنكولو، فابتعد عني حالا، وإلا سحبتك من رجليك الصغيرتين. وان كانت الرجلان تخصّان ترنكولو فهما حتما هاتان. لا مجال للخطأ، انك انت بعينك ترنكولو. ومنذ متى يا بني رضيت ان تصبح ذنب مثل هذا العجل المهووس؟ هل هو الذي يقذف بأشباه ترنكولو الينا؟

ترنكولو : ظننت ان الصاعقة قتلته. ولكن، ألم تغرق يا استيفانو؟ أملي ان لا تكون قد غرقت. فالعاصفة مرت وانتهت، وأنا اختبأت تحت معطف هذا الثور البغيض، لأحتمي به من العاصفة. اذاً انت حي يا استيفانو، الذي أعتبرك بمثابة اثنين من سكان نابولي الناجين من الغرق.

استيفانو : كلا. ارجوك ان لا تعدّني هكذا. لان معدتي ليست على ما يرام.

كليبان : ما اروع هذا المخلوق! ان لم يكن روحا، فهو إله حقيقي، شرابه رحيق سماوي، وأنا أريد ان اجثو امامه.

استيفانو : كيف نجوت ثانية؟ وكيف وصلت الى هنا؟ أقسم لي بهذه القنينة وأخبرني كيف سعيت للوصول الينا. انا اختبأت في برميل خمر رماه الملاحون من اعلى السفينة. أجل، أقسم لك بهذه القنينة التي لففتها بقشرة شجر بيدي حالما بلغت الشاطىء.

كليبان : اقسم لك بهذه القنينة بأني سأكون من أتباعك الأمناء لان هذا المشروب ليس من صنع الارض.

(يمد القنينة نحو ترنكولو)

استيفانو : هه!
ولكن كيف امكنك ان تنجو يا محتال؟ اقسم لي بأن تقول الحقيقة.
ترنكولو : لقد سبحت حتى الشاطىء مثل البط. بشرفي انا أسبح تماما كالبط الأصيل.
استيفانو : هيا، قبِّل الكتاب المقدس واحلف.

(ترنكولو يشرب)

قد تسبح نظير البط. لكنك تصفر كالمزمار.
ترنكولو : ألا يزال لديك من هذا الشراب، يا استيفانو؟
استيفانو : البرميل لا يزال مملوءا يا صاح، ومستودعي يقع الى جانب الماء. وخمري مخبأ هناك. والآن كيف حال الحمَّى التي انتابتك ايها الثور المهووس؟
كليبان : ألم تهبط انت من السماء؟
استيفانو : الأصح، من القمر. أنا رجل القمر في أوقات فراغي.
كليبان : لقد شاهدتك فوق، وأنا أحبك. وسيدتي علمتني ان أعرفك من اصطحاب كلبك وطريقة حمل حطبك.
استيفانو : أهذا صحيح؟ أقسم بالكتاب المقدس، سأذهب قريبا للتيقُّن من المحتوى. هيا اقسم لي.
ترنكولو : بضوء النهار الذي ينير لنا. ما أغبى هذا الغول! أأنا أخشاه؟ لا شك في انه ليس سوى غول. أهنئك يا رجل القمر، ايها الغول المسكين الذي يصدق كل ما يقال له. أهنئك ايها الغول السكير الغبي.
كليبان : أود ان اريك في الجزيرة كل قطعة ارض صالحة، وأن أقبِّل قدمك. فهل تريد ان تصبح معبودي؟
ترنكولو : انت نور حياتي، اراك قد صرت غولا مغفلا بلا غولا نشوان، حالما يغطّ إلهك في النوم تشخر وتبادر الى تجرع قنينتك.
كليبان : أقبِّل قدمك، وأتعهد لك بأن اصبح من أتباعك.
استيفانو : هيا اذاً اركع واقسم لي.
ترنكولو : لا، اني ارى هذا الغول برأس كلب وهو مزمع ان يجعلني أغرب

في الضحك. ما أفدح مصيبتي بهذا الغول الذي لا أدري ماذا يمنعني عن ضربه.

استيفانو : هيا قبِّل.

ترنكولو : لكن هذا الغول الشقي لم ينقطع عن الشرب. تباً له من غول بغيض!

كليبان : سأقودك الى أصفى الينابيع، وسأقطف لك ألذ الثمار، وأصطاد لك أطيب الاسماك وأجلب لك حزما ضخمة من الحطب. ليقضِ الطاعون على الطاغية الذي اخدعه. لن احمل له حطبا بعد الان. سأتبعك انت وحدك ايها الرجل الكريم.

ترنكولو : هذا الغول سخيف حقا. فهل بالامكان تحويله من سكّير حقير الى مخلوق جليل.

كليبان : دعني آخذك، ان شئت، الى حيث ينضج التفاح. ان اظفارك الطويلة تساعدني على التقاط الكستناء من الارض. وسأريك أعشاش العصافير النادرة وأدربك على نصب الأفخاخ للمسوخ المعتدية. وبصحبتك أذهب الى اشجار البندق الغزيرة النمو، فأقطف لك من ثمارها، والى الصخور حيث أكتشف لك اوكار الطيور البحرية، فهل تريد ان ترافقني؟

استيفانو : حسنا. ستأخذني اليها. فكفاك خطبا. يا ترنكولو، بعد ان غرق الملك وحاشيته اصبحنا نحن ورثة هذه القطعة من الارض. (لكليبان) هيا أمسك بقنينتي يا صديقي لنملأها بسرعة.

كليبان (ينشد بصوت مخمور) : مساء الخير يا سيدي، مساء الخير، مساء الخير.

ترنكولو : الغول يشرب، الغول يجأر.

كليبان : لاصطياد السمك، انا لا احسب للسدود أي حساب. فلا تتكل عليّ في جلب الحطب من الغاب لإشعال النار، ولا لخدمتك في البيت. انما لأجل تنظيف القدور والحيطان لا تتكل عليّ مطلقا، بل فتش عن خادم مقيت يقوم بذلك. ولتحيا الحرية.

استيفانو : اغرب عن وجهي، ايها الغول البَهلول.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

امام كوخ بروسبارو

(فردينان يحمل حطبه)

فردينان : هناك ألعاب متعبة، انما الجهد الذي تتطلبه يوازي ما توفره من تسلية وتحتاج الى كثير من طول البال والبراعة للفوز فيها. اما هذا العمل المضني فيخيل اليّ انه مرهق بقدر ما هو كريه. والسيدة التي اخدمها لا تحجم عن رد الحياة الى من فقدها، وتعتبر شغلي كأنه سخرة. هي خفيفة الظل حلوة المعشر. وما ضرّها ان كان والدها بغيضا غير جدير بالاحترام كما يبدو لي. عليّ ان انقل الف حطبة وأكدّسها جميعها حسب اوامرها الصارمة. بينما هي، سيدتي اللطيفة، تنتحب حالما تبصرني وتعلن انها لم تجد في حياتها خادما نشيطا لمثل هذه المهمة الشاقة، فأنسى تعبي لان هذا الاعتبار يسهِّل عليّ شغلي. وهي لا تكف عن تقدير جهدي كلما توقفت قليلا لأستريح.

(تدخل ميراندا وبروسبارو على مسافة منها دون ان تراه)

ميراندا : وا أسفاه! انا أتوسل اليك ان لا تجهد نفسك هكذا في العمل المرهق. كم تمنيت لو ان البرقِ أحرق هذه الاكوام من الحطب التي يتحتم عليك ان تنقلها. ارجوك ان تأخذ قسطا من الراحة كي تستعيد قواك. فلسوف ابكي نادمة في يوم من الايام تكفيرا عما سببته لك من المتاعب. ان والدي

غارق في مطالعاته، فأستحلفك ان ترتاح، اذ لا يزال امامك لا أقل من ثلاث ساعات عمل.

فردينان : يا سيدتي العزيزة، ستغيب الشمس قبل أن أنهي شغلي الذي يجب عليّ أن أجتهد لإكماله في حينه.

ميراندا : إجلس اذاً، فأحمل أنا عنك هذه الحزمة من الحطب في هذه الأثناء. اعطني اياها ان شئت لأضعها في مكانها فوق الكومة.

فردينان : ابدا يا فتاتي الحلوة. أفضل ارهاق ذاتي وقصم ظهري على أن أراك تتجشمين مثل هذا العناء، وأنا لا آتي بأية حركة.

ميراندا : ان ما لا أجد فيه ازعاجاً يناسبني، وأقوم به بتعب أقل، لأني أتممه بملء الرضى، وان كنت لا تحبذ فكرتي وخطتي.

بروسبارو : ها قد علقت أيها الصرصور المسكين، كما أستدل من زيارتك لي.

ميراندا : يبدو لي انك خائر القوى.

فردينان : كلا ايتها السيدة النبيلة. هذا ناجم عن رطوبة الصباح. فالليل يطول عليّ عندما تكونين هنا. أؤكد لك أنني على الدوام لا أغفل عن ذكر اسمك الحبيب في صلواتي.

ميراندا : انا ميراندا، قد خالفت اوامراك يا ابي.

فردينان : انت ميراندا حبيبة الجميع. والجميع معجبون بشخصيتك الفريدة، ويساوون بيني وبينك في أحرج مواقف الحياة ويفضلونك على سائر الصبايا. ان نظري لا يفارقك. كم وكم طغت تمتمات عبوديتهم على سمعي المرهف. ان نساء عديدات لاقين الاحترام والاكرام نظرا لما يتحلّين به من الفضائل، ولكن ليست بينهن واحدة تستحق، بالنسبة الى ما يشوب تفوّقها من كبوات، ان تكون بمستوى الصفات الحميدة التي تميزها ولا تعيبها. غير انك امرأة رائعة قل مثيلك لانك تنحدرين من أطهر الأسر.

ميراندا : انا لا اعرف من بنات جنسي، ولا أتذكر محيا امرأة سوى وجهي الذي أشاهده في المرآة. ولا يسعني أن أعتبر غيرك رجلا بكل معنى الكلمة. فأنت والدي العزيز وأنت صديقي الوحيد بين جميع الكائنات على وجه

الارض. لا أريد ان اعرف احدا سواك، مع ان تواضعي هو خير ما فيَّ من صفات، ولا ابغي رفيقا غيرك في هذه الدنيا، ولا أود ان أتخيل وجود رجل سواك ترتاح اليه نفسي. قد يكون كلامي هذا اقرب الى الهذيان ولكني لا أريد ان أعتنق أفكار غيرك يا ابي.

فردينان : انا في محيطي امير، يا ميراندا، بل ملك جليل، وأربأ بالقبول بأن يحتمل احد عبودية نقل هذا الحطب. اصغي اليّ لتعرفي ما يجول بخاطري. فأنا منذ وقوع نظري عليك طار قلبي فرحا وأصبحت طوع بنانك لأخدمك وألازمك كظلك. وسأبقى اسيرك ورهن اشارتك، ولأجلك سأظل أنقل الحطب بصبر وخضوع.

ميراندا : هل تحبني الى هذا الحد؟

فردينان : اشهدي على كلامي ايتها السماء، وأنت ايضا ايتها الارض! وكلِّلي اعترافي بالسعادة التي لا أجرؤ على تمنيها. وان بحت بهذه الحقيقة فلأن ذلك اقوى مني. وإلا تحولت بهجة ايامي الى شقاء أليم. أجل انا احبك وأحترمك الى أبعد الحدود، وأكثر من كل انسان على وجه الارض.

ميراندا : اكاد أختنق عندما اندب حظي التعيس.

بروسبارو : مصادفة سعيدة ان تلتقي مودّتان نادرتان تحت سقف واحد. فلتمطر السماء نعمها على من يولد في ظلالهما.

فردينان : لماذا تبكين؟

ميراندا : انا ابكي سوء طالعي الذي لا يجود عليّ بما ارجو منحه او تلقّيه من هناء، وهذا ما يسبب لي الغم، ويدنيني من أجلي، لان الدهر يأبى الا معاندتي. لكني مهما حاولت ان أموه على نفسي، فكل شيء واضح وسأصبح امرأتك اذا اردت ان تتزوجني. وإلا متّ وأنا في خدمتك. انت قادر على حرماني من صحبتك، ولكني سأظل وفية لك ما حييت شئت ام أبيت.

فردينان : يا سيدتي وحبيبتي، انا ايضا سأظل وفيا لك بكل تواضع الى الابد.

ميراندا : ستصبح اذاً زوجي؟

فردينان : أجل، لان قلبي اسير هواكِ، وهو يفضل العبودية بقربك على الحرية بعيدا عن حنانك. فهاكِ يدي.

ميراندا : وها هي يدي مع قلبي ملك لك. والآن اسمع لي بالتغيُّب نصف ساعة من الزمن.
فردينان : الى اللقاء القريب اذاً، ومع الف سلامة.

(يخرج فردينان وميراندا منفردين)

بروسبارو : ان فرحهما يفوق ما اشعر به من سعادة. والمفاجأة بالنسبة اليهما لا أبهج منها. ولا شيء يسرني اكثر مما حصل. والآن اعود الى كتابي، ما دامت الامور تسير في طريقها الصحيح.

(يدخل الى كوخه)

المشهد الثاني

في ناحية اخرى من الجزيرة

(يدخل استيفانو وترنكولو وكليبان)

استيفانو : لا لزوم الان للسفسطات. عندما تفرغ براميل الخمر، لن تشرب غير الماء. وبانتظار ذلك، لا مجال لتناول نقطة واحدة. فدع المسائل تسير في مجراها الطبيعي. فكِّر في المستجدّات، وإلا ستشرب نخبي يا غول الخدمة.
ترنكولو : يا غول خدمتنا، يا ثعلب هذه المنطقة، لا يوجد في هذه الجزيرة على ما يظهر سوى خمسة سكان، منهم نحن الثلاثة. فاذا كان للاثنين الباقيين دماغ مثل دماغنا فعلى الدولة السلام لانها ستميد وتنهار.
استيفانو : ستشرب عندما آمرك انا يا غول الخدمة. يخيل اليّ ان عيونك لا تزال ثابتة في وجهك.
ترنكولو : وأين تريد ان تكون عيوني؟ أفي ذنبي ام في ظهري؟ اذ ذاك اكون حقا غولا لا غش فيه.
استيفانو : ان غول خدمتي قد أغرق وعيه في برميل الخمر. بينما انا، لا تقوى مياه البحر بأجمعها على اغراقي. ولقد سبحت بمهارة قبل ان ابلغ هذا الشاطىء مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين فرسخا. سأجعلك نائبي ايها الغول

لتحمل لوائي باخلاص، وتأكيداً لذلك، اقسم لك بحق نور النهار الذي يضيء لنا دروبنا.

ترنكولو : ان اكون نائبك، هذه ضمانة لي. اما حمل لوائك فكيف يتم وهو يرفرف خفّاقا في الاعالي؟

استيفانو : لا سبيل لنا الى الهرب من قدرنا، يا ايها الغول المخبول.

ترنكولو : أجل، أجل، نظير الارانب التي تتوارى لدى سماعها أخف ضجة ولا تنجو من مصيرها.

استيفانو : قل كلمة اذاً ايها الثور المهووس ان كنت حقا صادقا.

كليبان : ألا تزال مخلصا؟ دعني ألتمس بركتك. اما هو فلن اخدمه لانه غير كريم.

ترنكولو : الان ظهر كذبك ايها الغول الجاهل الأفّاك. انا وحدي قادر على نبش خفاياك ايها المحتال. انت تتهمني بالجبانة بعد كل ما تجرّعته في أقل من يوم. ألا تخجل من هذا النفاق الخسيس، وأنت في هذا الدرك من الانحطاط.

كليبان : اسمعه كيف يزدري بي ويهينني. فهل يرضيك هذا يا مولاي؟

ترنكولو : تدعوني مولاك. أولا تدري ان للغيلان طرائق خاصة.

كليبان : ها هو يعيد الكرة. أتوسل اليك ان تعضه وتمزقه كي يسكت نهائياً.

استيفانو : صُن لسانك يا ترنكولو. اذا تصرفت هكذا بنذالة، فسأسجنك في شق الشجرة، لان هذا الغول المسكين هو احد أفراد رعيتي ولن أسمح ابدا بأن يمسه اي سوء.

كليبان : أشكرك يا سيدي النبيل. هل يعجبك ان تسمع توسلاتي ثانية.

استيفانو : ولماذا لا؟ اركع وعاود الكرة فيما نقف انا وترنكولو لنتلقى خضوعك.

(يدخل اريال بدون ان يراه احد)

كليبان : كما قلت لك، انا عبد لطاغية مستبد وساحر محتال اغتصب مني ملكية هذه الجزيرة.

اريال : انت كاذب.

كليبان : انت الكاذب ايها المسخ الحقير. وسيعاقبك سيدي قريباً جداً. اما انا فلا اكذب ابداً.

استيفانو : اذا قاطعته يا ترنكولو مرة اخرى اثناء سرده الرواية سأصفعك بهذا الكف وأسقط لك بعض اسنانك من فمك.

ترنكولو : لن أنبس ببنت شفة.

استيفانو : إلزم الصمت، ودعني أستمع. هيا اكمل، يا كليبان.

كليبان : اقول انه بالحيلة والشعوذة استولى على هذه الجزيرة التي كانت تخصني. فاذا شئت يا صاحب العظمة ان تنتقم لي منه، فأنت قادر على ذلك، وهو لن يستطيع مقاومتك.

استيفانو : طبعاً.

كليبان : ستكون انت مولاي، وأنا مستعد لخدمتك.

استيفانو : حسناً، ولكن كيف العمل للوصول الى السيطرة على هذا المخلوق؟

كليبان : سأسلمك اياه يا سيدي وهو نائم. فتدق عنقه مع اول مسمار في نعشه.

اريال : انت مخادع، ولا يتسنى لك ذلك مطلقاً.

كليبان : أتسمع ما يقول هذا العلج المتبجح؟ ارجوك ان تأمر بضربه يا صاحب الجلالة، وبانتزاع القنينة منه. فحالما يفقدها يذهب ويشرب من ماء البحر المالح، لاني لن أدله على مكان الينابيع الصافية العذبة.

استيفانو : هذا انذاري الاخير يا ترنكولو. فاذا قاطعت الغول مجدداً فاعلم بأني سأنهال عليك بهذه اليد ضربا مبرحا بلا رحمة ولا شفقة، وأجعلك أرق من الرغيف.

ترنكولو : ولكن ماذا جنيت حتى تعاقبني؟ انا لم أقترف ذنبا. ومع ذلك ها انا أنسحب.

استيفانو : ألم تتهمني بالكذب؟

اريال : ادعاؤك هذا هو عين الكذب.

استيفانو : أأنا كاذب؟ (يضربه) خذ، خذ، خذ. واذا اردت سأكيل لك

المزيد. أعد قولك بأني اكذب وسترى ما يحل بك.
ترنكولو : انا لم اقل ابدا انك تكذب. لا بد من ان تكون فقدت وعيك وسمعك ايضاً. ليصبْك الجرب ايها السكير الأبله، لأنك أمعنت في شرب الخمرة، ولتهدّ الحمَّى حيل غولك، وأنت فلتتكسر اصابعك.
كليبان : هه، هه، ها.
استيفانو : تابع سرد حكايتك. أنصحك بأن تلزم حدّك.
كليبان : عاقبه كما يستحق، وسأعرف قريباً انا ايضاً كيف أؤدبه.
استيفانو : ابتعد انت من هنا. هيا اكمل، يا كليبان.
كليبان : كما قلت لك، لقد اعتاد على القيلولة بعد الظهر، فيمكنك ان تحطم أضلاعه وأن تجرده من كتبه ثم ان تشجّ رأسه بحطبة جافة صلبة، وأن تبقر بطنه برمح طويل، وأن تطعن عنقه بسكينك الحاد. أكرر عليك ان لا تنسَ تجريده من كتبه لانه بدونها يصبح كالبهيمة نظيري تماماً، ولن يبقى لديه أي استعداد للخضوع، فيكرهه كل الناس مثلي. لا بد من احراق كتبه حتما. هو يملك معدّات جميلة، كما يدَّعي، وينوي ان يزين بها بيته في المستقبل عندما ينفرد ببيت. والاولى من كل هذا، وما يستحق الذكر حقاً، هو روعة جمال ابنته التي يعتبرها فريدة الحسن. انا لم ابصر امرأة غيرها سوى أمي سيكوراكس. انما والدتي تفوقها بهاء لان الوعاء الكبير يتسع لاحتواء الاصغر منه.
استيفانو : أحقاً هي فتاة بارعة الجمال؟
كليبان : أؤكد لك يا مولاي بأنها جديرة بك، وستمنحك نسلا تتباهى به.
استيفانو : سأقتل هذا الرجل ايها الغول. وسنكون انا وابنته ملكا وملكة على هذه الديار فينفسح المجال لفرض هيبتنا وبسط نفوذنا. وستكون انت وترنكولو لي نائبين. فما قولك يا ترنكولو بهذا التدبير؟
ترنكولو : ممتاز.
استيفانو : هات يدك اذاً. انا آسف لاني ضربتك. لكن اعلم ان عليك ان تصون لسانك حتى آخر ايام حياتك.
كليبان : سينام بعد نصف ساعة. فهل تنوي القضاء عليه فعلا؟

استيفانو : إي وربي.
اريال : سأذهب وأنبىء معلمي.
كليبان : وجودك معي يدخل الى قلبي السعادة، ويتيح لي التمتع بملذات الحياة. فهلم نسرح ونمرح. هل تريد ان تعيد عليّ اللحن الذي علمتني اياه منذ هنيهة؟
استيفانو : سأستجيب طلبك ايها الغول ولن أرفضه. فهيا نغني اولا يا ترنكولو.
(ينشدون)

إهزأوا وعنِّفوا، ثم عنفوا واهزأوا،
فليس احلى من حرية الافكار، فاهنأوا.

كليبان : هذا ليس النغم ذاته.

(يقرع اريال طبلة وينفخ بالمزمار)

استيفانو : ماذا أسمع هنا؟
ترنكولو : هذا لحن اغنيتنا يعزفه كائن غير منظور.
استيفانو : يا رجل، إظهر على حقيقتك. فحتى لو كنت شيطانا، لا اعتراض لي عليك.
ترنكولو : أطلب صفحك عن جميع ذنوبي.
استيفانو : اذا كان نصيبي الهلاك، فأنا مستعد لتسديد كل ما عليّ من حساب فأرجوك، ان ترأف بي.
كليبان : هل انت خائف؟
استيفانو : أأنا اخاف، ايها الغول؟ لا، لا، ابداً.
كليبان : لا تفزع. ان الجزيرة ملأى بالتمتمات والاصداء والاناشيد الساحرة التي تفعم النفس طربا ونشوة. وربما سمعت الف آلة تعزف دفعة واحدة احيانا، فتصمّ أذنيَّ، ثم تليها أصوات ودبكات توقظني كأني غائص في بحر النوم، بل بالحري تجعلني أرقد ثانية لأرى في الحلم غماما ينفتح ويفسح لي مجال التمتع بمشاهد كلها روعة وجمال. وكم خيِّل اليّ ان السماوات توشك ان تسقط من علاها على رأسي، فأبكي حالما افيق بكاء مرا وأتمنى متابعة حلمي السحري.

استيفانو : لعمري، كم يسرني ان أسمع أرق الأنغام بدون مقابل.
كليبان : متى سيهلك بروسبارو ؟
استيفانو : لن يصيبه أي مكروه اذا طال به الانتظار. اما أنا فأود أن أتوقف هنا بروايتي.
ترنكولو : الصوت يبتعد على ما يبدو، فتعال تتبعه ثم نعود لإتمام عملنا.
استيفانو : الى الامام سر اذاً، أيها الغول. هيا تتبعه. أريد أن أرى كيف تقرع هذه الطبلة.
ترنكولو : ها أنذا آت. سأتبعك يا استيفانو.

(يخرجون)

المشهد الثالث

في ناحية أخرى من الجزيرة

(يدخل آلونزو وسيبستيان وانطونيو وغنزالو وأدريان وفرنسيسكو وغيرهم)

غنزالو : يا إلهي ! أنا غير قادر يا مولاي على التقدم خطوة واحدة، لأن عظامي الهرمة تؤلمني. هذه متاهة نضيع حتما فيها نظرا لما تحويه من التعاريج والاستدارات. فعلينا أن نتريث، وأنا بنوع خاص، حتى أستعيد أنفاسي.
الونزو : لا يسعني أن ألومك يا صديقي القديم، لأني أنا أيضا قد أنهكني التعب حتى كاد يزهق روحي. اجلس واسترح فها هنا بالذات تتبدد آمالي ويتبين بطلان الرجاء بأنه حي لانه فعلا قد غرق، بينما كنا نجدّ في البحث عنه، فسخر البحر منا لتشبثنا عبثا في مساعينا على هذه الأرض. مهما يكن الأمر مبهما، يمكنه أن يمضي.
انطونيو : أهنىء نفسي على فقدانه كل امل. فلا تذهب، بسبب هذا الاخفاق، الى العدول عن بلوغ الغاية التي وضعتها نصب عينيك.

سيبستيان : لدى أول فرصة، يسعنا ان نعوض عما فاتنا.
انطونيو : هذا المساء اذاً، بما ان جولتهم قد ارهقتهم، لن يملكوا الشجاعة ولا القوة لمواصلة السهر كما لو كانوا مرتاحين.
سيبستيان : اتفقنا. فالى هذا المساء. لكن عليكم ان تلزموا الصمت والهدوء.

(تسمع أنغام موسيقية توحي بالأبهة والجلال. وبروسبارو غير منظور)

الونزو : ما هذه الرخام ! اسمعوا يا أصدقائي الأعزاء.
غنزالو : ما أروع هذه الموسيقى !

(يدخل عدد من الغرباء حاملين أطعمة تكفي لوليمة وهم يرقصون ويحيون الملك وحاشيته ويدعونهم الى الأكل، ثم يختفون)

الونزو : احرسينا يا ملائكة السماء. هل رأيتم ما جرى ؟
سيبستيان : هذه تماثيل متحركة. وأنا أميل الان الى الاعتقاد بوجود وحيد القرن في المنطقة حيث يتجلى على شجرة واحدة طائر الفينيق متربعا في هذه اللحظة على عرشه.
انطونيو : أنا أيضا بتّ أعتقد بهذا وذاك. واذا كان في الدنيا أمر لا يزال يدعو الناس الى رفض اليقين، فليأتوا اليَّ كي أعلن لهم وأدعم بأغلظ الايمان، ان هذه حقيقة لا تقبل الشك، ما دام المسافرن لا يكذبون مهما تبجَّح به ضعاف العقول ممن يلازمون عقر دارهم ولا يتجولون.
غنزالو : اذا نقلت هذا النبأ الى نابولي، هل يصدقني أحد ؟ ولو صرحت بأني شاهدت أهالي هذه الجزيرة الذين لا يغادرونها، مهما بدوا في تصرفاتهم غلاظا كالغيلان، يتمسكون بكرم اخلاقهم وحرية أفكارهم اكثر من معظم أبناء قومنا ان لم يكن أجمعهم، كما تثبته أفعالهم، فهل يعتبرون ويرعوون ؟
بروسبارو : أيها الشريف غنزالو، كلامك فيه كل الحكمة والصواب لأن بعض الناس أينما وجدوا هم أفظع من أبالسة الجحيم.
الونزو : هذا لا يغيب عن ذهني، لأن بعض الوجوه والحركات والأصوات المعبرة بأساليب بديعة ولو صمَّاء، هي بمثابة خطابات بليغة صامتة حافلة بالعبر.

بروسبارو : لا تنسَ ان السم يكمن عادة في الذنب الدسم.
فرنسيسكو : ها قد غابوا بطريقة غريبة عجيبة.
سيبستيان : وماذا يعني ذلك ؟ بما انهم يتركون مؤنهم، نحن ايضا لنا أفواه لنأكل ومعد لنهضم. فما رأيك الان لو قمنا بالاستيلاء على هذا الزاد ؟
الونزو : انا لا يهمني الأمر.
انطونيو : بصراحة يا مولاي، أنت لا تميل الى المغامرة. عندما كنا أولادا صغارا، من منا كان يصدّق ان في الجبل رجالا غلاظ الرقبة كالثيران أو منفوخي البطن كالخرج، أو ان هناك مخلوقات لها رأس مطمور في جذعها وبين كتفيها. وفي أيامنا الحاضرة، ترى أبسط مسافر يؤكد مراهنا بخمسة لقاء واحد بأن ذلك حقيقة لا تقبل أدنى شك.
الونزو : على المائدة مثلا، أنا آكل ما يقدم لي من طعام ولا أهتم بما اذا كان آخر ما أذوقه. لأني أشعر بأن أفضل زمن في حياتي قد مضى ولن يعود. أرجوك يا أخي، وأنت يا سيدي الدوق، أن تتفضلوا وتجلسوا بجواري.

(تحدث رعود وبروق. يدخل اريال بشكل نسر ويضرب المائدة بجناحيه فتختفي جميع معالم الوليمة).

اريال : أنتم ثلاثة مجرمين، شاء القدر الذي يتحكم بمقاليد هذا الكون وما فيه، ان يلفظكم أخيرا بعيدا عن البحر، على هذه الجزيرة التي يسكنها رجل غير جدير بالحياة نظيركم.

(يستلّ الونزو وسيبستيان وانطونيو سيوفهم)

أنا عالم بأني أغضبتكم. وبمثل هذا الانفعال يشنق الرجال أنفسهم أو يلقون بذواتهم الى البحر تخلصا من متاعبهم. تباً لهم من مجانين تافهين. اما انتم يا رفاقي فمثلي أنا أصبحتم كهنة تخدمون أهواء القدر الغاشم. والعناصر الصلبة التي قُدّت منها سيوفكم ستعمل على تمزيق الرياح العاصفة، بطعنات مضحكة تشق المياه المغلقة على الدوام، وتختصر مداها ريشتي اللاذعة وتربطها بخيط رفيع. أما رفاقي فلا سبيل للاحراج ان ينال منهم، وان تسنى لسيوفكم ان تطالهم كأعداء فهي ثقيلة جدا على أذرعكم، لا تقوون على رفعها في وجوههم. لذا أذكركم، وهذه مهمتي الحاضرة، بأنكم انتم الثلاثة قد اقصيتم

في الماضي بروسبارو الصالح عن حكم ميلانو. واذا بكم كما تصرفتم في البحر، منذ الأخذ بالثأر، قد عرّضتم حياته مع ابنته البريئة لأفظع المخاطر. ولأجل جرم وحشي، كهذا، ما كان من الأيام العادلة التي تمهل ولا تهمل، الا ان سلطت عليكم الأمواج العاتية وقذفت بكم الى الساحل المقفر بل قلّبت عليكم الخليقة جمعاء. فحرمتك ابنتك يا الونزو وهي الان تهددك بلساني بأن كارثة هائلة كهذه، هي أقسى من الموت بمراحل، ستحل بك حتما، ومهما تبدد شرها سيبلغ اذاها شخصك ويشل مساعيك. وسيقضي عليك غضبها ان لم يكن في هذه الجزيرة المعزولة، فسيتبعك، لا مناص، الى اقاصي الأرض ويرجم رأسك بوابل من الويلات التي لن تعرف معها راحة القلب وهناء العيش.

(يغيب وسط صخب الرعود تليها أنغام عذبة. ويبقى الغرباء يرقصون بحركات مضحكة، ثم يحملون المائدة معهم).

بروسبارو : رائع هو هذا الوجه الخرافي، يا اريال ! فقد خلعت عليه بهاء ساحرا حقا. ان خطابك الذي القيته حسب تعليماتي هو تقليد بارع، والقريحة التي جادت به، والجهد الخاص الذي بذلته لأجل نجاحه الصامت، قد اجترح معجزة بين أصغر خدمي. وهكذا بفعل سحرك المدمر يقع أعدائي في شر مكائدهم، ويرد كيدهم الى نحرهم، هم الان تحت رحمة بطشي بالرغم مما يرتعون به من بهجة أفراحهم. بينما أنا أعثر على الشاب فردينان الذي يظنون بأنه غرق مع حبيبته، وهي أيضا عزيزة على قلبي.

(يخرج)

غنزالو : مولاي أستحلفك بكل المقدسات أن تبوح لي بما تخفيه وراء وجومك هذا الغريب.

آلونزو : هذا فظيع مريب. لقد سمعت الأمواج تتكلم وتكرر ما نطقت به ورددته الرياح وأصداء الرعود معلنة اسم بروسبارو. فصعقتني أوهامي حين أمسى هذا الوحل مرقد ولدي وفلذة كبدي. سأذهب لأبحث عنه في الأعماق حيث لم تصل أقدام أي مخلوق قبلي وأتمدد على الأوحال الى جانبه.

(يخرج)

سيبستيان : حتى ولو برز الشيطان لدى كل ضربة من سيفي، أنا مستعد لأن أتحدى جيشهم اللجب.
انطونيو : أرجوك يا مولاي أن تقبلني في عداد أعوانك.

(يخرج سيبستيان وأنطونيو)

غنزالو : الثلاثة يقتلهم الضجر واليأس بسبب جريرتهم القديمة التي تذهب بعقولهم وتفتك بهم كأنها سم رهيب. أستحلفك اذاً أن تعجل بخطواتك الرشيقة وتهبّ لانقاذي من تصميمهم على اهلاكي في ساعة غضب هي الآن حاضرة.
ادريان : أرجوك أن تتبعني.

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام كوخ بروسبارو

(يدخل بروسبارو وفردينان وميراندا)

بروسبارو : اذا وجدت معاملتي هكذا خشنة تكون قد نلت الان جزاء عملك، لأني وهبتك معظم أيام حياتي، وما تبقّى لي من العمر أضعه مجددا تحت تصرفك. لأن جل ما نابني من معاكسات كان في نظري، امتحانا لحبك الذي اجتزته بنجاح منقطع النظير، بالرغم من انه امتحان عسير للغاية. فأمام السماء أؤكد لك ثانية وعدي الصادق بتقديم هذه الهدية النادرة لك. لا تبتسم يا فردينان اذا أشدت بها بصوت عالٍ سترى انها تفوق كل مديح، فدعها تجري خلفك.

فردينان : اني لا أشك بما تتوقعه لي.

بروسبارو: تمتع اذاً بهذه الهبة التي تستحقها طبعا عن جدارة. خذ ابنتي واستأثر بمفاتنها المصانة، ولتجرِ الحفلة المباركة بموجب المراسم المعتادة. ولتتم عملية الامتلاك حسب ما خصتك به السماء من حنكة وذكاء. وإلا لن يزدهر هذا العقد طويلا لأن الحقد القاحل والازدراء الخسيس والخلاف المرير تجتمع لتقضّ مضجعك وتنزل بك أقسى المحن وأمرّ الأهوال. احرص على قنديل العرس كي يضيء لك سبيلك ويرشدك الى الصراط القويم.

فردينان : كم تمنيت لك حياة هادئة وأولادا صالحين وعمرا مديدا، فلا يتحطم هذا الحب وينهال عليك ركاما في نفق مظلم أو متاهة معقدة غامضة. لأن براعة التلميح عن أوهى قدراتنا، لن تعرّض شرفي الى التمرغ لحظة في لذة مشينة خانقة. كن على يقين بأن لا حدود لأشواقي الى أفراح اليوم السعيد الذي لا أرى فيه جياد حظي العاثر مرهقة عاجزة عن الجري، ولياليّ السوداء ترسف مكبلة في أصفاد الذل والشقاء. أرجوك أن تذهب الى عروسك وتهتم بها لأنها أصبحت ملكك. تعال يا اريال يا خادمي الامين اريال.

(يدخل اريال)

اريال : بماذا تأمرني يا سيدي ؟ ها اناذا بين يديك ورهن اشارتك.
بروسبارو : ان آخر خدمة أديتها لي أنت وجماعتك، جاءت على أكمل ما يرام. ولذا أنوي أن أبقيك في خدمتي وأكلفك بمهمة مماثلة. إذهب واتفق مع هذه الفرقة للعمل عندي. وسأطلب من أفرادها أن يخضعوا لأوامرك وأن ينشطوا في ما يؤدونه من خدمات لأني مصمم على ان أمتع أنظار هذين الزوجين الشابين ببعض الألعاب والخدعات المسلية على طريقتي كما وعدتهما وهما يترقبان ذلك مني.
اريال : حالا وسريعا.
بروسبارو : بل أسرع من لمح البصر.
اريال : قبل أن تقول لبَّيك، اذهب ونفذ طلبي. وحالما تسترد أنفاسك تستدعيهم فيشير كل واحد منهم بحركة انسيابية من يده ويتساءل قائلا : هل تحبني يا معلمي أم لا ؟
بروسبارو : أنت تعرف جوابي يا اريال الفطين، فامكث هناك حتى أناديك.

(يغيب)

اريال : فهمت.
بروسبارو (لفردينان): لا تثق بكلامه، واحذر المداهنات. ومهما ارخيت لفصاحتك العنان، فان أبلغ المواعظ ليست سوى هشيم بقرب نار متأججة. امتلك زمام امرك، وإلا، فالسلام على احتجاجاتك الضائعة.

فردينان : لا تخشَ يا سيدي على مصيري. ان قلبي نظير الثلج الناصع البياض، طهارته تتيح لي أن أنعم بهدوء الأعصاب وراحة البال.
بروسبارو : تعال حالا يا اريال، ولا تنسَ أن تذكرني بواجباتي. فخير لي أن تبرز نقائصي امام الحاضرين من أن يسيطر العقم والجمود عاجلا على ذهني وأظهر للناس بلا ذوق ولا نظر، كأني لا أعرف سوى السكوت البليد.

(تعزف الموسيقى)

القناع

(تظهر ايريس)

ايريس : أيتها الغنية ساراس، يا سيدة الحقول الخصبة بالقمح والزؤان والتبن والشعير، وبجبالك الخضراء حيث ترعى النعاج وتؤمن أكواخك لها الدفء والمأوى والمؤن، وضفاف أنهارك المزهرة تفيض بالخيرات التي يمنحها شهر نيسان كما ترغبين. لك أنت أيتها العروس المتألقة، والملكة المتوَّجة بالعفة تأسرين بحلاوتك ولطافتك قلوب العشاق بعد ان أضناها الشوق في ظل أغصان كرومك المتكئة على العرائش المثقلة بعناقيد العنب وشواطئك الحافلة بنواتىء الصخور حيث تتهادين بمشيتك الرشيقة لتنشق الهواء النقي. انت ملكة جليلة وأنا دعامة تستندين اليها بعز وأمان. سأحميك من حسادك ومناوئيكِ. هنا في هذه البراري تستقبلين أنصارك ومريديك وتفرحين بحبهم وتشاركينهم ولائمهم الفاخرة التي يعدونها لك. ان هؤلاء الطواويس يملأون الفضاء بضجة مفاخرهم ولذا تقدمين لهم يا ساراس الغنية واجب التحية والاكرام.
ساراس : ها أناذا أحيِّيك أيتها النجمة الساطعة، يا من تناجين الآلهة وتسرحين في الأجواء الرحبة، وفي علياء سمائك تحلقين بجناحيك فوق الحقول ناثرة قطرات الندى الرطيب، وتاجك اللاذوردي يكلل هامتك، فتتباهى وتزدهي بك غاباتي وحقولي المخضرّة وأشجاري المزهرة كأنها وشاح ملون يزين أكتاف هذه الروابي الضاحكة. والآن لماذا تطلب ملكتي حضوري الى هذه المروج الزاهية ؟
ايريس : هناك عهد غرام نزيه يجود بكنوز الحنان على هذين الحبيبين الفتيَّين.

ساراس : يا قوس قزح، قل لي : هل كانت فينوس إلهة الجمال وابنها يواكبان الملكة ؟ فمنذ ان حيكت الدسيسة التي أسلمت ابنتي الى الظالم « ديس » بتّ أكره صحبتها.

ايريس : لا ترتبكي، فقد صادفت في الأعالي هذه الإلهة التي تجري فوق السحاب لمقابلة الاله « فابوس ». ستظل هي وولدها محرومين من الهمة والنشاط كالحمام المقصوص الجناح حيال الحب الطاهر. انها صديقة إله الحرب مارس ونظيره هي دائما متحمسة ومهمومة. أما ابنها فكالحشرة الحقيرة، قد شوهت ملامحه الضغائن وتنكرت هي لتغيير ملامحه، فأضحى الأولى بها أن يتسلى، كما قالت، مع العصافير كالطفل العابث.

ساراس : ها هي ملكة السماء جينون الإلهة العظيمة تنزل من عليائها.

(تدخل جينون)

جينون : كيف حالك يا أختي الحبيبة ؟ علينا أن نوطد هناء هذين الزوجين الماثلين أمامنا. فأنا أود أن يكونا متفاهمين سعيدين. (تنشدان).

الغنى والرخاء والزواج المبارك
تنشدها جينون وهي تبغي سرورك
والخصب والنجاح والحياة المديدة
منذ الأزل هي لك أمنية حميدة.

ساراس : الأرض الجيدة والحصاد كالذهب الأصفر
والاهراء الملأى بجانب المرج الأخضر
والعرائش المنشورة المثقلة بالعناقيد
والربيع المزهر الحافل بأيام العيد
تبارك غلة الصيف، والسعد تستزيد
وزوال الهم وبعد الضيق عن بيتك تريد
وساراس البهية تتمنى لك المزيد.

فردينان : ما هذه الرؤيا الجليلة المجيدة المنسجمة مع أحلى الأماني ؟ هل عليّ أن أفترض ان الأرواح الخيِّرة تحيط بنا وترعانا ؟

بروسبارو : أجل، الأرواح التي اختارها خيالي لتجسيد الآمال التي يشغل تحقيقها بالي.

(جينون وساراس تتحدثان بصوت خافت)

ميراندا : اسكت يا صاح. فان ساراس وجينون تتجاذبان أطراف الحديث وتتجاملان.

بروسبارو : دعونا نتمتع بهذه اللحظة السعيدة. اسكتوا ولا تنبسوا ببنت شفة. وإلا بدّدتم سحر هذه الساعة البهيجة.

ايريس : يا بنات، يا إلهات الينابيع والأنهار الجارية بحيوية وصفاء محاطة برماح القصب الأخضر المتمايل، غادرن مجاري المياه، وبين الأعشاب استجبن نداء جينون وتعالين أيتها العرائس الراضيات واحتفلن بدون إمهال بوفاء الحب الأصيل.

(تدخل عرائس البحر)

وأنتم أيها الحصادون الذين تحرق الشمس بشرتهم، تنازلوا عن ثلوم حقولكم لهؤلاء الحسناوات الفاتنات. وليعتمر كل واحد منكم بقبعة من القش ويمسك بيد إحدى عرائس البحر ليرقص معها على أنغام الاهازيج القروية.

(يدخل الحصادون الذين يخاصرون العرائس في رقصة رائعة)

بروسبارو (على حدة): كدت أنسى المحاولة الدنيئة التي قام بها الحيوان كليبان وزمرته بالتآمر على حياتي. هيا انصرفن وينقضي الأمر.

(يسمع صوت نشاز. فيتفرق الحصادون والعرائس، ويتوارون بفوضى)

فردينان : هذا تصرّف غريب. ها هو أبوك ضحية خيبة مزعجة هزت أعماق كيانه.

ميراندا : قبل اليوم لم أشاهده قط في مثل هذه الحالة من الغضب.

بروسبارو : يخيل اليّ يا بني انك في موقف حرج. تشجع يا عزيزي، فهذا ليس الا مزاح وقد انتهى. وهؤلاء الممثلون، كما قلت لك، ليسوا سوى أرواح وقد تفرقوا أيدي سبأ في مهب الرياح. ونظير من يتخيل مشهدا لا وجود له، ها هي الأبراج التي تناطح السحاب والقصور الفخمة والمعابد المهيبة والكرة

الأرضية العظيمة، مثل كل ميراث تذوب وتضمحل كالملح في الماء. وهكذا في هذا الاستعراض المشؤوم يغيب الواهمون ولا يتركون وراءهم أي أثر. لأننا كسائر الحالمين يسيطر الخيال على حياتنا الوجيزة كأننا غائصون في نوم عميق يشل كل حركاتنا. فانسَ يا عزيزي هذا الانهيار لأن دماغي الهرم لم يعد يحتمل أية معاناة. ولا تضطرب بسبب علتي، بل انسحب الى كوخي وخذ قسطا من الراحة والاطمئنان. سأقوم بجولة أو اثنتين لأريح أفكاري المرتبكة.
فردينان وميراندا (يتهامسان): نودّعك بأمان.
بروسبارو : تعال، فأنا أفكر بك باستمرار. تعال يا اريال.

(يدخل اريال)

اريال : أنا لا أعرف ما يشغل بالك. فما الذي يقلقك ؟
بروسبارو : أيها الروح الخيِّر، هيا نستعد لاستقبال كليبان.
اريال : سمعا وطاعة يا مليكي. بينما كنت أقوم بدور ساراس عنّ هذا على بالي. لكني خشيت اغضابك.
بروسبارو : بربك قل لي أين تركت هذه الحثالة من المخلوقات العجيبة ؟
اريال : لقد سبق وأعلمتك يا مولاي. لكن، لماذا هم هكذا حمر الخدود ؟ هل من كثرة الشرب ؟ مع ان شجاعتهم تكافح الهواء الذي يلفح وجوههم ويزلزل الأرض تحت أقدامهم، ويكاد يجرفهم كالهباء المنثور، وهم يواصلون محاولتهم. فبهذه الفكرة قرعت طبلتي انذار، ونظير الدجاجات المرتعشة اصطكت ركبهم هلعا، وجحظت عيونهم وانتصبت آذانهم لتذوّق الأنغام الموسيقية التي دغدغت مسامعهم. فلهؤلاء الرعاع الذين روَّعهم زئيري بغتة من خلال الوزّال والخيزران وأشواك العوسج وكاد يلقيهم في البحيرة في آخر المطاف بعيدا عن كوخك حيث غاصوا حتى أذنيهم تحت عطاياك السخية وهم لا يزالون يتخبطون قبل أن تبتلعهم المياه المتدفقة على أبدانهم المرتجفة.
بروسبارو : هذا ممتاز يا عزيزي. حافظ على وجهك غير المنظور، لتشاهد في بيتي الزخرفات الرائعة التي استعملتها كالطعم لاصطياد هؤلاء اللصوص والقبض عليهم.
اريال : ليكن ما تريد. ها أناذا أطوع من بنانك. (يخرج).

بروسبارو : هذا الشيطان لا يخضع لأي نظام، ولا يقاوم طبيعة غريزته البهيمية، فيهدر جميع مشاعري الانسانية بدون وازع، كأن حجمها يصغر كلما كبرت قباحته، وغايتها تفسد وأنا أريد اصلاحها وهو يمعن في الازدراء والتهكم.

(يدخل اريال حاملا اعلاما خفاقة)

تعال علقها على شجرة الزيتون هذه.

(يخرج اريال وبروسبارو غير منظورين. ويدخل كليبان واستيفانو وترنكولو وكلهم يقطرون ماء)

كليبان : أرجوك أن تتمهل في مشيتك على رؤوس أصابع قدميك، لأن الخلد أعمى، ونحن نقترب من وكره.

استيفانو : أرنا مهارتك أيها الغول. لقد ادعيت ان عبقريتك لا ينضب لها معين، بينما هو يحتال علينا كالثعلب.

ترنكولو : أنا لست سوى غول، ومثل بول الحصان رائحتي كريهة، لا يسعني الا الاشمئزاز منها.

استيفانو : كما أشمئز أنا أيضا. هل تسمعني أيها الغول ؟ اذا لم تكن راضيا بنصيبك فبامكانك أن ترحل.

كليبان : مولاي الكريم، لا تحجب عني رضاك الغالي، بل أصبر عليّ قليلا. فالكنز الذي أدلك عليه يعوض أضعاف أضعاف عما تعانيه من بؤس وشقاء. يجب علينا أن نخفض أصواتنا، فكل شيء هنا هادىء كأننا في منتصف الليل.

ترنكولو : أجل، لكننا قلقون كمن أضاع قنينته في قعر البحيرة.

استيفانو : هناك خسارة افدح من فقدان الثقة، خسارة ما بعدها خسارة، ألا وهي التمرغ في حمأة المذلة والهوان أيها الغول البليد.

ترنكولو : هذا يزعجني أكثر من ابتلالي بالماء. أهذه هي مهارتك يا غبي ؟ يمكنك أن تتبجح بأنها حقا لا مثيل لها.

استيفانو : سأذهب لاسترجع قنينتي عندما يطفح كيل عذابي.

كليبان : أستحلفك يا مليكي أن تحافظ على هدوئك ورباطة جأشك وأن تتطلع دوما الى الامام. قم بما يلهمك اياه قلبك العطوف لتصبح سيد هذه

الجزيرة الى الأبد، كما انت سيدي أنا كليبان، فأقبِّل قدميك على الدوام.
استيفانو : هات يدك يا صاح، فان أفكارا دموية أخذت تتراقص في خاطري.
ترنكولو : يا عزيزي استيفانو، يا مليكي المفدّى، يا زميلي العزيز، يا استيفانو العظيم، تأمل خزانة الثياب هذه الحافلة بأفخر الملابس، وتصرَّف بها كما يحلو لك.
كليبان : دعه من شرّك يا محتال. هذه ليست الا أسمال بالية.
ترنكولو : آه منك، أيها الغول الخدَّاع. لا تنسَ اننا نحن أرباب هذه الخزعبلات، أيها الملك استيفانو.
استيفانو : انزع عني هذه الثياب، يا ترنكولو، لأني أريد هذا الرداء من تلك اليد.
ترنكولو : ستحصل عليه يا صاحب الجلالة.
كليبان : المحاباة لا تجذب سوى المغفَّل. فهل أنت بهلول حتى تستهويك هذه البضاعة الكاسدة ؟ هيا بنا جميعا، فالقاتل عندما يشرع في تنفيذ جريمته، اذا استفاقت ضحيته بغتة سينعتنا بالسذاجة من قمة رأسنا الى أخمص قدمينا، علَّه ينقذ هكذا موقفه المريب.
استيفانو : عليك ان تخفض صوتك أيها الغول، يا رجل شجرة الزيزفون، أوليس قميصي هذا الذي ترتديه ؟ هيا أجبني فورا، فأنا لي مع شجرة الزيزفون لسان حال ووحدة مصير.
ترنكولو : اذا كنت مستأنسا بهذه المقارنة فلا محالة، يا صاحب الجلالة، سيؤثر عليك البرد.
استيفانو : نحن مدينون مع ذلك الى ألاعيبك. خذ، هذا قليل من الزيزفون، كي لا تذهب فكاهتك سدى بدون مكافأة. وما دمت أنا ملك هذه الاصقاع، فلا تخف وطأة البرد. ما عليك الا أن تشرب مزيدا من الزيزفون الساخن ليدب الدفء في جسمك البارد.
ترنكولو : اقترب أيها الغول، وقارن بين نفسك وهذه البضاعة الرخيصة.
كليبان : أنا لا أريد أن ألمسها. ستضيع عليها الفرصة ان أنا تحولت أو أنت تحولت الى محتال ومهرج ذميم.

استيفانو : هيا ساعدني أيها الغول. أعنِّي على نقل هذا الى حيث خبأت برميلي، وإلا طردتك من مملكتي. هيا احمل لي هذا.

ترنكولو : أراك تطلب المزيد.

استيفانو : لكنه لن يكون الأخير.

(يُسمع صوت نفير الصيد. تدخل الأرواح بهيئة كلاب وتنطلق في مطاردته)

بروسبارو : إلحقوا بهم حتى الجبال.

اريال : الى المال، الى الثروة.

بروسبارو : بل الى التمرد، الى السرقة، أيها الطاغية انهب ما تصل اليه يدك.

(يطرد كليبان واستيفانو وترنكولو الى خارج المسرح)

أصدر أوامرك الى الأبالسة كي يطحنوا عظامهم. لا بد للتشنج العنيف المؤلم أن يقطع أوصالهم فيصيبهم التوتر المزمن، ويقمع تطاولهم ببتر أطرافهم فيمسوا عرضة لهجوم ضواري الغاب وكواسر القمم عليهم.

اريال : اسمعهم كيف يزمجرون.

بروسبارو : طاردوهم بدون هوادة. لأنهم جميعا أعدائي. قريبا تنتهي مشاكلي، وتنطلق أنت حرا في الفضاء تسرح وتمرح على هواك. انتظرني، فأنا لا أزال بحاجة اليك لحظة قصيرة من الزمن.

الفصل الخامس

المشهد الأول

أمام كوخ بروسبارو

(يدخل بروسبارو مرتديا ثوبه السحري ويتبعه اريال)

بروسبارو : لقد اختمر الان مشروعي في رأسي، وهمتي قعساء وعزمي لا يفلّه الحديد، والوقت ملائم، ولم يبقَ سوى التنفيذ.
اريال : في الساعة السادسة، كما اوصيتني، تكتمل استعداداتنا يا مولاي.
بروسبارو : أجل، لقد أكدت لي ذلك، عندما أثرت هبوب العاصفة. اخبرني أيها الروح، ماذا حل بالملك وحاشيته ؟
اريال : احتجزناهم كلهم كما اخبرتك يا مولاي، وهم لا يزالون اسرانا. كن على يقين بأن لا أحد من أصحاب الزيزفون الذين يملأون كوخك، يستطيع أن يتحرك من مكانه بدون موافقتك. فالملك وأخوه وشقيقك أيضا جميعهم هنا يهذون ويتهاترون، الواحد على الآخر، ويندبون سوء حظهم ومصيرهم، والحزن يخنقهم والاضطراب يحطمهم يا سيدي، لا سيما من دعوته أنت الشيخ الصالح غنزالو. فالدموع تسيل على خدَّيه ومن خلال لحيته نظير غيث الشتاء من سقوف القصب. وسحرك يكبِّلهم بقسوة واذا نظرت اليهم يتفطَّر قلبك عليهم شفقة وألما.
بروسبارو : هل تصدّق ذلك، يا أيها الروح ؟

اريال : فؤادي ما امكنه احتمال هذا المشهد، لو كنت من الأنس.

بروسبارو : وكذلك أنا أرثي لحالهم. هل تملك، أنت الذي تشبه الهواء، صفة الألوهة والتغلغل في أعماق الامور لتدرك مدى عذابهم ؟ أنا لا يسعني الا التغافل عما ينتابهم من الأسى، لاني مثلهم مرهف الاحساس، أفهم شعورهم ولا انسى اساءتهم. وهذا دليل قاطع على انسانيتي. انما جريرتهم الاليمة قد جرحتني وأدمت مهجتي. فدعما لحجتي وخلافا لما ساورني من الغيظ أمد مع ذلك لهم يد العون، وهذا حتما صنيع نادر ينبع من فضيلتي لا من رغبتي في الانتقام. فاذا خامرهم الندم فان قراري لن يحيد عن بادرة سماحتهم قيد أنملة، فامضِ وخلِّصهم يا اريال. سأبطل مفعول سحري وأردهم الى صوابهم لعلهم يرعوون من غيِّهم.

اريال : أنا مسرع للمجيء بهم اليك يا مولاي.

بروسبارو (يرسم حلقة سحرية): أين أنتم أيها الجن ؟ يا سادة الآكام والغابات والأنهار والبحيرات، انتم أيها السائرون في ركاب إله البحر نبتون على حصى الشاطىء بأقدام غير ثابتة لا يبقى لها من أثر بعد انسحاب الجزر، أيها الهاربون من المياه حالما يتجه المد نحوكم، يا أشباه الدمى التي تطوف البراري في حلقات موحشة تأبى النعاج أن ترعى ضمن نطاقها، ما بالكم تشتهون أن تكونوا كالفطائر في منتصف الليل، وتترقبون بابتهاج انبلاج الصباح. فلقاء تخاذلكم يا سادتي الضعفاء. أخذت شمس الضحى تتباطأ وأنا أذكر اتجاه الرياح المزعجة التي تقيم أمواج البحر الهائج ولا تقعدها، حتى تبلغ الأفق اللازوردي، وأنتم تقرعون طبول الحرب بدون أن تستعدوا لها. فيما أنا أتبع الرعود التي تصمّ الآذان ولمعان الشهب التي تخطف الأبصار وأحرق الغابات بصواعق غضبي وأزعزع أضخم الصخور من أساسها، وأقتلع جذوع الأرز والصنوبر من جذورها، ومن القبور المفتوحة تلبية لأوامري أقيم الأموات لأن جبروتي لا حدود لعنفه بالرغم من تنكُّري لبطش هذا السحر الطاغي. وحالما استنزل الأنغام السماوية لا تتأخر عن تشنيف الآذان بأعذب الألحان لترد سامعيها الى وعيهم وتفرض عليهم الخضوع المطلق لمشيئتي. فأنا على

أتم الأهبة لكسر عصا سحري ودفن كتبي في أعماق الوادي السحيق حيث لا يتمكن أحد من الوصول اليها.

(تسمع أنغام توحي بالأبهة. يدخل اريال ويتبعه الونزو بصحبة غنزالو، ثم يليه سيبستيان وأنطونيو وكلهم يهذون برفقة ادريان وفرنسيسكو، وجميعهم يدخلون الحلقة التي رسمها بروسبارو، ويجمدون كأنهم تحت تأثير سحر صاعق).

أتمنى أن يرتاح فكرك بسماع هذه الموسيقى الرائعة التي تشدد العزائم وتلجم الأهواء اذ ان دماغك يا للأسف يشبه الان دملا خبيثا غامضا يشلّه مفعول السحر. يا غنزالو الفضيل والجدير بكل احترام، ان عيوني تقرّ بالنظر اليك وينتعش خاطري بسماع أقوالك كأنها قطرات الندى ولا يقوى أي سحر على تعطيل فعلها، وكما يهزم نور الصباح ظلام الليل ويبدد وحشة العتمة، هكذا تأخذ الحواس المنتشية بطرد غيوم الجهل التي تغشى العقول المنفتحة. يا صديقي غنزالو، يا منقذي الأمين، لقد عرفت كيف تظل وفيا لسيدك، وسأكافئك على جميلك لا بالقول بل بالفعل. لقد اضطهدتنا بضراوة، أنا وابنتي، وشاركك أخي في هوسك، وهذا ما يعذب الان قلبك النبيل. فيا سيبستيان، أنت شقيقي من لحمي ودمي، ان ثابرت على أطماعك تكون قد خنت عهد الأخوة وأخرست ضميرك الحي وساهمت في قبائح سيبستيان المتفاقمة. لقد قتلت مليكك في هذا المكان بالذات، وأنا أسامحك مهما بلغت أعمالك من الوحشية لأن مداركنا تتسع شيئا فشيئا وتفيض وتطغى على ما حولها. ومهما غمرتها الأوحال، لا أحد من خصومي يتطلع اليّ ولا يعرفني. يا اريال خذ هذه الخوذة والسيف الى كوخي. سأعمد الى كشف حقيقتي والتعريف بابنتي اخيرا. فبادر الى معاونتي أيها الروح الخيِّر كما كنت تفعل في ميلانو وسأمنحك حريتك عما قريب.

(اريال يساعد بروسبارو على ارتداء ملابسه)

اريال (ينشد):

من حيث تمتص النحلة رحيقها أنا أرشف
وبين أكمام زهر الربيع أتمدد وألتحف
وأنام ملء جفوني عندما البوم ينعب

وعلى ظهر الخفافيش اطير وأعجب
من حزن العابسين وأضحك ولا أشجب
متفائلا بورد الأمل على غصنه يطرب

بروسبارو : يا اريال انت متقيِّد بالنظام، وحالما أراك أتأسف عليك. ولكنك ستصبح مع ذلك حرا. أجل، بدون أي شك. ففي سفينة الملك حيث لا يراك أحد كالعادة، ستجد الملاحين تحت النافذة ينشدون، ورئيس البحارة مع الربان مستيقظين، فاجلبهم حالا الى هنا ولا تضيع دقيقة من الوقت.

اريال : سأنهب الأرض نهبا وأطير مع الرياح التي تسري أمامي، وسأعود بسرعة تفوق مرتين نبضات قلبك الخفاف (يختفي).

غنزالو : الخوارق والكوارث والمخاوف تحيط بي من كل جهة. فأملي أن تساعدني القوى الخيِّرة على الخلاص من هذا المأزق الرهيب.

بروسبارو : تأمل يا مولاي الملك، اني لكي أقنع دوق ميلانو الذليل، بأن أميرا كريما يوجه اليه الحديث، أعانقك أنت وجماعتك بشوق لا يوصف، وأتمنى لك من قلبي أن تحلّ بيننا على الرحب والسعة.

آلونزو : أنا أجهل ان كان بسببه هو وغيره يتحكم النحس بمصيري. مع ان قلبي ينبض كالمعتاد. وألاحظ ان ارتباك ذهني أخذ يميل الى الاعتدال. وكل ذلك يتطلب بعض الشرح والاقناع كما هو الحال في الواقع، لأنك سموح وأنا ألتمس منك الصفح عن اهاناتي. ولكن كيف بقي بروسبارو حيا وأضحى يقيم هنا ؟

بروسبارو (لغنزالو): أولا يا صديقي الكريم، دعني أحيِّي فيك طيبة القلب التي يسرني أن تكون شهرتها قد طبقت الآفاق.

غنزالو : لا يسعني أن أؤكد لك صحة ما تقول.

بروسبارو : ان تذوّق متع هذه الجزيرة يحول دون اعتدادك بهذه الأمور البديهية. أرحب بكم جميعا يا أصحابي. (على حدة لسيبستيان وأنطونيو): أما أنتما فلو شئت لاستنزلت عليكما غضب الملك باطلاعه على فضيحة خيانتكما. غير اني لن أبوح بكلمة واحدة.

سيبستيان (على حدة لأنطونيو): أحذّرك منه لأن له أذنا مرهفة السمع.

بروسبارو : كلا يا سيدي، أنت لست أهلا لأن أدعوك أخي. الا اذا انتقلت عدوى تسامحك اليّ، فاني أصفح عن جميع اخطائك المشينة، وسأسعى لأسترجع لك أمارتك بما انها من حقك.

آلونزو : ان كنت حقا بروسبارو، إروِ لنا تفاصيل نجاتك وكيف غامرت بعد مضي ثلاث ساعات على غرقنا، ولحقت بنا الى هذه الجزيرة النائية حيث فقدت ابني الحبيب فردينان الذي تعذبني ذكراه.

بروسبارو : يحزنني جدا ان أعلم بذلك يا مولاي.

آلونزو : الخسارة فادحة لا تعوض ويكاد الاعتصام بالصبر حيال هذا المصاب يكون مستحيلا.

بروسبارو : أنا أعتقد بالحري بأنك لا تقوى على تناسي ذكرى من لا تفارق صورته ذهني على الدوام لأنه كان لنا خير عون وأمَّن لنا الراحة والاطمئنان.

آلونزو : أأنت أيضا تشعر بهذه الخسارة الكبيرة ؟

بروسبارو : هي فعلا جسيمة بالنسبة اليّ بقدر ما هي مؤلمة. ولكي أستطيع تحملها أحاول استنهاض الهمم للبحث عمن تلمح اليه بعد فقدي ابنتي.

آلونزو : ابنتك ؟ يا إلهي ! لو كان الملك والملكة حاكمين في نابولي لكنت مكثت معهما راضيا، ولما ترددت لحظة في افتراش الأوحال حيث يرقد ولدي. ومتى فقدت ابنتك ؟ هل حدث ذلك أثناء هبوب العاصفة الأخيرة ؟ ان هؤلاء الوجهاء على ما أرى يفتخرون كثيرا بهذه المقابلة وينوون التراجع عن حكمهم الجائر، اذ يأبون ان يعتبروا نظرتهم كحقيقة ثابتة، فبات التصريح بها مسألة طبيعية. ومهما كنت في وضع محرج، اعلم اني أنا بروسبارو، دوق ميلانو، المبعد بصدفة غريبة عن امارتي الى هذا الساحل النائي حيث كدت أنت تغرق ذات يوم قد أصبحت سيد هذه الجزيرة. ان قولك يكفيني ما دام الذي سردته ليس إلا وقائع تاريخية مفصَّلة يوما فيوما، لا رواية مختلقة للتفكهة والتسلية تعتبر كحلقة أولى لاستنباطات لاحقة. فأهلا وسهلا يا مولاي. هذا الكوخ هو اليوم بلاطي وعندي هنا عدد زهيد من الخدم، انما لا رعية البتة لي في هذه الجزيرة. ولكن تبصَّر بما أبيِّنه لك لتوقن بحقي في امارتي التي تنوي

اعادتها اليّ، وأنا على أتم الاستعداد لأن أرد لك يوما هذا الجميل أضعافا. اذ لا بد من أعجوبة لتحقيق رغبتي وتلبية نداء أهالي امارتي.

(يكتشف فردينان وميراندا وهما يلعبان الشطرنج)

ميراندا : مولاي العزيز، يبدو عليك انك لن تخدعني ولن تخيب رجائي.

فردينان : أنا يا حبيبتي ؟ لا شيء في الدنيا يدعوني الى مثل هذا التصرف الأرعن.

ميراندا : ولو خاصمت لأجلي عشرين مملكة، سأظل أعتبر صنيعك لعبة غامضة.

آلونزو : ان كان الأمر كذلك، أكون بالنسبة الى هذه الجزيرة قد فقدت مرتين ابني الحبيب.

سيبستيان : ما أغرب قضيتك !

فردينان : مهما زمجر البحر يعتبر حليما، وأكون أنا قد لعنته ظلما وبهتانا. (يركع).

آلونزو : أخيرا أمنحك بركتي الأبوية وحنوّي الذي يملأ صدري بهجة وسرورا بلقائك. فانهض وأخبرني كيف امكنك الوصول الى هنا.

ميراندا : يا إلهي، كم من الرجال الصالحين يظهرون هنا بغتة، ورائدهم الخير والاخلاص ! مرحا لهذا العالم الجديد الذي يكثر فيه هؤلاء الناس الراتعين بصبيحة جميلة كهذه.

بروسبارو : أهذا غريب عليك يا ولدي ؟

آلونزو : من هي هذه الصبية التي تجاملك، ولم يمر على وجودها معنا أكثر من ثلاث ساعات ؟ أهي الإلهة التي فرقت بيننا، والتي جمعتنا في هذا الظرف السعيد ؟

فردينان : مولاي، هي من البشر، وقد ارسلتها العناية الإلهية لتهوّن عليَّ بعطفها وحنانها حراجة مأزقي. وقد ملت اليها وأنا بعيد جدا عن والدي، ولا سبيل لي الى طلب مساعدته، لاقتناعي بأني لن أستطيع الحصول عليها. هي ابنة دوق ميلانو الشهير الذي لا بد من أن يتذكر اني أشدت به يوما ولم يتسنَّ

لي حتى هذه الساعة أن أراه وأشكره، وقد أنقذني ووهبني حياة جديدة فأصبح لي أبا ثانيا جادت عليّ به هذه الصبية الرائعة.

آلونزو : وها هي أيضا تجد أبا جديدا. ولا عجب ان يتحتم عليَّ بالمقابل التماس العفو من ابنتي.

بروسبارو : دع عنك هذه الهواجس يا مولاي. الأولى بك أن لا ترهق نفسك بمثل هذا الهم الثقيل الذي نزل الان عن كاهلك.

غنزالو : كنت أمسكت دموعي لولا اشتراكي في الحديث الحاضر. حوّلي أنظارك عني أيتها الآلة، وتكرمي بتتويج هذين الزوجين اللائقين باكليل العز والهناء. فأنت وحدك برأفتك ورعايتك دللتنا على طريق الخلاص الذي سلكناه الى هنا.

آلونزو : آمين يا غنزالو، آمين.

غنزالو : هل كان على ميلانو أن تنبذ أبناءها وذريتهم وتحرمهم ارثهم في مملكة نابولي ؟ ابتهجوا واسعدوا لكي تحملوا هذه التيجان الذهبية بفخر الى الابد. ففي احدى الرحلات اهتدت كلاريبال الى زوج من تونس، ولاقى أخوها فردينان عروسا وهو تائه، وبروسبارو خسر امارته وها هو الان يعيش في جزيرة صغيرة لأن كلا منا ضاع في جهة حين لم يعد يعرف مقدار ذاته.

آلونزو (لفردينان وميراندا): هاتا يديكما يا عزيزيّ فالتعاسة والآلام تعصر قلبي حاليا، وأنا لا أريد لكما الا السعادة والرخاء.

غنزالو : آمين، ثم آمين.

(يدخل اريال ويتبعه الربان ورئيس الملاحين مدهوشين)

أنظر يا مولاي، أنظر. هذان أيضا من أتباعنا. ها قد تحققت توقُّعاتي. ان كان لا يزال من مشنقة في الوجود، فهذا الباسل لن يستحق أبدا أن يعلَّق عليها. لا تجدف اذاً. من منا يسعه أن يعاند العناية الربَّانية في عرض البحر الهائج، ولا يشكر الظروف التي أتاحت له النزول الى الشاطىء ؟ هل فقدتم موهبة النطق حتى سكتُّم هكذا ؟ ما وراءكم من الأخبار ؟

الرئيس: أفضل خبر هو اننا وجدناكم بخير سالمين. يا ملكنا المبجَّل، ويا رجال الحاشية، باستطاعتكم أن تناموا ملء جفونكم لأن سفينتنا التي ظننا منذ ثلاث

ساعات انها تحطمت، ها هي تعوم سليمة على صفحة الماء، وأشرعتها مرفوعة كما كانت يوم نزولنا الى البحر.

اريال (لبروسبارو): لقد قمت بهذه المهمة وحدي يا مولاي.

بروسبارو : ما أنشطك أيها الروح الخيِّر !

آلونزو : ان مثل هذه الأحداث ليست عادية لأنها تسير من سيء الى أسوأ، بدون مهادنة. ألا اخبروني كيف وصلتم الى هنا ؟

الرئيس : أنا أفترض يا مولاي، اني لا أزال أتذكر كل شيء، وأحاول جهدي أن أعلمك كيف. كنا متمددين جميعنا على الأرض راقدين كالأموات. ولا أدري بأية أعجوبة وجدنا ذواتنا في مأمن داخل السفينة حيث سمعنا صخبا مروعا وزمجرة هائلة وقعقعة حديد وزئيرا وأزيزا وكلها تحدث ضجة جهنمية متزايدة، أيقظتنا مذعورين، فانتفضنا جميعا، وبادرنا الى اعداد سفينتنا الملكية الجميلة، اذ أبصرنا الربان مشدوها لا يتمالك نفسه للوقوف على رجليه. وبدون أن ندري كيف، تفرقنا كأننا في حلم ووصلنا الى هنا ونحن نكاد نفقد رشدنا.

اريال (لبروسبارو): هل أنت راض عن النتيجة ؟

بروسبارو : أجل، كل الرضى. ولذا ستكون حرا طليقا.

آلونزو : ما أصعب تنقلنا فوق هذه التضاريس التي لم تطأها أقدام انسان قبلنا ! ان في هذا التشابك المخيف ما يتخطى تسلسل الامور بصورة طبيعية. فلا بد لنا من انتظار نزول الوحي علينا لنتمكن من ادراك كنه ما حدث لنا ومغزاه.

بروسبارو : يا مليكي المحبوب، لا تجهد ذهنك لتفسير غرابة ما أصابنا. فعندما يحين الأوان تتضح هذه الغوامض المداهمة، وترى الأسباب الحقيقية التي جرّت علينا هذه المفاجآت، وأدت بنا الى هذا المصير المؤلم. فهدِّىء روعك ودع الامور تسير في مجراها. (لاريال) : اقترب أيها الروح، وأنقذ كليبان وجماعته، وفك عقدة هذا السحر.

(يخرج اريال)

هل اقتنعت يا مليكي المفدّى، بأن حاشيتك ينقصها بعض الأشخاص الذين غابوا عن ذهنك بدون شك ؟

(يعود اريال وهو يدفع امامه كليبان واستيفانو وترنكولو، وهم في هندامهم المسروق)

استيفانو : لا غنى للجميع عن واحد، كما ان لا غنى للواحد عن الجميع. ليفكر كل منا بنفسه لأننا لا نلاقي حولنا سوى البؤس. تشجع أيها الغول الضخم، تشجع.

ترنكولو : اذا صدقت عيناي وبانت لي حقيقة ما يجري حولي سيتجلى لي مشهد نادر.

كليبان : مرحى لهذه الأرواح، فما أجملها ! وما أكرم معلمي أيضا ! غير اني أخشى الان أن يعاقبني.

سيبستيان : هه، ها. يا مولاي انطونيو، ما هذا الكلام ؟ هل نحن في هرج ومرج ؟

انطونيو : الأمر كذلك على ما أرى. ان أحد الحاضرين، وهو كالحوت ضخامة، سيلقي خطابا هاما.

بروسبارو : تأملوا وتعجبوا، ثم احكموا على مراتب هؤلاء الناس، واحزروا يا سادة كم يساوون. فالمتبجِّح الخبيث، كانت أمه ساحرة داهية شاءَت أن تحكم القمر وتعقِّد أموره وتحيق بدائرته وتغتصب قوّته، واذا بالثلاثة يجتمعون ليسرقوني. ان نصف الشيطان هذا، بل ابليس بشحمه ولحمه قد اشترك معهم بالجرم وكاد يسلبني حياتي. وأنتم تعرفون جيدا اثنين من الجناة الذين عليكم أن تحاذروهم. ولذلك وجب عليَّ أن أعترف لكم بما جرى.

كليبان : هذا يؤلمني جدا.

آلونزو : أوليس استيفانو السكير هو الذي يسهر على تدبير شؤون منزلي ؟

سيبستيان : ها هوذا الان سكران ايضا. فمن اين جاء بالخمر يا ترى؟

آلونزو : ترنكولو هو ايضا مخمور، لا يتمالك نفسه من الترنح والانهيار. فمن اين اتيا بالمشروب الذي أفقدهما الرشد ؟ وما هو دورك أنت في هذه المشكلة؟

ترنكولو : منذ مدة، انا أتحمل مسؤولية هذه الشواذات التي اخشى ان تنتهي الى ما لا تحمد عقباه.

استيفانو : ارجوك بنوع خاص ان تدعني وشأني. فأنا لم اعد استيفانو المعهود، بل تحولت الى كتلة أعصاب موتورة.

بروسبارو : هل صحيح، يا خبيث، انك تريد ان تصير ملك الجزيرة؟

استيفانو : لو شئت لأمسيت ملكا شرعيا ومتوّجا.

آلونزو : هذا أعجب مخلوق شاهدته في حياتي (يشير الى كليبان).

بروسبارو : حركاته مختلّة كوجهه المشوّه. اذهب يا محتال واصطحب رفاقك الى كوخي، اذا اردت أن تظفر بعفوي، والشرط ان تكون تصرفاتك مرضية.

كليبان : ها انذا أود ان اكون رصينا منذ الان، لأنال الحظوة في عينيك. ولكن ما أغباني مثنى ومثلثا في اتخاذ السكير معبودا! أأنا أعبد صنما؟

بروسبارو : ما هذا الكلام؟ هيا اذهب.

آلونزو : بعيدا، بعيدا جدا من هنا. وأرجع هذه البردعة الى حيث وجدتها.

سيبستيان : او بالحري سرقتها، ايها اللص الشريف.

يخرج كليبان واستيفانو وترنكولو)

بروسبارو : مولاي، انا ادعو جلالتك وحاشيتك الى كوخي الحقير لتأخذوا قسطا من الراحة. سأقضي قسما من هذه الليلة في القاء خطابي، ولا أشك بأن الوقت سيمر سريعا اثناء سرد قصة حياتي مع تفاصيل المغامرة الهائلة التي اوصلتنا الى هذه الجزيرة. منذ الصباح الباكر سأرافقك في سفينتك الى نابولي حيث آمل ان أحضر العرس ومراسم زفاف ولدينا. ثم أنسحب الى مدينتي ميلانو، ولن أفكر بعد ذلك الا بالاستعداد لمواجهة ربي عند انتقالي الى العالم الآخر.

آلونزو : اني أتوق الى سماع سيرتك المشوّقة.

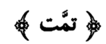
بروسبارو : سأروي في سياقها كل ما حدث، وأنا أؤكد لك بأن يكون البحر هادئا والهواء معتدلا، والاشرعة مرفوعة لتتهادى سفينتك على صفحة الماء وتنضم بأمان الى أسطولك الملكي الصغير. يا صديقي اريال، هذه آخر مهمة

أكلفك بها. ثم تنطلق بسلام، وتكون حرا. الوداع اذاً. سر أمامي لأتبعك.

(يخرجان)

(خاتمة يلقيها بروسبارو).

بروسبارو : لقد بطل السحر وصرت في حل منه، وأعدت الى الكلمة مفادها الاصيل الذي يحسم القضية نهائيا ويعوض عما فات. فلا تعزلوني على ارض هذه الجزيرة المهجورة التي انتفت عنها كل فضيلة، وإلا استولى عليّ اليأس القاتل. ترى، هل بلغت هنا غايتي؟ في الحقيقة، انا سعيد لاني وجدتكم حيث تتبدد الطلاسم، ويتبخر الوهم وينعدم استبداد الارواح. هل حقا اجتمع شملنا بعد زوال المحنة عنا؟ ان كل اتكالي هو على همتكم. وفيما انا أتهيأ للعودة، أحتاج الى سواعدكم المفتولة لتؤازروني. ومتى بُرئت ساحتنا، سيُفك أسرنا، وسننعم جميعنا بالمهادنة. فهيا ننفض عنا غبار الماضي، ونرحل من هنا سالمين.



سَيدان من ڤيرونا

تعريب

أ. ر. مشاطي



أشخاص المسرحية

دوق ميلانو : والد سيلفيا

فالنتينو بروتيو	سيدان من فيرونا

انطونيو	: والد بروتيو
توريو	: مزاحم فالنتينو
أكلامور	: رفيق سيلفيا في هربها
ديليجنس	: غلام فالنتينو
لنسيو	: غلام بروتيو
بنتينو	: وكيل انطونيو

صاحب فندق تقيم جوليا عنده في ميلانو

لصوص

جوليا	: سيدة من فيرونا وحبيبة بروتيو
سيلفيا	: حبيبة فالنتينو
لوسيا	: مرافقة جوليا

خدم وموسيقيون

الأحداث تجري تارةً في ميلانو، وطورا في فيرونا، وأحيانا في غابة على طريق مَنتوَا.

الفصل الأول

المشهد الأول

ساحة مدينة فيرونا

(يدخل فالنتينو وبروتيو)

فالنتينو : كفّ عن اقناعي يا عزيزي بروتيو بأن الشباب الذي تنحصر آماله في البيت هو دائما شباب محدود. لو لم يكن الهوى حليف ايامك الحلوة من خلال سحر عينَي الصبية التي تحبها، لكنتُ طلبت منك ان تسوح معي وترى عجائب الدنيا بدلاً من ان تعيش حيث انت، حياة مضطربة، وتبدد شبابك في مجون مبتذل. ولكن بما انك عاشق، عليك ان تتبع عواطفك، كما أتوخى انا المرح والهناء عندما يهب عليّ نسيم الحب.

بروتيو : ان كنت تريد ان تسافر يا عزيزي فالنتينو، تذكَّر صديقك بروتيو ولا سيما عندما تبصر صدفة طُرَفاً نادرة تستحق الاهتمام اثناء تجوالك. وحاول ان تشركني بمتعاتك حالما تسنح لك الفرصة، اذ تروي لي المغامرات التي تعترض سبيلك، وأنا ادعو الله ان يبعد عنك المشاكل والاحزان.

فالنتينو : أجل، صلِّي لاجل نجاحي في الحب.

بروتيو : سأصلِّي لاجلك ضمن نطاق ما أتمناه لك.

فالنتينو : بل لاكتمال قصة غرام شيقة كما جرى لصاحبك الذي ناجى حبيبته في المنام.

بروتيو : هذه رواية حب اروع من كل ما سمعت به. لان زميلك غائص في احلام اليقظة.
فالنتينو : هذا صحيح. وأنت ايضا غارق في بحر الهوى أو مَا ناجيت حبيبتك في رابعة النهار ؟
بروتيو : أأنا غارق في بحر الهوى ؟ لا تشغل بالك، يا صديقي العزيز.
فالنتينو : صدّقني، وان كان ذلك بعيد الاحتمال، ومهما تجاهلت الحقيقة.
بروتيو : ماذا تقول ؟
فالنتينو : عندما يكون المرء عاشقا يفضح نفسه بما ينتابه من الهم والكدر والدموع والنظرات التائهة القلقة والآهات الخانقة والمتعات العابرة والليالي الطويلة التي يقضيها بالسهاد والحيرة والسأم. ففي حال فوزك بالمنى، سيكون فلاحك وبالا عليك، وفي حال خيبتك، سيكون عذابك مبرّحا لا يعوض عنه أي نجاح. هذا حتما ضرب من الجنون يتعدّى كل حرص، أو قل هو التعقُّل المبطَّن بالهوس.
بروتيو : أهكذا تلخص وضعي وتتهمني بقلة التبصُّر ؟
فالنتينو : في الحقيقة انت تستنتج غير الواقع، وأنا اخشى عليك ان تفقد صوابك.
بروتيو : اراك تلومني على ولهي، بينما أنا لست هائما.
فالنتينو : اعلم ان الحب سيد مستبدّ في تسلطه، ومن يستسلم هكذا الى عواطفه لا يتصف بالحكمة ابدا.
بروتيو : مع ذلك يقول العارفون : كما ان الدمل الخبيث يكمن في أصغر البثور هكذا العشق القاتل يتسرب الى أصفى الاذهان.
فالنتينو : وحسب قول العارفين ايضا : كما ان السوس يفتك بالبرعم المبكر قبل ان يتفتَّح، هكذا يتعرض شباب الفتى الغض، بفعل الهوى، الى جنون مطبق، ويذوي وهو لا يزال غرسة طرية العود. ومنذ اول نشأته يفقد نضارته ورونقه ويخسر زهو مستقبله. ولكن لماذا أضيع الوقت في اسداء النصح اليك انت الذي كرست حياتك لمثل هذه الاشواق المتهافتة. مرة ثانية اقول لك الوداع، لان والدي ينتظرني في المرفأ ليشيعني.

بروتيو : سأوصلك الى هناك، يا فالنتينو.

فالنتينو : كلا، يا عزيزي بروتيو. ليودّع احدنا الآخر هنا. ثم لا تتماهل في الكتابة لي الى ميلانو عن نجاحك في الغرام، وعن كل ما يجدّ معك اثناء غيابي. وأنا بدوري لن أؤخر عليك رسائلي.

بروتيو : أتمنى لك كل التوفيق والسعادة في ميلانو.

فالنتينو : وأنا كذلك. فالوداع. (يخرج فالنتينو).

بروتيو : هو يسعى وراء غار الامجاد، وأنا اسعى وراء مسرّات الحب. هو يغادر اصحابه ليزيد افتخارهم به، وأنا أستسلم، متناسيا كل مشاغلي حتى نفسي، الى مباهج الهوى ومتعاته. آه ! يا عزيزتي جوليا، انت وحدك سبب تحوّلي هذا. وأنتِ سبب تهاوني في دروسي واضاعتي وقتي وتهرّبي من أخلَص الارشادات، وتردي كياني برمته في هاوية العدم. فالذنب كله ذنبك في ارهاق فكري بالاحلام، وقلبي بلوعة العشق، علّة العلل.

(يدخل ديليجنس)

ديليجنس : نهارك سعيد، يا سيدي بروتيو. هل شاهدت معلمي فالنتينو ؟

بروتيو : لقد ذهب منذ لحظة للابحار الى ميلانو.

ديليجنس : أراهن بواحد مقابل عشرين، على وجوده الان على متن السفينة، وأنا أواصل البحث عنه منذ ان غاب عن ناظري.

بروتيو : غالبا ما يضيع الخروف اثناء غياب الراعي.

ديليجنس : انت تعتبر ان معلمي راعٍ وانني كبش بقرنين.

بروتيو : أجل.

ديليجنس : اذاً قرناي هما قرناه، سواء نمتُ أو سهرت.

بروتيو : جوابك سخيف ولا أستغرب صدوره عن حيوان مثلك.

ديليجنس : وما البرهان على اني حيوان ؟

بروتيو : الامر واضح، ما دام سيدك راعيك.

ديليجنس : انا أثبت لك العكس تماما، وحجّتي دامغة.

بروتيو : اكون على خطأ مبين ان لم أثبت لك ذلك ببرهان معاكس أقوى.

ديليجنس : الراعي يسعى وراء الكبش، لا الكبش وراء الراعي. وها انا اسعى

وراء معلمي، وهو لا يسعى ورائي. فاذاً انا لست بحيوان.

بروتيو : الكبش يتبع الراعي للحصول على العلف، ولا يسعى الراعي وراء الكبش لكسب أي مغنم. وبما انك تسعى وراء معلمك لنيل أجرك، ولا يسعى اليك معلمك لنفس الغاية فأنت اذاً حيوان.

ديليجنس : اذا جئتني ببرهان آخر كهذا، جعلتني أصرخ : ماع.

بروتيو : ولكن اسمع. هل سلَّمت جوليا رسالتي ؟

ديليجنس : أجل، يا مولاي. انا الخروف المسكين التائه، لم اتأخر في تسليم رسالتك الى النعجة الضالة التي لم تعطني فلسا.

بروتيو : ألاحظ ان المرعى غير كاف لكل هذا القطيع.

ديليجنس : اذا كانت نعجتك لا تجد ما يشبعها، فما عليك الا ان تزيد لها العلف.

بروتيو : تباً لك من مغفَّل. سأرسلك انت ايضا الى المرعى.

ديليجنس : لتسليم تحرير جديد، فاستحق على الاقل مئة فلس.

بروتيو : كيف تطالبني بمبلغ ضخم كهذا، وأنا لست مدينا لك بفلس واحد ؟ (يقوم ديليجنس بحركة اشمئزاز). هل هزّت هي رأسها ؟

ديليجنس : هه، ها.

بروتيو : أسألك هل هزّت رأسها ؟

ديليجنس : بدون شك، يا سيدي. لان لها عنقا طويلا ورأسا عاليا.

بروتيو : يا لك من بغل سمج.

ديليجنس : أحقا انت تظنني دابة لا تصلح الا للاشغال الشاقة ؟

بروتيو : كيف تقول هذا، يا صاح ؟

ديليجنس : انت تحمِّلني مكاتيبك وتكيل لي هذا المديح، ثم تدعوني بغلا ؟ وهكذا تستخدمني كدابة للاشغال الشاقة.

بروتيو : يا ملعون، كم انت متوقد الذهن !

ديليجنس : ان ما لديّ من نباهة لا يكفي مع ذلك لحل كيس نقود محكم الربط مثل كيسك.

بروتيو : هيا أفدني بصراحة وإيجاز ماذا أبلغتك ؟

ديليجنس : افتح كيسك اولا، فأفتح لك صدري حالا.
بروتيو (يعطيه قطعة نقود): خذ هذا يا صاحبي لقاء خدمتك، واخبرني ماذا قالت لك ؟
ديليجنس : أعتقد حقا، يا سيدي، بأنك لن تستحوذ على قلبها بسهولة.
بروتيو : كيف تبيًّن لك ذلك ؟
ديليجنس : انا لم استطع ان أستوضحها. وهي لم تعطني فلسا واحدا لقاء تسليمها رسالتك. لذا أخشى من جراء ما ضنت به عليّ، ان تبخل عليك بعواطفها بالرغم مما تبديه انت نحوها من مودة. واذا اردت ان تستولي على قلبها فلن تفلح ان عاملتها باللين، لان عنادها في الحقيقة أصلب من الحديد.
بروتيو : كيف لم تنطق بكلمة ؟
ديليجنس : انها لم تقل لي حتى : خذ هذا لقاء خدمتك. بينما انت، برهانا على سخائك، اعطيتني ستة فلوس، وأنا لك من الشاكرين. عليك من الان وصاعدا ان تسلمها انت مكاتيبك يدا بيد. وما عليّ انا الا ان أوصي معلمي بك خيرا، يا سيدي.
بروتيو : اذهب بسرعة، وأنقذ من الغرق سفينتك الراحلة، لانها لن تهلك اذا كنت على متنها. اما موتك فسيكون أشنع، اذا بقيت على الارض اليابسة. ثم عليّ ان ارسل تحريرا يليق بالمقام. وأخشى ان تزدري جوليا بأشعاري ان وصلتها على يد رسول نظيرك ليس اهلا للثقة.

(يخرجان)

المشهد الثاني

مدينة فيرونا ـــ في حديقة منزل جوليا

(تدخل جوليا ومعها لوسيا)

جوليا : ما قولكِ يا لوسيا الان ونحن وحدنا ؟ هل تنصحينني بأن أصغي الى نداء الحب ؟

لوسيا : نعم يا سيدتي. شرط ان لا تخرّي صريعة سهامه.

جوليا : من بين جميع الوجهاء الذين يغازلونني بالكلام المعسول كل يوم، من هو في نظرك أكمل العشاق ؟

لوسيا : تفضلي وكرري اسماءهم على مسمعي، فأصارحك برأيي بدون مواربة.

جوليا : كيف تجدين السيد اكلامور، البهي الطلعة ؟

لوسيا : هو فارس لبق الحديث انيق لطيف. غير اني لو كنت في محلك لما وقع عليه اختياري مطلقا.

جوليا : وما رأيك بالغني مركوتيو ؟

لوسيا : ثروته لا بأس بها، انما شخصيته لا تعجبني.

جوليا : وما قولك بالظريف بروتيو ؟

لوسيا : ربّاه ! كم تسيطر الحماقة علينا احيانا !

جوليا : ما معنى تلميحك الغريب هذا ؟

لوسيا : سامحيني، يا سيدتي. معاذ الله ان ألفظ، انا المخلوقة الوضيعة، أية ملاحظة بحق احد هؤلاء الوجهاء.

جوليا : ولماذا استثنيت بروتيو من الجماعة ؟

لوسيا : لاني من بين كل الصالحين أعتقد انه افضلهم.

جوليا : وماذا يدعوك الى هذا الاعتقاد ؟

لوسيا : ليس من سبب الا منطق حواء. فأنا أعتقد ما أعتقد بكل عفوية ونزاهة.

جوليا : وتودّين ان أرسي عليه اختياري وأخصه بمحبتي.
لوسيا : أجل، اذا كنت تؤمنين بأن حبك لن يذهب أدراج الرياح.
جوليا : في الحقيقة، هو الوحيد الذي يلح عليّ أقل من سواه.
لوسيا : لانه، على ما ارى، هو وحده الذي يهواك اكثر منهم جميعا.
جوليا : لكن تصريحاته النادرة تدل على ضآلة تعلُّقه بي.
لوسيا : لا تنسي ان النار المتأججة تكوي بحرارة متلفة.
جوليا : انما من لا يظهر عواطفه لا يهوى ابدا.
لوسيا : صدقيني، ان من يبالغ في طرح غرامه يحب أقل من سواه.
جوليا : كم أود ان اعرف فكره !
لوسيا (وهي تسلمها مغلفا): اطّلعي اذاً على هذه الرسالة، يا سيدتي، فتنبئك بما تحبذين.
جوليا (تقرأ): « الى جوليا ». قولي لي من هو صاحبها ؟
لوسيا : من المضمون تعرفين المرسل.
جوليا : بربك، من سلمك اياها ؟
لوسيا : غلام السيد فالنتينو، من قبل بروتيو، على ما أعتقد. وكان بوده هو ان يسلمك اياها. لكنه رآني في الطريق فحمَّلنيها لأوصلها اليك. فأرجوك ان تسامحيني على تسرعي.
جوليا : انت حقا وسيطة غير جديرة بالثقة، لانك لم تترددي في قبولك هذه الاسطر الغزلية، وفي تآمرك خفية على مستقبل شبابي، لعمري، هذه مهمة وافرة الربح، تدل على انك عميلة ممتازة. هيا خذي هذه الرسالة وابذلي جهدك لردها بأقرب وقت، وإلا طردتك وأقصيتك الى الابد عن خدمتي.
لوسيا : أعتقد بأن الدفاع عن الحب يستحق اجرا غير الحقد والاحتقار.
جوليا : أتريدين ان تذهبي ؟
لوسيا : لأدعك تفكرين بالامر مليا ؟ (تخرج).
جوليا : هذا لا يهمني. انما كان الانسب ان ألقي نظرة على هذه الرسالة. لكن من العيب ان اناديها الان وأرجوها ان تطلعني على ما سبَّب لها تعنيفي لانها استلمت هذه الاسطر دون اذني. تباً لها من حمقاء ! هي تعلم اني صبية

نظير سائر الصبايا. فلماذا لم تلح على اطلاعي على مضمون الرسالة ؟ ان الفتاة ترفض بعض العروض حياء، بينما هي تضمر قبولها. ويحا لهذا الحب النزق العنيد، انه كالطفل الذي يخدش وجنة امه وهو يقبِّلها بلهفة. لماذا أنَّبتُ لوسيا بقسوة ؟ وكان عليّ ان أستميلها. كم تصنَّعتُ التظاهر بالغضب، وقلبي يرقص طربا بين حنايا ضلوعي ! فتعويضا عن توبيخي اياها سأناديها وأعتذر لها عن سوء تصرّفي. تعالي يا لوسيا.

لوسيا : بماذا تأمر سيدتي الجليلة ؟

جوليا : هل حان وقت الغداء ؟

لوسيا (وهي تنحني كأنها تلمّ شيئا عن الأرض): أود ان يحين، لكي يهدأ بالك على طعامك، لا على خادمتك.

جوليا : ماذا لممتِ عن الارض بهذه الخفة ؟

لوسيا : لا شيء.

جوليا : لماذا اذاً انحنيتِ ؟

لوسيا : لألتقط ورقة.

جوليا : وهل هي هكذا هامة ؟

لوسيا : هي لا تخصني.

جوليا : اذاً، عليك ان تتركيها حيث كانت.

لوسيا : لا أظن ان فيها ما يستدعي الكتمان.

جوليا : لا بد من ان يكون مصدرها عاشق متيَّم ضمَّنها لواعج فؤاده بكلام رقيق.

لوسيا : لكي يتسنى لي انشاده، هات لحنا مناسبا، ما دمتِ تجيدين التنغيم.

جوليا : على قدر الامكان. يمكنك ان تغنِّيه على أي نغم يعجبك.

لوسيا : الكلمات عويصة المعاني، ويقتضيها نغم يليق بها.

جوليا : مهما كانت عويصة، لا بد من ايجاد لحن ينطبق عليها.

لوسيا : وهذا اللحن يجب أن يكون رخيما اذا اردتِ ان تغنيه انت بنفسك.

جوليا : ولماذا لا تنشدينه انت بصوتك الجميل ؟

لوسيا : انا لا أجيد غناء مثل هذه الكلمات العاطفية.

جوليا : اسمعي ما يجول في خاطري. (تأخذ الورقة وتدمدم). ما رأيك بهذا النغم يا عزيزتي ؟
لوسيا : تابعيه حتى النهاية. مع ذلك اسمحي لي بأن أصارحك بأنه لا يروق لي كثيرا.
جوليا : ألا يعجبك ؟
لوسيا : كلا، يا سيدتي، هو مرتفع الطبقة جدا.
جوليا : انت في غاية الجسارة، يا فتاة.
لوسيا : وهذا التعبير من مستوى منخفض جدا. لقد غيَّرتِ السلَّم فجأة، بينما لا بد من المحافظة على الوحدة ليستقيم الانشاد.
جوليا : كيف استطيع ذلك عندما تباشرين انت بمثل هذا العلوّ ؟
لوسيا : انا لا أرفع صوتي الا للدفاع عنك. آه ! اين انت يا بروتيو ؟
جوليا : لا أريد ان يزعجني أحد بمثل هذه الثرثرة. اليك قراري النهائي في موضوع الرسالة. (تمزق الرسالة). اذهبي وانثري هذه القطع وبعثريها في الفضاء. وان احتفظتِ بها سأسخط عليك.
لوسيا (على حدة) : ها هي الان تتظاهر بالاستياء، ولكنها ستطرب حتما لوصول رسالة ثانية مثلها. (تخرج).
جوليا : لا سمح الله ان أسخط بسبب هذه الرسالة. ما أغباني لكوني مزقت هذه الاسطر الرقيقة، ومما أعقَّني كحشرة طائشة تتذوق العسل ولا تتورع عن لسع النحلة التي انتجته. (تلمّ بعض قطع الرسالة). وللتعويض عن غلطتي أود ان أقبِّل هذه القطع. فعلى هذه مكتوب : « عزيزتي جوليا ». قبحا لك من جاهلة غبية، يا جوليا. فلمعاقبتي على تسرّعي سأدوس اسمي وأسحقه بقدمي ازدراء واحتقارا (ترمي القطع الى الأرض). وعلى تلك مكتوب « بروتيو جريح سهام الحب ». يا لك من اسم عذب أضناه الشقاء. سأجعل له من صدري مقاما يرتاح اليه حتى يشفى تماما. دعني أضمد جرحك بقبلة كالبلسم (تقبِّل القطعة وتضمها الى صدرها). وهذا اسم بروتيو مكتوب مرتين او ثلاثة. اهدئي ايتها الرياح، ولا تبددي حرفا من هذه الرسالة. سأحتفظ بكل ألفاظها الحلوة، ما عدا اسمي انا الذي لا أبالي ان حمله الإعصار وهشمه على

صخرة ناتئة، ثم ابتلعته لجج البحر الهائج. وها هوذا اسمه يتردد في عبارتين: «المسكين بروتيو المهجور»، ثم «بروتيو المشتاق الى فاتنته جوليا». اما اسمي انا فسأمزقه اربا اربا. لكن لا، انه ينسجم برقَّة مع اسم عاشقي الشاكي. سأضمهما الواحد الى الآخر هكذا وأدعهما يتعانقان ويتبادلان القبل، ويتناجيان كما يحلو لهما.

(تعود لوسيا)

لوسيا : الغداء جاهز، يا سيدتي، ووالدك ينتظر.
جوليا : هيا بنا اذاً.
لوسيا : هل تتركين هذه الاوراق المورِّطة هنا ؟
جوليا : اذا شئت اخفاءها، خذيها معك.
لوسيا : لقد أنَّبتني على استلامها، فيجب أن لا تظل هنا تحت نظر أي كان.
جوليا : اراك كثيرة الاهتمام بها.
لوسيا : نعم، يا سيدتي. لكِ ان تقولي ما تشائين، وأنا كذلك. فأرجوك ان تصدقيني بدون ان يتطرق أي شك الى قلبك.
جوليا : هيا بنا. ألا تودّين الذهاب ؟

المشهد الثالث

مدينة فيرونا ــ في منزل انطونيو

(يدخل انطونيو وبنتينو)

انطونيو : قل لي، يا بنتينو، ما هذا الحديث الجدّي الذي وجَّهه اليك اخي اثناء خلوتكما ؟
بنتينو : كان كلامه يدور حول ابنك بروتيو.
انطونيو : وماذا قال عنه ؟
بنتينو : لقد تعجَّب، يا سيدي، كيف تركته يبدد شبابه هنا، بينما غيره من الناس الذين لا يقدّرون العواقب مثلك، يدعون ابناءهم يبحثون عن مهنة :

البعض في الحرب ابتغاء جمع المال، والبعض الآخر في الاكتشافات المثمرة او في متابعة دروسهم في الجامعة. وكان يؤكد ان ولدك بروتيو يستطيع تجربة جميع هذه الوسائل، ويلح عليّ كي لا اتركك تفسح له المجال لتضييع وقته هنا اكثر مما فعل، ما دام ذلك يعود عليه بالضرر من جراء عدم قيامه بأية رحلة في شبابه.

انطونيو : انت لست بحاجة الى الالحاح عليّ في هذا الموضوع لان هذه القضية تشغل بالي منذ شهر تقريبا. لقد قلت في نفسي انه اذا بقي على ما هو سيضيع وقته، وانه لن يصبح رجلا قديرا الا اذا أقبل على مدرسة الحياة. فالخبرة تكتسب بالممارسة وتكتمل مع الزمن الذي يمر مسرعا. والآن عليّ ان ارسله.

بنتينو : سيادتك لا تجهل ان رفيقه الشاب فالنتينو ملحق في بلاط الامبراطور.

انطونيو : أعرف ذلك جيدا.

بنتينو : ومن المستحسن، على ما أعتقد، ان ترسله هو أيضا الى هناك حيث يزداد خبرة في أصول المعاملات الرسمية، اذ يستمع الى لغة راقية ويعاشر كبار الشخصيات، وتكون في متناول يده شتى المعلومات التي تليق بشبابه ونبل محتده.

انطونيو : انا اشكرك على نصيحتك لانها وليدة تفكيرك المصيب. ولكي ترى كم أقدّر حكمتها سأنفذها فورا، وبأقصى السرعة سأرسل بروتيو الى البلاط الامبراطوري.

بنتينو : غدا، اذا شئت. ان دون ألفونسو وغيره من الوجهاء المعروفين سيذهبون لتحية الامبراطور ولوضع خدماتهم تحت تصرفه.

(يدخل بروتيو، وهو يقرأ رسالة، ولا يرى انطونيو ولا بنتينو)

بروتيو : ما أحلى الحب، ما أفسح الامل، ما أبهج الحياة ! ها هو لسانه ينوب عن قلبه، وها هيذا وعود هيامه تبرز كعربون ولائه. كم أود ان يكون باستطاعة آبائنا ان يحبِّذوا ويباركوا غرامنا، فيوطدوا سعادتنا بموافقتهم. اين انتِ، يا جوليا، يا ملاكي ؟

انطونيو (لبروتيو بخشونة): ما هذه الرسالة التي تقرأها ؟

بروتيو (بارتباك): لا تقلق، يا سيدي. هي كلمة تذكار ارسلها اليّ فالنتينو بواسطة صديق قادم من قبله.
انطونيو : ناولني اياها، لكي أطَّلع على ما فيها من أخبار.
بروتيو : ليس فيها من انباء، يا سيدي. هو يطمئنني بأنه يعيش سعيدا محبوبا مغمورا بهبات الامبراطور، ويتمنى ان اكون بقربه لأشاركه هناءه.
انطونيو : وكيف وقع هذا التمنِّي عليك ؟
بروتيو : نظير من يستسلم لمشيئة مولاه، وهو رهن اكتساب رضاه.
انطونيو : ان أمنيتي تنطبق على رغبته. مع ذلك لا تتصور انه استعجلني في اتخاذ قراري. فان ما اقصده، انا الذي أريده وكفى. ولقد قررت ان تقضي انت بعض الوقت بصحبة فالنتينو في بلاط الامبراطور، والمال الذي تؤمِّنه له أسرته سأخصك بمثله لاجل مصاريفك. فكن جاهزا للرحيل غدا. ولن أسامحك ان خالفت مشيئتي، فأمري مبرم ولا قبل بأن تتلكأ في تنفيذه.
بروتيو : يا مولاي، لا يسعني أن اكون جاهزا بالسرعة التي تفرضها عليّ. أتوسل اليك ان تمنحني مهلة يوم او يومين.
انطونيو : اسمع، سأرسل لك فيما بعد ما تحتاج اليه. غدا سترحل حتما. هيا، يا بنتينو، اهتم بتعجيل الاستعداد للسفر (يخرج انطونيو وبنتينو).
بروتيو : هكذا اتَّقيت لهب النار خشية الاحتراق، وارتميت في البحر لأغرِق فيه همومي. لم اشأ ان اطلع ابي على رسالة جوليا خوفا من معارضته حبي، واتخاذ هذه الحجة التي أتذرّع بها، وسيلة للحيلولة دون تحقيق حلمي. ما أشبه ربيع هذا الحب في زهوه العابر بيوم من شهر نيسان يسطع فيه نور الشمس، وقد اخذ الان يحتجب وراء السحاب !

(يعود بنتينو)

بنتينو : يا مولاي بروتيو، والدك يناديك، وهو مستعجل. فأرجوك ان توافيه حالا.
بروتيو : أجل، سأوافيه. مع ان قلبي المشتاق يحرضني الف مرة على الامتناع (يخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل فالنتينو وديليجنس)

ديليجنس : أهذا قفّازك ؟

فالنتينو : لا، ليس لي، لأن قفّازي في يدي.

ديليجنس : هو ليس لك اذاً. مع انه قفاز مماثل للذي تلبسه.

فالنتينو (يتناول القفاز): أرني اياه. بلى، بلى، بلى هو لي، وسأحتفظ به. هو مستلزم أنيق يزين يدا ناعمة. ما أعذبك، يا سيلفيا !

ديليجنس (يصرخ): سيدتي سيلفيا، يا سيدتي سيلفيا.

فالنتينو : ماذا تريد، يا غبي ؟

ديليجنس : هي بعيدة لا يمكنها ان تسمعني.

فالنتينو : ومن طلب منك أن تناديها ؟

ديليجنس : سيادتك. هل انا مخطىء ؟

فالنتينو : انت دائم الزوغان.

ديليجنس : دائما نصيبي الملامة بسبب اخلاصي.

فالنتينو : هل تعرف السيدة سيلفيا ؟

ديليجنس : التي تحبها، يا سيدي ؟
فالنتينو : وكيف علمت بأني أهواها ؟
ديليجنس : لعمري، ان الدلائل ظاهرة، لا تخفى على احد. أولا، لأن موقفك، يا مولاي بروتيو، هو موقف الرجل المحتار. ثم لانك تنشد لحنا حزينا كنغم العندليب الكئيب، وتتنزه وحدك كالمصاب بالبرص، وتتنهد كتلميذ أضاع كتابه، وتبكي نظير فتاة دفنت جدتها، وتصوم كمن فرضت عليه الحمية القاسية، وتسهر كمن يخشى السرقة، وأخيرا تتوسل كمتسوّل في ليلة العيد. في الماضي، عندما كنت تضحك كان صوتك اعلى من صياح الديك، وعندما تمشي كنت تكرّ كالاسد، وعندما تصوم كنت توقّت ذلك دوما بعد العشاء، وعندما تبدو كئيبا كان ذلك بسبب افتقارك الى المال. والآن اراك تغيرت بسبب هجران حبيبتك الى درجة اني عندما انظر اليك يصعب عليّ التصديق انك معلمي.
فالنتينو : أوتلاحظ عليّ كل هذه التبدلات ؟
ديليجنس : أجل، كلها تظهر على سيدي.
فالنتينو : عليّ أنا ؟ هذا مستحيل.
ديليجنس : أجل، أجل، وفي جميع حركاتك. اذ من المؤكد ان لا يتّسم احد، بنفس البساطة. لان هذه المظاهر الغريبة لا تبدو على سيدي الا لانها تتصاعد من أعماق صدره وتبرز من خلال شخصه كما تتلألأ مياه الساقية. وعندما تقع عليها العين تستشفّ ما يكمن خلفها من روعة كما يكتشف الطبيب الماهر علة مريضه من نظرة واحدة.
فالنتينو : ولكن، قل لي هل تعرف السيدة سيلفيا ؟
ديليجنس : التي تأملتها طويلا اثناء العشاء ؟
فالنتينو : هل لاحظت ذلك ؟ أجل هي بعينها.
ديليجنس : انا لا اعرفها.
فالنتينو : كيف اذا رأيتني انظر اليها وأنت لا تعرفها ؟
ديليجنس : أوليست هي الصبية الناعمة الجذابة، يا سيدي ؟
فالنتينو : أجل، يا غبي. ان نعومتها تفوق جمالها.

ديليجنس : انا لا أعرف هذا، يا سيدي.
فالنتينو : تباً لك من احمق ! وماذا تعرف ؟
ديليجنس : انك تخلع عليها مزايا لا تضاهيها اية خصال.
فالنتينو : أعني ان بهاءها رائع، وأن خُلقها لا يفي به وصف.
ديليجنس : الامر الاول خاضع للرسم، والثاني لا يحصره كلام.
فالنتينو : كيف يُرسم وكيف لا يوصف ؟
ديليجنس : أعني انه يُرسم لإبراز محاسنها، وان لا احد من الرجال يتوصل الى تقديره حق قدره.
فالنتينو : من تظنني ؟ اني أعلِّق أهمية كبيرة على جمالها.
ديليجنس : انت لم تبصرها منذ تبدلها.
فالنتينو : ومتى تغيرت ؟
ديليجنس : منذ وقوعك في هواها.
فالنتينو : لقد احببتها من أول نظرة.
ديليجنس : اذا كنت مغرما بها، فلا يسعك ان تشاهدها.
فالنتينو : لماذا ؟
ديليجنس : لأن عين المحب كليلة. آه ! لو رأيتها بعينيّ، لو ابصرتها في النور الذي غمرها حين لمت مولاي بروتيو على خروجه بدون ربطة ساق.
فالنتينو : وماذا كنت رأيت ؟
ديليجنس : لأبصرت هوسك انت وقباحتها هي. عندما كان مولاي بروتيو عاشقا، لم يكن يدري كيف يربط سير حذائه. اما انت فمنذ ان وقعت في حبائل هواها، لم تعد تعرف كيف تلبس نعليك.
فالنتينو : بلغني انك مغرم يا فتى. وصباح الامس لم تعرف كيف تمسح حذائي.
ديليجنس : هذا صحيح، يا سيدي. فأنا مولع بالرقاد في السرير. اشكرك على تلميحك الى هيامي هذا، لانه يشجعني على تنبيهك الى ما يعنيك.
فالنتينو : بالاختصار، انا احفظ لها في الواقع مودة صافية نزيهة.
ديليجنس : عندما تشفى من غرامك بها ستتبدد مودّتك.

فالنتينو : مساء الامس، طلبتْ مني ان أنظم لها بعض أشعار موجهة الى شخص تحبه.
ديليجنس : وهل لبَّيت طلبها ؟
فالنتينو : نعم.
ديليجنس : فنظمتها كيفما جاءت.
فالنتينو : كلا، يا سيدي. لقد بذلت أقصى جهدي لتأتي افضل ما يستطاع. ها هي الان مقبلة.

(تدخل سيلفيا)

ديليجنس (على حدة): يا للمهزلة ! يا للتهريج ! تُرى كيف يعبر لها عن شعوره ؟
فالنتينو : نهارك سعيد الف مرة، يا سيدي.
ديليجنس (على حدة) : المطلوب ان تتمنى لنا ليلة سعيدة واحدة. فما بالك تجود بالملايين.
سيلفيا : يا مولاي فالنتينو، وأنت يا خادمي الامين، عليكما مني الف سلام.
ديليجنس (على حدة): عليه هو ان يدفع الفائدة، وعليها هي تسدد رأس المال.
فالنتينو (يسلم سيلفيا ورقة): كما طلبت مني، كتبت لك الرسالة الموجهة الى صديقك المجهول الذي لم تذكري لي اسمه. ولولا رغبتي في ارضائك لرفضت القيام بالمهمة.
سيلفيا (تفحص الورقة): اشكرك ايها الشاب اللطيف، لقد اجدت كأنك شاعر عبقري.
فالنتينو : صدقيني، يا سيدتي، ان قلت لك ان مديحك في غير محله. بما اني أجهل الى من توجهين هذه الابيات، فقد نظمتها بدون تحديد ولا تدقيق.
سيلفيا : وهل تطلَّب عملك عناء كبيرا ؟
فالنتينو : كلا، يا سيدتي، ما دام ذلك يسرك. انت مريني فأنظم لك أضعاف ما سطَّرته. ومع ذلك...
سلفيا : كلام جميل. نعم، وأنا أتوقع الباقي. مع ذلك، لا أجسر على قوله. ومع ذلك انا لا أهتم للامر. مع ذلك، راجع هذا. (تعطيه الرسالة) ومع ذلك،

اشكرك، لانني مصممة على عدم ازعاجك بعد الان.
ديليجنس (على حدة): مع ذلك، نعم. مع ذلك، مع ذلك، تكررها مرارا عديدة.
فالنتينو (وهو يلاحظ حركة سيلفيا) : ماذا تقول سيدتي؟ أوليست راضية ؟
سيلفيا : أجل، الاشعار في غاية الابداع. ولكن بما انك أكرهت على نظمها، عليك ان تسترجعها. نعم، خذها.
فالنتينو (يقبل الورقة): ولكنها لكِ، يا سيدتي.
سيلفيا : نعم، نعم. انت نظمتها نزولاً عند طلبي. ولكني لا أريدها. فهي لك، لاني كنت ارغبها بأسلوب عاطفي اكثر حنانا.
فالنتينو : اذا شئت، يا سيدتي، كتبت لك غيرها.
سيلفيا : وعندما تفرغ من نظمها اقرأها عني. ان اعجبتك فليكن، وان لم تعجبك فليكن كذلك.
فالنتينو : ان اعجبتني، يا سيدتي، فليكن ماذا ؟
سيلفيا : ان اعجبتك احتفظ بها مكافأة على جهدك. والآن أتمنى لك ليلة سعيدة ايها الخادم الامين. (تخرج مسرعة).
ديليجنس (على حدة): يا للسخرية المضمرة، ولكنها مع ذلك بارزة كالأنف في منتصف الوجه، او كدولاب الهواء في أعلى البرج. ان سيدي يتألم بسببها، وهي، كأستاذ ماهر، تعلِّم المبتدئين كيف يصبحون عباقرة. يا للعمل الممتاز الذي لم يسمع احد بأجود منه ! ان معلمي الذي يعتبر نابغة يكتب لنفسه.
فالنتينو (للخادم): علامَ اذاً يرتكز حكمك هذا، يا سيدي ؟
ديليجنس : انا لا أهتم الا بالقوافي. الحق معك.
فالنتينو : لماذا ؟
ديليجنس : لانك تكتب بالنيابة عن السيدة سيلفيا.
فالنتينو : على لسان من ؟
ديليجنس : على لسانك انت. مع العلم ان تصريحها مقلوب رأسا على عقب.
فالنتينو : أي تصريح ؟
ديليجنس : طبعا الوارد في الرسالة.

فالنتينو : هي لم تكتب لي مطلقا.
ديليجنس : وما حاجتها الى ذلك، بما انها جعلتك تكتب لنفسك ؟ أولم تعِ المهزلة ؟
فالنتينو : كلا، صدّقني.
ديليجنس : هذا حقا غير معقول، يا سيدي. أولم تشاهد كل ما اظهرته من فن التمويه ؟
فالنتينو : انها، على سبيل المكافأة، لم توجه اليّ سوى اللوم.
ديليجنس : ماذا تقول ؟ هل سلمتك الرسالة ؟
فالنتينو : الرسالة التي كتبتها انا الى صديقها ؟
ديليجنس : هذه الرسالة قد استلمها صاحبها وانتهى الامر.
فالنتينو : ارجو ان لا يجد ما يزعجه في هذا الموضوع.
ديليجنس : أؤكد لك ما أقوله (يعلن) : لأنك كتبت له مرارا وتكرارا، لم يستطع ان يرد، سواء من قبيل التواضع او ضيق الوقت، او خشية ان تكشف الرسالة سرها. لذلك طلبت الكتابة الى عاشقها بواسطة عاشقها ذاته. ان كل ما أشير اليه هنا هو المكتوب، لاني ادركت مضمونه بوضوح. ولكن، بماذا تفكر، يا سيدي ؟ لقد حان وقت الغداء.
فالنتينو : انا تغديت.
ديليجنس : حسنا. لكن اسمع، يا سيدي. مهما استطاعت حرباء الحب أن تعيش من الهواء فقط، فأنا من الذين يتغذون بالأطعمة، وسأتناول بطيبة خاطر أطيب المآكل. لا تكن نظير معلمتك. لا تقاوم، ارجوك أن لا تقاوم (يخرجان).

المشهد الثاني

مدينة فيرونا ـــ في منزل جوليا

(يدخل بروتيو تتبعه جوليا)

بروتيو : صبرا، يا عزيزتي جوليا.

جوليا : لا سبيل الى غير ذلك طالما لا يوجد أي حل آخر.

بروتيو : سأعود حالما يتيسر لي الرجوع.

جوليا : اذا لم يؤخرك مانع، ستعود في وقت مبكر. فاحتفظ بهذا التذكار اكراما لعزيزتك جوليا.

(تعطيه خاتما)

بروتيو (يأخذ الخاتم ويعطي جوليا خاتما آخر): سنتبادل هذه الخواتم. خذي انتِ هذا.

جوليا : ولنوطد اتفاقنا بقبلة بريئة (يتعانقان).

بروتيو : هاك يدي عربون ارتباطي الدائم بك. واذا تركت ساعة في اليوم تفلت مني بدون ان أفكر فيك، يا عزيزتي جوليا، فليحلّ بي عقاب صارم تكفيرا عن اهمالي حبك. ان والدي ينتظرني، فلا تحرجيني. هذا وقت ركوب البحر لا ذرف الدموع. أيقني بأني سأوثِّق ارتباطي بك مدى العمر. وداعا يا جوليا (تخرج جوليا بعجلة) كيف ذهبت بدون ان تنبس ببنت شفة ؟ لعمري، هذا هو الحب الصادق الذي لا يحيجها الى المزيد من الكلام، لان أمانتها تمتاز بالافعال اكثر من الاقوال.

(يدخل بنتينو)

بنتينو : مولاي بروتيو، ان هناك من ينتظرك.

بروتيو : انا آت. من المؤسف ان يلوذ العشاق المساكين بالصمت الرهيب (يخرجان).

المشهد الثالث

ساحة فيرونا

(يدخل لنسيو وهو يجرّ كلبا مربوطا بسير من الجلد)

لنسيو : ستنقضي ساعة أخرى قبل أن أكف عن البكاء. كل أفراد عائلة لنسيو تطغى عليهم هذه النقيصة. وأنا نلت نصيبي مثل سائر ذويّ، وسأذهب مع مولاي بروتيو الى البلاط الامبراطوري. أظن ان كلبي البليد هو قليل الحساسية بين بني جنسه. أمي كانت تبكي، وأبي يشهق، وأخي يعول، وجميع اهل البيت يشكون من هذه العلة. وهذا الكلب لم يذرف دمعة واحدة. انه من الحجر بل هو صخرة صمَّاء، ولا تخالجه أية عاطفة شفقة. لقد بكى الكثيرون على فراقي، حتى جدتي التي فقدت بصرها بكت على رحيلي حتى عميت، وسأريكم كيف. هذا الحذاء هو والدي. كلا، فالفردة اليسرى هي والدي. كلا ثم كلا. ما هذا الهذيان ؟ لو كان الأمر كذلك لكان نعله مثقوبا، وهذا الخفّ المثقوب هو والدتي، وذاك هو والدي. اني أستحق اللعنة ان كانت المسألة هكذا. والآن، يا سيدي، هذه العصا هي أختي. اذ انها أشد بياضا من الزنبق وأنحف من عود الورد، وهذه القبعة هي خادمتنا نانيتا. انا كلب. لا، الكلب حيوان، بل انا كلب. أجل، الكلب هو انا لا غيري، أجل، أجل. وإلا اتجهت الى والدي بقولي: ألتمس صفحك، يا أبي. لكن الحذاء لن ينطق بكلمة واحدة. حسن. هو يبكي اكثر من قبل. والآن أتوجه الى أمي. آه ! لو كانت تستطيع الكلام ! لكنها عاجزة. يجدر بي ان أقبِّلها وأستسمحها. هذه فعلا زفراتها اللاهثة تلامس خدّي. والآن أتوجه الى أختي، وأنا أسمع تنهداتها. فالكلب لم يذرف دمعة، ولم ينطق بكلمة طوال هذه الفترة. حقا، ما هذا الهذيان ؟ اما انا، فانظروا اليّ كيف اسقي تراب الارض بدموعي (يشهق بالبكاء).

(يدخل بنتينو)

بنتينو : الى الامام، يا لنسيو، الى الامام. إصعد الى السفينة، فمعلمك قد سبقك اليها، وعليك ان تلحق به مهما كلف الامر. ماذا جرى ؟ لماذا تبكي، يا هذا ؟ الى الامام، يا حمار. سيفوتك ركوب البحر، اذا تأخرت اكثر مما فعلت الى الان.

لنسيو : لا يهمني امر السفر، اذا فاتني. لانه غير مستحب، ولا اجد أشق منه.

بنتينو : ماذا تريد ان تقول ؟ السفر غير مستحب ؟

لنسيو : أجل، والله. ان المضطر الى الرحيل هو كلبي الغبي.

بنتينو : يحزنني ان أحذرك، يا صديقي، من صخب الموج الذي سيُنزل بك خسارة جسيمة، اذ ستفلت من يدك فرصة السفر، وبفواتها ستفقد معلمك، وتخسر عملك في خدمته. وبضياع عملك... لماذا تسد فمي ؟

لنسيو : لكي لا تذهب كلماتك أدراج الرياح.

بنتينو : ولماذا تضيع كلماتي ؟

لنسيو : لتفوّهك بهذا الهذيان العقيم.

بنتينو : انا لا أعرف شاطئا امينا.

لنسيو : أأنا يفوتني سفري ومعلمي وعملي، وهذا الوضع ايضا ؟ انت لا تعرف اذاً يا صديقي ان البحر لو كان جافاً لملأت هوّته بدموعي، ولو لم تهبّ الرياح عليه لدفعت السفينة بقوة زفراتي.

بنتينو : هيا نذهب، يا صديقي، فأنا مكلف باصطحابك.

لنسيو : تصرّف على هواك.

بنتينو : هل تريد مرافقتي ؟

لنسيو : حسنا. هيا بنا.

المشهد الرابع

ميلانو ـــ في قصر الدوق

(يدخل فالنتينو ترافقه سيلفيا وتوريو وديليجنس)

سيلفيا : يا غلام.

فالنتينو : سيدتي.

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو): مولاي، سيدي توريو ينظر اليك شذرا.

فالنتينو (بصوت خافت لديليجنس) : يا بنيّ ها هنا يتجلى الحب بأبهى مظاهره.

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو): ليس لي.

فالنتينو (بصوت خافت لديليجنس): اذاً لسيدتي.

ديليجنس (بصوت خافت لفالنتينو): الأولى بك ان تهمله.

سيلفيا (لفالنتينو): ما لك كئيب، ايها الخادم الحزين ؟

فالنتينو : أحقا، يا سيدتي، يبدو الحزن عليّ ؟

توريو : وهل يظهر عليك ما ليس فيك ؟

فالنتينو : ربما.

توريو : هكذا تبدو سحنتك مقلوبة.

فالنتينو : مثلك تماما.

توريو : بماذا أظهر على غير حقيقتي ؟

فالنتينو : بقلة المشاعر.

توريو : وأي دليل لديك على ذلك ؟

فالنتينو : هوسك.

توريو : وأين اكتشفته ؟

فالنتينو : في بحثك عن سترتك.

توريو : ان سترتي برهان قاطع على سلامة ذوقي.
فالنتينو : بل هي دليل صارخ على انحراف ذوقك.
توريو (غاضبا): كيف ؟
سيلفيا : هل بلغنا حد الغضب، يا مولاي توريو ؟ هل تغيرت طباعك الهادئة ؟
فالنتينو : دعيه يتصرف كما يشاء، يا سيدتي. فهو متلوّن كالحرباء.
توريو (على حدة): من الذي ينوي ان يشرب من دمك اكثر من ان يهضم لهجتك المتغطرسة ؟
فالنتينو : ماذا تقول، يا مغفَّل ؟
توريو : لا شيء، يا سيدي، وقد قضي الامر هذه المرة.
فالنتينو : انا أعرف، يا سيدتي، انك تنتهين دائما قبل ان تبدئي.
سيلفيا : انا ارى، يا سادة، ان هذه ليست سوى فورة كلام لا تلبث ان تهمد.
فالنتينو : هذا صحيح، يا سيدتي، فشكرا لصاحب هذه الدعابة.
سيلفيا : من منكما يروّج المهزلة ؟
فالنتينو : انت نفسك، يا سيدتي. لانك اذكيت نارها وحمَّيت أوارها. ومولاي توريو يستمد الحماس من فتنة نظراتك، يا مولاتي، وأثناء حضورك يستهلك ما يستعيره من كرم منقطع النظير.
توريو : لو كنت تنقدني كلمة بكلمة، يا سيدي، لكنت شهدت عاجلا افلاس مواهبك.
فالنتينو : انا اعلم، يا سيدي، انك تختزن ثروة من الحديث المبتذل وأعتقد بأنك لا تملك سوى هذه العملة الزائفة تجود بها على الناس. وها هي ملابسهم الرثة المهلهلة أصدق دليل على ما تمنحهم من كلام فارغ رخيص.
سيلفيا : كفى، يا سادة، كفى. ها هوذا ابي.
الدوق : ما وراءك يا بنيَّتي ؟ اراكِ محاطة بأشخاص لا يرتاح المرء اليهم كثيرا. مولاي فالنتينو، ان والدك يتمتع بصحة جيدة. فكيف تتلقى زيارة صديق يأتيك بأروع الأخبار ؟
فالنتينو : يا مولاي، انا اشكر رسالتك السعيدة التي تأتيني بها من مصدر حبيب على قلبي.

الدوق : هل تعرف مواطنك دون انطونيو ؟
فالنتينو : أجل، يا مولاي الكريم، أعرفه بصفته احد الوجهاء الممتازين المقتدرين، وقد اكتسب سمعته الطيبة عن جدارة واستحقاق.
الدوق : أوليس له من ولد ؟
فالنتينو : أجل، يا مولاي الكريم. ان له ابنا لا يشذ عن قاعدة الشرف والصيت الحسن الذي ينعم به والده.
الدوق : هل تعرفه جيدا ؟
فالنتينو : أعرفه كما أعرف نفسي. لاننا منذ طفولتنا عشنا سوية وقضينا العمر معا بدون ان نفترق. انا لم اكن سوى كسول ضيَّعت أوقاتي الثمينة سدى، بدلا من ان أزود شبابي بالحكمة والكمال، بينما بروتيو، وهذا هو اسمه، كان يكرس اوقاته لاهداف مفيدة نبيلة. فاكتسب حنكة الشيوخ بالرغم من حداثة سنه. وهو ينعم بربيع العمر مقرونا بنضوج التفكير، وسعة الخبرة، وبكلمة، أجده يستحق أضعاف ما أخصه به هنا من مديح، فهو موهوب خُلقاً وخَلقاً، ويتَّسم بجميع الصفات الحميدة التي يتسنى لرجل من النخبة ان يتحلى بها.
الدوق : هنيئا له، يا سيدي، اذا كان حقا يمتاز بما تنسبه اليه. فالاجدر به ان يكون حبيب امبراطورة من ان يكون مستشار امبراطور. بالاختصار، ان هذا الرجل قد جاءني مزوَّد بتوصية من احد الوجهاء البارزين، وهو ينوي ان يقضي بعض الوقت هنا. أعتقد بأن هذا النبأ لن يكون سيىء الوقع عليك.
فالنتينو : حقا لو تمنيت حضور شخص الى هنا، لكان هو دون سواه.
الدوق : خصِّيه اذاً بما يليق به من كرم الضيافة. فاليك، يا سيلفيا، أوجه كلامي، واليك ايضا يا مولاي توريو. اما فالنتينو فلست بحاجة الى تحميسه، وسأرسله اليك حالا. (يخرج الدوق).
فالنتينو (لسيلفيا): هذا احد الوجهاء، كما سبق وقلت لك. وكان من الممكن ان يرافقني، لو لم تأسره عيون حبيبته بنظراتها الشفافة الساحرة.
سيلفيا : لا بد من ان تكون قد أطلقت سراحه بشرط ان يظل رهن اشارتها.
فالنتينو : كلا، انا واثق بأنها لا تزال تحتفظ به سجين هواها.

سيلفيا : لا، لا. أخشى أن يصاب بالعمى. واذا فقد بصره كيف يتسنى له ان يرى طريقه اليك ؟

فالنتينو : يا سيدتي، ان للحب عشرين وسيلة ليبصر.

توريو : يقال ان الحب اعمى لا عيون له.

فالنتينو : كي لا يرى العشاق أمثالك، يا توريو. فالحب يغمض عينيه، لانه لا يرغب في مشاهدة ما يزعجه.

سيلفيا : كفى، كفى. ها هوذا الرجل قادم.

(يدخل بروتيو)

فالنتينو : أهلا بك يا بروتيو. أتوسل اليكِ ، يا سيدتي، ان تبرهني له على انك ترحبين به وتخصِّينه بتحية رقيقة.

سيلفيا : ان جدارته هي افضل ضمانة للاحتفاء به هنا، وهو الذي طالما تمنيت الاجتماع بشخصه.

فالنتينو : أجل هو بعينه، يا سيدتي الكريمة، فاسمحي له بأن يكون زميلي في خدمتك.

سيلفيا : خدمتي انا ! هي كلمة مبتذلة بالنسبة الى انسان لبيب نظيره.

بروتيو : كلا، يا سيدتي الفاضلة، ان سمجا مثله هو آخر من يستحق نظرة رعاية من امرأة نبيلة من أمثالك.

فالنتينو : دعي عنك الاحتجاج بعدم اللياقة، واقبليه خادما لك، يا سيدتي الجليلة.

بروتيو : سأبذل قصارى جهدي في خدمتك وإرضائك، يا سيدتي الكريمة.

سيلفيا : ان تتميم واجباته كفيل بتقديره ومكافأته. اهلا بك ايها الصديق في بيت امرأة لا تستحق صحبتك.

بروتيو : لن أبخل حتى بحياتي في سبيل نيل الحظوة في عينيك، يا سيدتي.

سيلفيا : انا أرحب بك.

بروتيو : انكِ تستحقين كل خير واكرام.

توريو : مولاي والدك يود ان يكلمك، يا سيدتي.

سيلفيا : انا تحت امره. تعال معي، يا سيدي توريو. (لبروتيو) مرة اخرى

أرحب بك، يا صاحبي الجديد. سأدعك تتحدث عن أمورك الخاصة فيما بعد. وعندما تنتهي، آمل ان اسمع ما وراءك من أخبار. (تخرج سيلفيا مع توريو وديليجنس).

فالنتينو : والآن، أعلمني كيف حال جميع من غادرتهم هناك.

بروتيو : تركتهم كلهم بصحة جيدة.

فالنتينو : كيف حال زوجتك ؟ هل انت سعيد، وعلى أتم الاتفاق معها ؟

بروتيو : في الماضي، كانت قصص حبي تضايقك. وأنا أعلم بأن احاديثي عن الهوى لم تكن لتسرّك.

فالنتينو : آه ! يا بروتيو. لقد تغيرت حياتي تماما منذ حين، وقاسيت الأمرّين بسبب ازدرائي بهيمنة الحب. فعاقبني، واحسرتاه، بفترات حرمان قاسية وبتنهدات مريرة ودموع حارَّة وليالي سهاد طويلة وأيام قاتمة تخللتها الآهات الاليمة. أجل، للانتقام من استهتاري، طرد الغرام النوم من عيوني الساهرة، وجعل منها حارسا يقظا على قلبي السقيم. آه يا بروتيو الوفي. ان الحبيب مولى مستبد قوي الشكيمة، ذلني الى حد جعلني ادرك ان لا عذاب يفوق نفوره، ولا فرح يعادل رضاه. من الان وصاعدا لا أريد سماع أي حديث عن الغرام. فكلمة محبة تكفيني مهما كانت جافة.

بروتيو : اني اقرأ تعاستك في عيونك التائهة. فهل علّتك هي المرأة التي وقفت عمرك على هواها ؟

فالنتينو : هي بعينها. أوليست ملاكا طاهرا ؟

بروتيو : بل هي شيطان رجيم.

فالنتينو : سمِّها كما تشاء.

بروتيو : لا أريد ان أتملَّقها.

فالنتينو : تملَّقني انا اذاً، ما دام العاشق يطربه الثناء.

بروتيو : عندما كنت مريضا اعطيتني حبوبا خففت آلامي، وعليّ الان ان أرد لك جميلك.

فالنتينو : حسنا. بيِّن لي حقيقتها. وان لم تكن حورية، إعترف على الاقل بأنها جميلة وفضيلة كالملاك الطاهر.

بروتيو : ما عدا سيدتي.
فالنتينو : لا تستثن واحدة، يا عزيزي، ان كنت لا تريد ان تهزأ بغرامي.
بروتيو : أولست محقا باطراء حبيبتي واعتبارها فوق مستوى البشر.
فالنتينو : أجل، وأنا أريد ان أساهم في مدحها، فأرفع حبيبتك الى اعلى مراتب العز والشرف، لكي تحمل أذيال مليكتي وتمنع الارض من اختلاس قبلة من ثوبها الناصع، وتتباهى بنعمة كريمة كهذه، وتستعير من زهور الصيف عطرها وتتخذ من قارس برد الشتاء وشاحا واقيا.
بروتيو : ماذا تقول ؟ ما هذا الهذيان ؟
فالنتينو : اعذرني يا بروتيو. ان كل ما اقوله لا يعدّ شيئا بالنسبة الى ما تستحقه من اعتبار يجب حجبه عن سواها ممن تدهورهم مساوئهم في هوَّة العدم. اذ لا ارى في الكون انسانا مثاليا كشخصها المفدّى.
بروتيو : اذاً اتركها وشأنها.
فالنتينو : كلا، ولو ملَّكوني العالم بأسره. أتدري، يا عزيزي، انها تخصني وحدي ؟ وأراني اغنى الاغنياء بامتلاكي مثل هذه الجوهرة الفريدة التي لن تجد نظيرها ولو غصتَ الى أعماق البحور السبعة، ولو كانت كل حبة من رمالها لؤلؤة، وكل قطرة من مياهها فيها اكسير الحياة، وصخورها الشاهقة من الذهب الإبريز. سامحني ان لم أفكر بك عندما كنت هائما بحبها. لأن خصمي ومزاحمي الذي يفضله ابوها عليّ بسبب ضخامة ثروته، قد استأثر بها ومضى يتنعم بصحتها. وعليّ أن ألحق به نظرا الى ما يغلي في صدري، كما تعلم، من مراجل الغيرة والحسد.
بروتيو : ولكن، هل هي تحبك ؟
فالنتينو : أجل ونحن مخطوبان. وعلاوة على ذلك، حددنا موعد زواجنا، وأعددنا خطة هربنا السري، وكيفية تسلقي سلَّما من الحبل الى نافذتها. فجميع الوسائل مدروسة ومنسَّقة لتحقيق سعادتي. تعال معي، يا عزيزي بروتيو، لتزويدي بنصائحك في سبيل نجاح هذه الخطة.
بروتيو : اسبقني وسألحق بك. عليّ اولا ان أذهب الى المرفأ لأجلب من السفينة بعض امتعتي التي أحتاج اليها. ثم أوافيك حالا.

فالنتينو : ارجوك ان تعجل.

بروتيو : حبا وكرامة. (يخرج فالنتينو) كاللهب الذي يذكي اشتعال النار، وكالمسمار الذي يغرز في لوح الخشب، هكذا اجد ذكريات حبي الاول قد محاها حدث جديد، ولم يبق لها من أثر. لست أدري ان كان اعجابي الشخصي بمهارة فالنتينو وبمزاياه الحميدة او اغتراري به. تجمعت كلها لتفقدني صوابي ! لا انكر ان هذه المرأة جميلة، غير ان جوليا هي الاخرى رائعة، رائعة، لذلك أهواها، او بالحري هويتها. انما هيامي بها اخذ يذوب، كالشمعة المشتعلة من طرفيها، حتى زال تماما من الوجود. يخيل اليَّ ان اخلاصي لفالنتينو قد فتر، ولم اعد أكنّ له مودّة كالسابق. وبما اني مغرم بحبيبتي كثيرا، لا يسعني ان أحبه هو الا قليل. وكم سأبتهج بزيادة معرفتي بها اكثر فأكثر، انا الذي عشقتها قبل ان اعرفها، والأذن تعشق قبل العين احيانا، حتى سلبت لبِّي. ولكني عندما قدَّرت صفاتها النادرة حق قدرها، لم يبقَ لي من عذر لأظل كليل البصر لا أنجذب الى محاسنها. لذا قررت ان اضع حدا لهيامي الاعمى التائه، وإلا سخَّرت جميع قواي لإغوائها. (يخرج).

المشهد الخامس

شارع في ميلانو

(يدخل ديليجنس ولنسيو)

ديليجنس : اهلا بك، يا لنسيو.

لنسيو : لا تحرجني، يا فتى. انا لست اهلا لما تخصني به من ترحيب، اذ اني أعتبر المرء غير آمن طالما هو معرَّض للمخاطر في كل حين، ولا يستحق الاحترام، طالما هو لم يؤد ما عليه من واجبات، وما دامت ربة البيت لا تكرم وفادته.

ديليجنس : هيا يا صاحب الدماغ الفارغ، سأصطحبك فورا الى حانة لا تساوي اكثر من عشرة فلوس. وهناك فقط ستلقى ما تستحقه من حفاوة. انما قل لي يا مغفَّل، كيف ترك معلمك السيدة جوليا ؟
لنسيو : لعمري، بعد ان تعانقا طويلا، افترقا طبعا وهما يضحكان.
ديليجنس : وهل سيتزوجها ؟
لنسيو : كلا.
ديليجنس : ماذا تقول ؟ ألن يتزوجها ؟
لنسيو : كلا، ثم كلا.
ديليجنس : وهل فسخا خطوبتهما ؟
لنسيو : كيف ينفصلان وهما على أتم الاتفاق ؟
ديليجنس : متى جرى ذلك ؟
لنسيو : عندما اقتنعت بضرورة التفاهم معه. فأمنت مصلحتها.
ديليجنس : تباً لك من حمار ينطلي عليك هذا الهراء.
لنسيو (يتوكأ على عصاه): لا بد لك من ان تكون حطبة يابسة حتى لا تلاحظ هذا. وإلا أفهمتك بهذه العصا.
ديليجنس : ماذا تقول ؟
لنسيو : انا مستعد لان أثبت لك صحة كلامي. لا تنسَ اني طالما انا متكىء على عصاي فهي تسندني، وتكون لك خير مؤدب.
ديليجنس : هل تعتقد بأنها ستسندك ؟
لنسيو : ما دمت اتكىء عليها فهي تسندني، وتخدمني كلما احتجت اليها.
ديليجنس : دعنا من هذا المزاح، واصدقني هل سيتم الزواج فعلا ؟
لنسيو : إسأل كلبي، فان اجابك بنعم، فسيتم، وان اجابك بلا فسيتم ايضا. وان هز ذنَبه ولم يفه بكلمة سيتم هذا الزواج على كل حال.
ديليجنس : بالنتيجة، انت تعلن بأنه سيتم حتما.
لنسيو : لن ابوح لك ابدا بهذا السر الا تلميحا.
ديليجنس : لا فرق عندي كيفما علمت به. ولكن، ما رأيك بهذا النبأ، يا لنسيو ؟ ان سيدك مغرم بها بل متيَّم بهواها ؟

لنسيو : انا لم أعرفه على غير حقيقته هذه.
ديليجنس : ماذا تعني ؟
لنسيو : انه هائم حتى الجنون، كما تقول تماما.
ديليجنس : تباً لك من ابن زانية، ومن حمار غبي لا تفهمني.
لنسيو : يا أبله، ان كنت لا افهمك فاني أفهم معلمك.
ديليجنس : أكرر عليك ان سيدك عاشق متيَّم.
لنسيو : أؤكد لك ان الامر عندي سيَّان فهو حر ان اراد ان يهلك نفسه في سبيل من يحب. هيا تعال معي لنشرب كأسا في الحانة. واذا رفضت تظل ملحدا مهما تظاهرت بالتقوى.
ديليجنس : لماذا ؟
لنسيو : لانك لا تكون صالحا تستحق كأسا بصحبتي. هيا رافقني.
ديليجنس : سمعا وطاعة (يخرجان).

المشهد السادس

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل بروتيو)

بروتيو : عندما أغادر حبيبتي جوليا افضح نفسي. وإذ أعشق سيلفيا الجميلة افضح نفسي ايضا. وعندما اخون صديقي أفضح نفسي أشنع فضيحة. ان الوعود التي تعهدت بوفائها اولا، هي التي تدفعني الى جحود هذا المثلث. لقد حملني الحب على اغداق الوعود بلا حساب، وجرَّني هكذا الى فضح نفسي. فما اقواك ايها الحب المغري ! ان كنت قد اغرقتني بالمعاصي، فعلمني، انا عبدك المطيع، ان أستغفر ربي. في بادىء الامر همت بنجمة مشبوهة والآن انا معجب بشمس ساطعة. ان الاماني التي نسعى الى تحقيقها بدون تفكير، يمكن ان تضمحل عندما نتأمل فيها مليا. وبحق يعتبر خاليا من العقل كل من

لا يقصد ان يوجه تفكيره الى استبدال الشر بالخير. تباً لك، يا لساني الثرثار ! كيف يسعك ان تنال هكذا ممن اقسمت عشرين الف يمين ان تنصِّبها ملكة على عرش قلبك. يجب عليّ ان لا أتنكر للحب. ومع ذلك تراني أتغافل عنه. وان امتنعت حينا عن تلبية ندائه، فلكي أعود مرارا الى أحضانه بلهفة من برّحت به الاشواق. وإلا خسرت جوليا، وخسرت ايضا صديقي فالنتينو. واذا أصررت على الاحتفاظ بهما، فلا بد لي من ان أخسر نفسي. واذا خسرتهما، أستعيض بفضل هذه الخسارة، ببروتيو عن فالنتينو، وبسيلفيا عن جوليا. فصديقي ليس أعز عليّ من ذاتي، لان محبة الذات تتقدم على كل ما عداها. بقرب سيلفيا أشكر السماء لانها وهبتها هذا الجمال، ولان جوليا بالنسبة اليها ليست الا حبشية سمراء. أنا أريد أن أنسى ان جوليا على قيد الحياة، وأريد أن أتذكَّر فقط ان حبي لها قد طواه النسيان. اما فالنتينو فعليّ ان أعامله كعدو لدود كي أبحث بقرب جوليا عن صداقة أبر وأمتن. وأنا لا أقوى على اتباع خطة واحدة حيال نفسي، دون ان الجأ الى الخيانة تجاه فالنتينو. في هذه الليلة هو ينوي ان يتسلق سلّما من الحبل الى سيلفيا الفاتنة. ومع ذلك، يا لسخرية القدر، وجب عليّ، انا مزاحمه، ان اكون مستودع اسراره. فاذاً، لا بد من ذهابي حالا الى ابيها لأكشف له امر تنكُّرهما وتصميمهما على الهرب. سيغضب طبعا وسيبعد فالنتينو لانه ينوي ان يزوج ابنته لتوريو. اما فالنتينو فمتى رحل سأمنع سريعا وبوسيلة فعالة، تحقيق ما يسعى اليه هذا الاحمق توريو بهدوء. فامنحني ايها الحب اجنحتك لأستعجل تنفيذ خطتي، كما وهبتني الدهاء للاحتيال والمخاتلة في سبيل التنعم بفيء ظلالك الوارفة (يخرج).

المشهد السابع

فيرونا ــ في منزل جوليا

(تدخل جوليا وتتبعها لوسيا)

جوليا : ألتمس نصحك، يا عزيزتي لوسيا، وأستحلفك، بعطفك ومودتك، أن تساعديني، انت الصورة الحية التي تعكس كوامن افكاري، فارشديني الى وسيلة شريفة أتمكن بها من اللحاق بحبيبي بروتيو.

لوسيا : يؤسفني ان اقول لك ان الطريق اليه شاق وطويل.

جوليا : ان الذي يحج، ورائده الايمان والثقة، لا يدركه التعب ولا الملل، لانه يحقق بذلك اغلى أمانيه ولا سيما التي تطير به على اجنحة الحب وتحمله الى أعز شخص لديه في الدنيا يتمتع بالكمال والبهاء نظير مولاي بروتيو.

لوسيا : الافضل ان تنتظري عودته.

جوليا : ألا تدرين ان مشاهدته هي غذاء روحي ؟ إرثي لحالي لان شوقي الى عطفه يمزق أحشائي منذ أمد طويل. لو كنت تعرفين مقدار حبي العميق الملهوف، لكنت فكرت باذكاء لهيب هيامي باللقاء بدلا من ان تحاولي اطفاء لظى أشواقي بالكلمات.

لوسيا : انا لا أفكر بإخماد نار الغرام، بل بتخفيف شدة حرارتها كي لا تحرق ما يتجاوز حدود المعقول.

جوليا : كلما حاولت حصر الوهج كلما ازدادت احراقا، لان مجرى الماء مهما ترقرق بهدوء، وكان خريره لطيفا، اذا حاولت صدّه، يزيد نزقا وتدفقا. انما عندما لا يقف أي حائل امام سيره الطبيعي، يترنم بأحلى الانغام وهو يمر فوق الحصى الأملس، ويطبع قبلة حلوة على كل قصبة يصادفها اثناء مسيره. وهكذا يتغلغل بين ألوف الأشجار والأعشاب ويختفي اخيرا بين طيّات أمواج المحيط. سأكون هادئة كماء الينبوع الصافي، ولن يعيقني عن السير ارهاق

أقدامي، شرط ان تقودني خطواتي الى حبيبي الغالي، فأرتاح بقربه من عناء جولتي كما ترتاح النفس في رحاب الجنة.

لوسيا : وفي أي ثوب سترحلين ؟

جوليا : لن أرحل وأنا مرتدية ثياب النساء، وأحذرك من الاصغاء الى ثرثرة المستهترين. أعدّي لي يا لوسيا بزَّة غلام يخدم اسرة من الذوات.

لوسيا : في هذه الحالة، على سيدتي ان تقص شعرها.

جوليا : كلا، يا بنت، سأضفره وأربطه ببريم من حرير وأخفي طوله بطريقة مناسبة. لان قليلا من الزينة لا تضير فتى في مثل شبابي.

لوسيا : وكيف تريدين أن يكون سروالك ؟

جوليا : سؤالك هكذا، كمن يسأل كيف تريدين أن يكون هندامك كغلام ؟ فليكن كما ترينه ملائما يا لوسيا.

لوسيا : لا بد من ان يكون السروال بأزرار من الامام كالمعتاد.

جوليا : كلا، ثم كلا، يا لوسيا. فهذا غير لائق بالفتاة.

لوسيا : ان لبس السروال، يا سيدتي، لن يليق بك، الا اذا حملت عصا نظير الشبان.

جوليا : اذا كنت تحبينني حقا، يا لوسيا، اعطني ما ترينه مناسبا ولائقا لألبسه. ولكن أصدقيني يا صبية، ماذا يقول الناس عني عندما اقوم بمثل هذه السفرة ؟ اني اخشى الفضيحة.

لوسيا : اذا كان هذا حالك، فالغي الرحلة والزمي بيتك.

جوليا : لا، لا. هذا مستحيل.

لوسيا : سافري اذاً، ولا تبالي بما يقال. اذا كان بروتيو يؤيد رحيلك ويتمنى وصولك اليه، لا تهتمي بمن يلومك بعد قيامك بسفرك. غير اني اخشى ان لا يكون هو راضيا.

جوليا : هذا آخر ما أخشاه، يا لوسيا. فان لدي ألف وعد، وسيل من الدموع تشهد على صدق ما يكنُّه لي من حب يضمن لي احسن استقبال يعدّه لي بروتيو.

لوسيا : كل هذه المظاهر ليست الا حيل رجل خدّاع.

جوليا : بئس من يلجأ اليها لمثل هذه الغاية. ان شخص بروتيو أرفع من الانحدار الى هذه الدناءة. انا على يقين بأن اقواله ما هي الا عهود وارتباطات اكيدة وبراهين حب مخلص لان قلبه نقي ودموعه طاهرة وتصريحاته صادقة ومودته لي بعيدة عن الغش بُعد الارض عن السماء.

لوسيا : أتمنى لك ان تلاقي فيه لدى وصولك اليه نفس العاشق المتيَّم الذي تركته.

جوليا : إذا كنت تحبينني فعلا لا تفتحي لي باب الشك بصدق نياته، فازدياد حبي له سيزيد تعلقي بك. تعالي حالاً الى حجرتي لنهيىء ما يتحتم عليّ تجهيزه لهذه الرحلة التي اتوق الى تحقيقها بكل جوارحي. وسأضع تحت تصرفك جميع ما يخصني من أموال وأراض وأئتمنك حتى على سمعتي ولا اطلب منك بالمقابل الا ان تساعديني على مغادرة هذا المكان. هيا لا تضيعي الوقت في استجابتي، وفورا باشري في العمل. فلقد استنفد صبري طول الانتظار.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو وبروتيو)

الدوق : يا مولاي توريو، ارجوك ان تتركنا لحظة وحدنا، لأن لدينا أمورا نود ان نبحثها على انفراد (يخرج توريو) والآن تكلم، يا بروتيو. ماذا تريد مني ؟

بروتيو : مولاي الكريم، ان ما أريد ان اكشفه لك يتوجب عليّ في شرع الصداقة ان أخفيه عنك. ولكني، عندما أفكر في ما أغدقته عليّ من نعم لم أطلبها منك، أشعر بأن ضميري يفرض عليّ ان أعلمك بما لا تستطيع اموال العالم بأجمعها ان تنتزعه من فمي. إعلم، ايها الامير الكريم، بأن صديقي السيد فالنتينو ينوي اختطاف ابنتك هذه الليلة، ولقد افضى اليّ بتفاصيل مؤامرته. انا اعرف انك قررت أن تزفّ ابنتك الفاتنة هذه الى توريو الذي لا يحبها. فاذا اختُطفت منك وحيدتك، ستكون وطأة هذه الفاجعة المؤلمة ثقيلة على شيخوختك. لذلك، وقياما بواجبي فضّلت فضح خطة صديقي على تسبيب الحزن لك بكتمانها عنك وتعجيل انتقالك، لا سمح الله، الى العالم الآخر قبل الاوان.

الدوق : أشكرك، يا بروتيو، على اظهار اخلاصك نحوي هكذا. فبالمقابل يمكنك ان تعتمد عليّ طوال ما انا على قيد الحياة. لقد لاحظت مرارا انا

بنفسي بوادر حبهما، بينما كانا يعتقدان اني أغطّ في النوم. وكثيرا ما اقترحت على السيد فالنتينو مرافقة ابنتي ومغازلتها. غير اني، خوفا من ان يخدعني ويثير ظنوني وحذري، وأن أرفض رجلا صاحب حق ــ وهذا ما حاولت أن أتجنَّبه ــ أظهرت له كل بشاشة لكي أوقن بما انت ذاتك تشكو لي منه في هذه اللحظة. فقدّر كم كنت قلقا، وأنا اعرف مدى سذاجة الفتاة التي يسهل اغراؤها. لذا رحت أحجزها كل ليلة في برج مرتفع لا يفارقني مفتاحه لمحة عين كي يصبح اختطافها مستحيلا.

بروتيو : اعلم، يا مولاي الفاضل، ان المذكور، حسب الخطة المرسومة، يستطيع الصعود الى نافذة حجرتها وانزالها على سلَّم من الحبل. وهذا السلَّم قد ذهب الشاب العاشق لجلبه. وبما انه سيأتي به الى هنا بعد برهة، يمكنك ان تقطع عليه الطريق. ولكن، يا مولاي الكريم، ارجوك ان تتصرف، ان شئت، بشكل يبعد عني شبهة الوشاية. لاني حبا بك، لا بغضا بصديقي، اقوم بفضح مشروع هذا الاختطاف.

الدوق : بشرفي، لن يعرف احد ابدا بأني استقيت منك اية معلومات.

بروتيو : وداعا، يا مولاي. ها قد أقبل السيد فالنتينو (يخرج).

(يدخل فالنتينو ملتفا بمعطف طويل ويجتاز المسرح بسرعة)

الدوق : مولاي فالنتينو، الى اين انت ذاهب بمثل هذه العجلة ؟

فالنتينو (يقف): عذرا، يا صاحب السيادة. هناك ساعي بريد ينتظر اخذ رسائلي ليحملها الى اسرتي، وأنا انوي تسليمه اياها قبل رحيله الوشيك.

الدوق : هل هي هامة جدا ؟

فالنتينو : انها تطمئن عن صحتي وسعادتي في بلاطك يا مولاي.

الدوق : فاذاً، لا كبير اهمية لها. (بلهجة تدل على المودة والتشويق) ابقَ معي لحظة لاني أود ان أفتح لك صدري بخصوص قضايا تتعلق بي، وأسألك ان تحتفظ بها كسرّ. انت لا تجهل اني أفكر بزفّ ابنتي الى السيد توريو.

فالنتينو : انا اعرف ذلك جيدا، يا مولاي. ولا أشك في انه سيكون قرانا غنيا ومشرّفا، علماً بأن الرجل فضيل وكريم، يمتاز بالصفات الحميدة التي تليق

بصبية كابنتك الجميلة. أولا يمكنك، يا صاحب السعادة، ان تحملها على القبول به ؟

الدوق : أؤكد لك انني لا استطيع، لانها فتاة عنيدة متمردة لا ترعى عهود الواجب ولا تقدّر فروض بنوّتها كما لا تحترم أبوّتي. بالاختصار، يسعني ان أصرح لك بأن تجبُّرها يكاد يقضي على ما أكنه لها في صدري من محبة أبوية. وإذ كنت أترقب منها العطف البنوي لتبتهج به شيخوختي، تراها الان مصممة على الاقتران بمن لا يحظى برضاي، وقد نجح في السيطرة على مشاعرها. فليكن لها من حسنها بائنة ما دامت لا تأبه لموقفي ولا لأملاكي.
فالنتينو : فبماذا يمكنني أن اخدم سيادتك ؟

الدوق : يا عزيزي، هنا في ميلانو، سيدة انا متيَّم بهواها، ولكنها تبدي نحوي تحفُّظاً فاترا. لذلك، ارجوك ان تكون مرشدي في استمالتها، اذ اني منذ مدة طويلة نسيت المغازلة، وقد تبدّل اليوم نسق التودد الى النساء. أفدني اذاً كيف يجب أن أتصرف لأحظى بعطفها ومحبتها.
فالنتينو : أغدق عليها الهدايا، ما دامت لا تقدّر طلاوة حديثك. اذ غالبا ما تعمل الجواهر الصماء بأسلوبها الصامت على تحريك احساس المرأة اكثر من حلو الكلام.
الدوق : لكنها قد رفضت هدية قدمتها لها مؤخرا.

فالنتينو : المرأة بسبب غرورها تأبى احيانا قبول ما تميل اليه ويسترعي اعجابها. فارسل لها هدية اخرى ولا تستسلم للقنوط ابدا. لان ما كان العاشق، بوجه الاجمال يكرهه في الماضي، يزيده في المستقبل ولعا. فان كانت تقاطعك فذلك ليس بغضا بشخصك، بل بالعكس لمضاعفة جاذبية دلالها. واذا جافتك فليس لإقصائك عنها، بل لأنها، مثل كافة النساء، يتملكها النفور متى لاحظت بعض التغاضي من الرجل الذي ينال اعجابها ويستأثر بانتباهها. فلا تيأس مهما قالت لك. عندما تطلب منك الانسحاب كن على يقين بأنها لا تقصد ابدا ان تبعدك عنها. فتملَّقها اذاً وامتدحها، وأطنب في وصف محاسنها وتعداد مفاتنها. ومهما كانت كامدة متجهمة ردد عليها ان لها وجها صبوحا

مشرقا كالملاك. فالرجل الفطن لا يكون مرغوبا الا اذا عرف كيف يستميل حبيبته ويمتلك قلبها بحلاوة لسانه.

الدوق : ان التي أكلمك عنها قد وعد بها اهلها شابا على جانب من الصفات وحجبوها عن مزاحميه حتى بات الوصول اليها نهارا من أصعب الصعاب.

فالنتينو : ما عليك الا الاتصال بها ليلا.

الدوق : ولكن الابواب موصدة جيدا، والمفاتيح محفوظة في مكان بعيد المنال يجعل وصول أي قاصد اليها ليلا من المستحيلات.

فالنتينو : وما المانع من اقتحام نافذتها ؟

الدوق : ان حجرتها واقعة على علو شاهق، وجدارها عسير التسلق لا يدع سبيلا الى الصعود اليها بدون تعريض حياة المغامر الى الهلاك.

فالنتينو : اذاً لا بد من سلَّم من الحبل المتين، له كلّابان من الحديد، يتيح الصعود الى برج منيع لا يتردد العاشق المشتاق في تسلقه مهما شقَّت المحاولة.

الدوق : والآن، ان كنت مخلصا حقا، أفدني اين اجد مثل هذا السلَّم الضروري ؟

فالنتينو : قل لي متى ستحتاج اليه، يا مولاي ؟

الدوق : هذا المساء، لان المحب، كالولد الصغير، يهفو للحصول على ما يتوق اليه بأقصى السرعة.

فالنتينو : حول الساعة السابعة، اكون قد جلبت لك السلَّم المنشود.

الدوق : اصغِ اليّ جيدا، يا صاح. أريد أن أذهب وحدي. فكيف انقل السلم الى هناك ؟

فالنتينو : سيكون خفيفا جدا، يا مولاي، فتتمكن من حمله تحت معطفك مهما بعدت المسافة.

الدوق : هل يفي بالمرام معطف طويل كالذي ترتديه ؟

فالنتينو : أجل، يا مولاي الكريم.

الدوق : اذاً، أرني معطفك لكي أقتني واحدا بمثل طوله.

فالنتينو : ان اول معطف تحصل عليه يلبي الحاجة، يا مولاي.

الدوق : وكيف ألبسه ؟ دعني أجرب معطفك لأرى كيف سيكون عليّ (يستأثر بالمعطف الذي يلتف به فالنتينو، ويضعه بعجلة على كتفيه ويمد يده الى جيبه). ما هذه الورقة ؟ (يقرأ عنوانها). ماذا اقرأ هنا ؟ الى سيلفيا. (يبحث في جيب آخر، ويسحب منه سلّم الحبل) هذا الحبل يساعد حقا على تنفيذ عمليتي. وهذه الرسالة، لا بد من استباحة فض ختمها.

(يفتح الرسالة ويقرأ الاشعار التالية)

أفكاري تصبو ليلا الى رياض حبيبتي
وعواطفي تسمو اليها لتبديد كربتي
تمهّد السبيل لبلوغي أحلى الأمنيات
كالطير ينشد عشه لا تثنيه العقبات.
خواطري المشغولة بهواك تحن الى قربكِ
تسبقني اليك فتؤنسني وتشكو هجركِ
بينما الحنين يزيدني لوعة ويثير أشواقي
راجيا لقياك واطفاء لواعج فراقي
وإلا لعنت حظي وساعة وقوعي في هواكِ
اذا صمّمتِ على صدّي وحرماني بهجة رضاك.

من ارى هنا ؟ (يواصل قراءة العبارة التالية) « يا حبيبتي سيلفيا، سأبدد عنك الشقاء هذه الليلة ». أجل، هذا هو السلّم الذي سأتسلّقه للوصول اليك. وأنت ايها العاشق المتيّم الذي تصبو الى تحقيق أحلامك ولو احرقت العالم بنار جنونك، هل تريد ان تجمع النجوم لانها تلمع فوق رأسك ؟ هيا، ايها الدخيل اللعين، أيها الدّجال المنافق، احتفظ بكل ابتساماتك الخدّاعة لأمثالك الغشاشين. ان كنت لا تزال تتمتع بحريتك فالفضل عائد الى سماحتي وعدالتي. أشكرني على كرمي هذا اكثر من جميع الافضال التي اسديتها اليك حتى الان. واذا بقيت في حماي الى ما بعد المهلة التي سمحت لك بها لتغادر الديار، فان غضبي يتجاوز كثيرا عطفي على ابنتي او عليك. اغرب عن وجهي، فاني لا أريد ان استمع الى اعذارك الواهية. واذا كنت حريصا على حياتك، لا تظهر امامي بعد الان (يخرج الدوق).

فالنتينو : لماذا أفضّل الموت على العذاب ؟ والمنية كامنة في إبعاد نفسي عن ذاتي، لان سيلفيا هي ذاتي العزيزة. والبعد عنها هو البعد عن نفسي. فتباً لك ايها الهجران القاتل. النور لا يكون نورا اذا غابت عني سيلفيا، والفرح لا يكون فرحا اذا احتجبت سيلفيا عن ناظري. لا يكفيني ان أتخيل انها بقربي، فماء السراب لا يشفي الغليل. والظلام يخيم عليّ اذا غاب عني وجه سيلفيا، وشدوا البلابل يفقد عذوبته. واذا لم أشاهد حبيبتي يوما. فذاك اليوم لا يحسب من عمري. فهي غذاء نفسي، وهي الشعاع الذي يضيء دربي، وبدونها لا حياة ولا لذة ولا بهجة لوجودي. انا لا اخشى الموت ولا أهرب منه. انما بقائي هنا يعني دنو أجلي، وهربي منه يعني عودة الروح اليّ. (يرخي الليل سدوله).

(يدخل بروتيو ولنسيو)

بروتيو (للنسيو): أسرع، يا غلام، أسرع، وفتش هذا المكان.
لنسيو (ينادي): يا جبان.
بروتيو : ماذا تبصر هنا ؟
لنسيو : أهذا أنت، يا فالنتينو ؟
فالنتينو : كلا.
بروتيو : من انت اذاً ؟ هل انت طيف ؟
فالنتينو : كلا، ثم كلا.
بروتيو : من اذاً، أجب.
فالنتينو : لا احد.
لنسيو : وهل يستطيع غير الموجود ان يجيب ؟ ما رأيك، يا سيدي، لو ضربته ؟
بروتيو : من تريد ان تضرب ؟
لنسيو : لا احد.
بروتيو (يمنعه من ذلك): انا أمنعك، يا مغفل.
لنسيو : ولكن، اذا ضربته، يا سيدي، لا أفعل ذلك بدون سبب ؟ ارجوك...
بروتيو : اياك يا غبي ان تمسّه. اصغِ يا فالنتينو، الى ما اقوله لك.

فالنتينو : أذناي مسدودتان، ولا تقويان على سماع الانباء الطيبة نظرا الى كثرة ما بلغني من أخبار السوء.
بروتيو : اذاً، سأدفن معلوماتي في بئر عميقة من الصمت، لانها حزينة لا تسرّ احدا.
فالنتينو : هل ماتت سيلفيا ؟
بروتيو : كلا، يا فالنتينو.
فالنتينو : أتقول كلا، وفالنتينو لم يعد له من وجود في نظر الفاتنة سيلفيا ؟ أوَلم تتنكر لي بعد ؟
بروتيو : أكرر قولي : كلا، يا فالنتينو.
فالنتينو : كن على يقين بأن فالنتينو لا يسعه ان يعيش اذا تنكرت له سيلفيا.
لنسيو (بحدة): أظن ان هذا التصريح قد عكّر عليك تفكيرك.
بروتيو : من ابعدك عن هذا المكان ؟ وما صحة هذا النبأ ؟ ان هجرك ديارنا يقصيك عن سيلفيا وعني انا صديقك الحميم.
فالنتينو : لقد تحملت هذا الصد بفارغ الصبر، وأشعر بالمزيد من الجفاء يخنقني. هل تدري هي بأني اعيش كأني في المنفى.
بروتيو : نعم، نعم. وقد اعترضت على هذا القرار الذي لا ازال اذكره بكل صرامته، وسكبت من عينيها النجلاوين بحرا من اللآلىء المائعة التي يدعوها الناس دموعا، ذرفتها عند قدمي جلّادها، جاثية متذللة رافعة باسترحام ذراعيها الناصعتين الشاحبتين من شدة الالم. لكن لا ركبتيها المطويتين ولا يديها الطاهرتين المتوسلتين، ولا آهاتها الحزينة ولا أنّاتها الجارحة، ولا دموعها الغزيرة لم تقوَ على استدرار شفقة والدها القاسي. فاذا وقعت انت في الفخ يا فالنتينو، فنصيبك سيكون الهلاك المحتم. اذ قد أوغر صدر الاب حقدا عليك تشبُّث ابنته التي التمست لك منه العفو، فما نالت جزاء استعطافها سوى الحجر الضيق الذي تخشى ان تبقى فيه سجينة الى الابد.
فالنتينو : أصمت، يا غبي. اخشى ان تكون الكلمة التي ستلفظها شؤما على حياتي. واذا كان الامر كذلك، فاهمس في أذني الحكم الجائر عليّ بالعذاب المبرح.

لنسيو : هذا لا يهمني. بما ان لا اسنان لها، فهي اذاً لا تستطيع ان تعض.
ديليجنس : ثم ان لها ميل الى الشرب
لنسيو : اذا كان الشراب من الصنف الجيد فلا بأس ان ذاقته. وستمتنع عنه ان انا امتنعت. على كل حال، لا غنى عن تذوّق أطاييب الحياة.
ديليجنس : ثم انها بارزة التحرر.
لنسيو : هذا غير وارد الا بالكلام فقط، لانها فعلا بطيئة الحديث اما من ناحية الدراهم فهذا لن يزعجني. لاني سأضيِّق عليها باب المصروف. وان امكن تحررها في باب آخر، فسأجد لكل داء دواء. هيا تابع.
ديليجنس : ثم ان شعر رأسها يفوق بكثير ما يغلفه من دماغ، كما تغطي نقودها العديد من نقائصها.
لنسيو : قف عند هذا الحد. لاني قررت الاحتفاظ بها. لقد كانت لي في الماضي، اما الان فألاحظ كأنها لم تعد من نصيبي، ومع ذلك أتشبث بموقفي منها.
ديليجنس : أكرر ان شعر رأسها يفوق كثيرا ما يخبئه من دماغ.
لنسيو : تقول ان مقدار شعرها يفوق دماغها. هذا محتمل، وسأثبت لك ان المملحة هي اكبر حجما مما تحويه من الملح. وهكذا يكون الشعر الذي يغطي الدماغ اكبر حجما من الدماغ، لان المحتوى دوما اصغر من المحتوي.
ديليجنس : فاذاً، سيئاتها هي اكثر من شعرها.
لنسيو : هذا فظيع. ألتمس من السماء ان لا يكون هذا صحيحا.
ديليجنس : ونقودها اكثر من سيئاتها.
لنسيو : هذا في الواقع ما يجعل النواقص معقولة ومعذورة. أكرر عليك : اني مصمم على الاحتفاظ بها. وعندما يتم الزواج لن يبقى هناك من مستحيل.
ديليجنس : حينئذ ؟
لنسيو : أذكِّرك بأن سيدك ينتظرك عند الباب الشمالي.
ديليجنس : ينتظرني انا ؟
لنسيو : أجل انت. ومن انت ؟ فلقد انتظر من هو ارفع منك شأنا.
ديليجنس : لماذا لم تخبرني بذلك قبل الان ؟ تباً لرسائلك الغرامية. (يخرج).

لنسيو : هل هزّته قراءة مكتوبي ؟ ما اغبى من يزجّه تطفُّله في اسرار الغير. سألحق به، ويسرّني ان ارى ان هذا الصبي قد تعلم على حساب أخطائه (يخرج).

المشهد الثاني

ميلانو ــ في قصر الدوق

(يدخل الدوق وتوريو ثم بروتيو الذي يقف في مكان ما من صدر المسرح)

الدوق : سيدي توريو، ستحبك الان بعد غياب فالنتينو عن نظرها.
توريو : منذ نفيه، اخذ كرهها لي يزداد، فلعنَت أسلافي وأهانتني حين يئست من الحصول عليه.
الدوق : ان الانفعال في الحب أشبه بتمثال مصنوع من الجليد يذوب حالما يتعرض للحرارة. ولن يمضي وقت طويل حتى يذوب جليد عواطفها، وتنسى فالنتينو الذي لا يستحقها. (يبصر بروتيو) ما وراءك من اخبار، يا سيدي بروتيو ؟ هل رحل مواطنك حسب اتفاقنا ؟
بروتيو (يتقدم) : لقد ذهب، يا مولاي الكريم.
الدوق : وقبلت ابنتي بالرحيل على اثر ما خلَّفه في صدرها من الالم.
بروتيو : هذا الحزن لن يلبث ان يزول مع الزمن.
الدوق : أظن ذلك، خلافا لما يعتقد به توريو. يا بروتيو، ان حسن ظني باخلاصك لي يشجعني على الثقة بك اكثر فأكثر.
بروتيو : ومتى قلّ وفائي نحو سيادتك، أحجب عني أفضالك يا مولاي.
الدوق : انت تعلم كم اتوق الى توثيق العلاقات بين ابنتي والسيد توريو.
بروتيو : أجل، يا مولاي.
الدوق : وأنت لا تجهل ايضا، على ما أظن، مقدار مقاومتها ورفضها رغباتي.
بروتيو : هذا كان اثناء وجود فالنتينو هنا.

الدوق : نعم ولكنها مستمرة في عنادها. فماذا يمكننا عمله لجعل سيادة الآنسة تنسى حبها لفالنتينو، وتهوى السيد توريو ؟
بروتيو : أفضل وسيلة هي ان نلصق بفالنتينو تهمة الخداع والجبانة والاحتيال. وهي القبائح الثلاث التي تكرهها المرأة وتمقتها.
الدوق : نعم، ولكنها ستظن بأن الحقد هو الذي ينطق بفمنا.
بروتيو : هذا صحيح، اذا كان احد اعداء فالنتينو الذي يتكلم. ولذلك لا بد من ان ينطلق هذا القول مع التفاصيل الثبوتية على لسان من تنظر اليه كصديق.
الدوق : اذاً، انت الذي ستختلق هذه الافتراءات.
بروتيو : هذا ما اكرهه يا مولاي. فهو دور دنيء بالنسبة الى شخص مثلي من الاشراف، ولا سيما بحق صديق حميم.
الدوق : بما ان مدحك لا يخدمه، فان ذمَّك لن يؤذيه. قم اذاً بهذا الدور ولا تبالِ، نزولا عند رجاء صديقك.
بروتيو : كلامك مقنع، يا مولاي. فاذا نجحت في تشويه سمعته في نظرها ستكفّ اذ ذاك عن حبه. ولكن على افتراض اني اقتلعت من قلبها تعلقها بفالنتينو، فهل هذا سيحملها على حب السيد توريو ؟
توريو : بالفعل، عندما يفرغ قلبها من الهوى، اخشى ان يتعطل ولا يعود صالحا للشعور النبيل. يجب اذاً توجيه عواطفها نحوي، وهذا لا يتم الا بفتح قلبها على محبتي، بقدر ما تغلقه في وجه ميلها الى السيد فالنتينو.
الدوق : انا ألقي كل اتكالي عليك في هذه القضية يا توريو، مع اني علمت من فالنتينو بأنك قد حولت حبك الى امرأة اخرى، وانك غير قادر على نسيانها وإبدال وجهة تفضيلك. وعلى اساس هذه الضمانة، أود ان تنال رضى سيلفيا اثناء تحدثك اليها بكل حرية، هي كئيبة ومنطوية على نفسها. انما عن طريق تذكيرها بصديقك، ستسرّها مشاهدتك. وحينئذ سيسهل عليك اقناعها بكره الشاب فالنتينو، وبالتدلُّه بحب صديقك القديم.
بروتيو : سأعمل كل ما بوسعي. انما، يا سيدي توريو، ليس لديك حججا كافية لاقناعها. فعليك اذاً ان تكسب عطفها بما تبثه في أشعارك من شكوى مؤثرةٍ ومن اخلاص وأمنيات غالية.

الدوق : أجل ان تأثير الشعر قوي لانه إلهام سماوي.
بروتيو : قل لسيلفيا انك على مذبح حبها وجمالها، ستضحي بدموعك وتنهداتك ومشاعرك. اكتب حتى يجف مداد محبرتك، ثم رطّب عباراتك بعبراتك، وانظم بعض الاشعار الرقيقة التي توحي بالحب الكامل، لان في قيثارة ربة الالهام أوتارا من عواطف الشعراء، لذلك جاءت نقراتها الذهبية تليّن الفولاذ وتفتت الصخر، وتروض النمور وتضطر أضخم العفاريت الى مغادرة اعمق المهاوي لترقص على رمال الشواطىء الحالمة. بعد هذه المغامرات الودية التي تستدرّ الحنو، إقترب ليلا من نافذة فتاتك الجميلة في نزهة رائعة، وانشد لنا شجيا ترافقه أنغام اوتارك الساحرة. واجعل صمت لياليك الساهدة يواكب لهفتك وأشواقك. وبغير هذه الوسيلة لن يتسنى لك امتلاك قلبها ابدا.
الدوق : هذا الاسلوب يبرهن لها عن شدة ولهك بها.
توريو : ابتداء من هذا المساء بالذات أريد ان أتصرف حسب نصحك. وهكذا يا مرشدي العزيز بروتيو، سنمضي بخطى حثيثة الى المدينة لنختار بعض الموسيقيين الماهرين. لديّ أغنية تفي بالمرام كمقدمة لبرنامجك الممتع الذي ارجو له كل النجاح.
الدوق : فالى العمل، يا سادة.
بروتيو : سنظل بجانب سيادتك حتى ما بعد الغداء. ثم ننفذ الخطة.
الدوق : كلا. هيا الى العمل فورا، والله ولي التوفيق (يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

غابة قرب منتوا

(يدخل بعض اللصوص)

اللص الأول : استعدوا، يا رفاق، فاني ارى شخصا مقبلا.

اللص الثاني : حتى ان كان هناك عشرة شجعان، لن نتراجع بل نهاجمهم.

(يدخل فالنتينو وديليجنس)

اللص الثالث (يقف امام فالنتينو): قف، يا رجل، واعطنا ما معك، وإلا حجزناك وسلبناك.

ديليجنس (لفالنتينو): لقد هلكنا، يا سيدي. هؤلاء هم اللصوص الذين يروّعون جميع المسافرين.

فالنتينو : يا اصدقائي.

اللص الأول : انت متوهم، يا هذا. نحن لسنا اصدقاءك بل اعداءك.

اللص الثاني : تريَّثوا قليلا، يا رفاق. علينا ان نستمع اليه.

اللص الثالث : إي، وربِّي. علينا ان نستمع اليه لانه انسان محترم، على ما يبدو.

فالنتينو : اعلموا ان ليس لدي مال كي اخشى خسرانه. انا رجل تلازمني الفاقة منذ زمن طويل. فكل ثروتي هي ما عليّ من ملابس حقيرة. فان جردتموني منها حرمتموني ماديا جميع ما املك.

اللص الثاني : الى اين انت ذاهب ؟
فالنتينو : الى مدينة فيرونا.
اللص الأول : ومن اين انت آت ؟
فالنتينو : من ميلانو.
اللص الثالث : هل مكثت فيها طويلا ؟
فالنتينو : ما يقارب عشرة اشهر. كنت استطيع البقاء فيها مدة اطول لو لم يخرجني منها سوء طالعي.
اللص الأول : وهل أبعِدتَ عن ميلانو ؟
فالنتينو : أجل.
اللص الثاني : ولأي صنيع قبيح ؟
فالنتينو : بسبب قضية لا يمكنني ان أبينها بدون ان يستولي عليّ الحزن. لقد قتلت رجلا آسف كثيرا لموته، مع اني قضيت عليه ببسالة بعيدة عن الغدر، في شجار لم ينشب بيننا لغاية سافلة او عن خيانة.
اللص الأول : لا تندم على ما فات. اذا كانت القصة قد جرت كما تقول، فاني اتساءل كيف أبعِدتَ بسبب قضية بسيطة كهذه ؟
فالنتينو : هذا ما حدث، وأنا سعيد بالحكم الذي صدر عليّ.
اللص الأول : هل تعرف لغات أجنبية ؟
فالنتينو : الاسفار التي قمت بها في شبابي اكسبتني هذه الميزة، ولولاها لكنت لاقيت كثيرا من الضيق والحرج.
اللص الثالث : لعمري، ان رفيقا مثل هذا يكون خير زعيم لعصابتنا.
اللص الأول : لنحتجزه اذاً لهذه الغاية. اسمح لي بكلمة، يا سيدي.
(يتنحي اللصوص جانبا ويتشاورون بصوت خافت)
ديليجنس : يا سيدي، كن واحدا منهم، لان مهنتهم اللصوصية الشريفة.
فالنتينو : كفى يا مغفّل.
اللص الثاني (يتقدم نحو فالنتينو): قل لنا هل لديك مورد آخر ؟
فالنتينو : لا مورد لي، ولست أملك غير ما عليّ من ثياب.
اللص الثالث : اعلم ان بعضنا من الاعيان، وقد طردتهم فئات طاغية من

المجتمع، وأنا ذاتي مبعد عن فيرونا بسبب محاولتي اختطاف امرأة هي قرينة الدوق ووريثته الشرعية.

اللص الثاني : وأنا منفي عن مدينة منتوا بسبب طعني احد الوجهاء بخنجر في قلبه.

اللص الأول : وأنا مبعد لأجل جريمة صغيرة من هذا النوع. اننا باستعراضنا واقعنا، نلاحظ اننا نعترف بذنوبنا لتبرير وجودنا المشبوه في نظرك. وعلى افتراض اننا نتمتع نحن بمثل هذه الميزة حسب اعتقادنا، تكون انت صاحب اللغات العديدة، الرجل الفذ الذي نحتاج اليه في مهنتنا.

اللص الثاني : خلاصة القول، انت مبعد، ونحن نود ان نتعامل معك. فهل ترضى ان تكون قائدنا وتساعدنا على ابراز فضائلنا في الحياة ضمن اطار عزلتنا الموحشة.

اللص الثالث : ما قولك ؟ هل تريد ان تكون من جماعتنا ؟ قل نعم، فتصبح رئيسنا ونحترمك ونخضع لأوامرك كقائدنا وسيدنا.

اللص الأول : ولكن، اذا احتقرتَ مبادئنا فموتا تموت.

اللص الثاني : كن على يقين بأننا لن ندع لك مجالاً لتستهتر بما نقترحه عليك.

فالنتينو : اني اقبل عرضكم، وأريد ان اعيش معكم بشرط ان لا ترتكبوا حماقات بحق النساء البسيطات والمارّين المساكين.

اللص الثالث : كلا. نحن نأبى هذه الجبانات الدنيئة. هيا تعال معنا. سنضمك الى عصابتنا ونريك كنوزنا التي، كما هي لنا، ستكون تحت تصرفك ايضا.

(يخرجون).

المشهد الثاني

ميلانو ــ تحت نوافذ سيلفيا، في ضوء القمر

(يدخل بروتيو)

بروتيو : لقد خنت فالنتينو، والآن عليّ ان اخدع توريو. لاني تحت ستار التكلم باسمه، أجدني حرا في الولاء لحبي الخاص. لكن سيلفيا فتاة شريفة وأمينة وورعة، ولن تقبل بأن تغترّ بما أزينه لها بنذالة. فعندما أتذرع لديها بوفائي الصادق ستنبهني الى مراءاتي والى وجوب محافظتي على عهد صديقي. وعندما أوجه الى شخصها الحبيب أعز أمنياتي، ستذكّرني بأني نقضت وعودي لجوليا التي كنت مغرما بها. انما بالرغم من كل هذه المهازل التي يحطم أبسطها آمال العشاق، ارى حبي شبيها بالكلب الذي كلما قسوت عليه كلما ازداد تعلقا به. ها هو توريو قد أقبل، فيجب عليّ أن أذهب الان الى نافذة سيلفيا لكي أنشد لها بعض الاغاني.

(يصل توريو برفقة بعض الموسيقيين)

توريو : اراك تسللت الى هنا قبلنا، يا سيدي بروتيو.

بروتيو : أجل، يا عزيزي توريو. الحب كما تعلم يتسلل كاللص الى حيث لا يسعه ان يدخل علنا.

توريو : الامل، يا مولاي، ان لا تكون حبيبتك في هذا المكان.

بروتيو : بالعكس، يا سيدي. وإلا ما كنت اتيت الى هنا.

توريو : ومن هي ؟ هل هي سيلفيا ؟

بروتيو : نعم، سيلفيا. انما نتيجة مساعيَّ هي لصالحك، كما تعلم.

توريو : شكرا جزيلا. (للموسيقيين) اضبطوا، يا سادة، آلاتكم واعزفوا بحماس. (يتقدم بروتيو وتوريو الموسيقيين، ويقف الجميع تحت نوافذ سيلفيا).

(يدخل فندقي بصحبة جوليا المتنكرة بلباس غلام وكلاهما يقفان بعيدا)

الفندقي : يا ضيفي الشاب، ارى على محياك بعض الكآبة. فأرجوك ان تعلمني بما تشكو منه.
جوليا : لا أبالغ، يا مضيفي، ان بحت لك بأن البهجة حاليا تجافيني.
الفندقي : اذاً سأبذل جهدي لإدخال السرور الى قلبك. سآخذك الى حيث تستمع الى الموسيقى وتلتقي بالرجل الذي تنتظره.
جوليا : وهل يمكنني ان أسمعه يتكلم ؟
الفندقي : بالطبع.
جوليا : ماذا تريد ان تسمعني من الموسيقى ؟ (تبدأ الجوقة بالعزف).
الفندقي : انتبه، انتبه ؟
جوليا : هل هو بين هؤلاء الناس ؟
الفندقي : أجل، ولكن أصمت وانصت.

أنشودة

من هي سيلفيا هذه، من هي ؟
حتى يثني عليها الكل ويباهي.
هي فتاة طاهرة عاقلة امينة
اسبغت عليها السماء نعما ثمينة
من شأنها ان تزيدها سحرا واعجابا.
هل هي طيبة بقدر ما هي جميلة ؟
أجل، وأخلاقها للنبل سليلة
والعيون على الحب خير شاهد
يرى البلسم فيه العاشق الساهد
يسأل بلهفة عن شكّه جوابا.

لننشد اذاً اكراما لسيلفيا.
ففيها الجود والوفاء تلاقيا
وهي تفوق كل مخلوق كريم
على الارض الخصبة الخيِّرة مقيم
وقد اسرت جميع القلوب غلابا.

الفندقي (لجوليا): انت لا تزال حزينا كما رأيتك قبل برهة. فما بالك يا صاح ؟ ألا تعجبك هذه الموسيقى ؟

جوليا : انت مخطىء. فان ما لا يعجبني هو الموسيقي.

الفندقي : ولماذا، يا سيدي الانيق ؟

جوليا : لأن عزفه نشاز.

الفندقي : وما السبب ؟ هل الأوتار غير مضبوطة ؟

جوليا : كلا. ان عزفه مغلوط، ويزعج حتى نياط قلبي.

الفندقي : أرى ان أذنك المرهفة حساسة للغاية.

جوليا : أجل، وكم أود أن أكون أصمّ لأن هذا العزف يخدش أذني.

الفندقي : أنا ألاحظ انك لا تحب الموسيقي.

جوليا : كلا، ثم كلا. بل لا أحب هذا الدوي.

الفندقي : إسمع انسجام التنويع المنسق في النغم العذب.

جوليا : العلة كامنة في هذا التنويع بالذات.

الفندقي : هل تريد أن يتكرر الايقاع عينه بتواتر ؟

جوليا : أود ان اسمع عزف لحن واحد حلو. ولكن قل لي، يا مضيفي العزيز، هل السيد بروتيو الذي تتكلم عنه، يزور هذه السيدة بانتظام ؟

الفندقي : لا يسعني الا ان اعيد عليك ما قاله لي رفيقه لنسيو : انه متدلّه بهواها.

جوليا : اين لنسيو ؟

الفندقي : ذهب يبحث عن كلبه، ليقدمه غدا هدية لهذه السيدة تلبية لأمر معلمه. (تتوقف الموسيقى).

جوليا : ما هذا الصمت، ولما الانتظار صفا واحدا ؟ ثم لماذا تتفرق الجوقة هكذا ؟ (يستلقي الفندقي في صدر المسرح كأنه يتهيأ للنوم).

بروتيو : مولاي توريو، لا تهتم انت بشيء. سأدافع عنك وستقدّر شهامة موقفي.

توريو : اين سنلتقي ؟

بروتيو : عند البئر المعهودة.

توريو : الى اللقاء. (يخرج توريو والموسيقيون).

(تظهر سيلفيا عن شرفة نافذتها)

بروتيو : ليلتك سعيدة، يا سيدتي.

سيلفيا : أشكركم على موسيقاكم، يا سادة. من الذي تكلم الان ؟

بروتيو : رجل سرعان ما تعرفينه من نبرات صوته، ان وثقت بصدق عواطفه الوفية، يا سيدتي.

سيلفيا : مولاي بروتيو، أَوَتظن ذلك ؟

بروتيو : أجل، يا سيدتي اللطيفة. انا خادمك الامين بروتيو.

سيلفيا : ماذا تريد ؟

بروتيو : ان أنفذ رغباتك.

سيلفيا : كن مطمئنا. ان ما ارغبه بالذات هو ان تنسحب حالا من هنا. تباً لك من منافق محتال. أتظنني هكذا غبية وطائشة حتى أنقاد الى تمليقك واغوائك ووعودك الخداعة. عد الى عشيقتك وعوّض لها عن كل مساوئك. اما انا فأقسم لك بأني لن ألبي طلباتك، لا بل أزدري بكل ميولك وآسف للوقت الذي أضيعه الان في التحدث اليك.

بروتيو : انا لا أنكر، يا عزيزتي الفاتنة اني احببت سيدة، لكنها ماتت.

جوليا (على حدة): لكي أفضح كذبك، يكفيني ان أتكلم. فأنا على يقين بأنها لا تزال حية.

سيلفيا : لنسلِّم بأنها ماتت. فان صديقك فالنتينو لا يزال حيا، وأنا خطيبته كما تعلم. أولا تخجل من اهانته بتدخلك وادعائك ؟

بروتيو : لقد علمت ايضا ان فالنتينو قد مات.

سيلفيا : وافترض اذاً انني أنا أيضا قدّ مت، فيمكنك والحالة هذه ان تعتبر ان قلبي مدفون معه في القبر.

بروتيو : ايتها السيدة الحلوة. اسمحي لي ان انبشه من تربته.

سيلفيا : اذهب الى ضريح صاحبتك وناجها أو أدفن على الاقل حبك فوق هواها.

جوليا (على حدة) : انه يأبى ذلك.

بروتيو : بما ان قلبك قاسٍ الى هذه الدرجة، يا سيدتي، اسألك ان تمنحيني على الاقل صورتك المعلقة في حجرتك، فأخاطبها وأكرس لها تنهداتي ودموعي، ما دمت قد وهبتِ قلبك شخصا آخر، ولم يبق منك في خاطري سوى طيف متباعد، فأود ان أوجه تذكاراتي الى رسم خيالك.
جوليا (على حدة): لو ملكت قلبي حقا لخدعته وجعلت منه طيفا نظيري.
سيلفيا : انا أكره كل الكره ان اكون المرأة التي تحبها، يا سيدي. وبما ان الكذب يحملك على تقديم بخورك لخيال، وعلى التعلق بسراب وهمي، ارجوك ان تبعث اليّ صباح الغد بمن اعطيه رسمي، فيتسنى لك حينئذ ان ترقد ناعم البال.
بروتيو : نظير الاشقياء الذين ينتظرون تنفيذ حكم الاعدام فيهم باكرا. (تنسحب سيلفيا من الشرفة. ويخرج بروتيو).
جوليا (تهز الفندقي): أتريد ان تذهب، ايها الفندقي ؟
الفندقي (يستفيق): ما أغباني ! كيف غصتُ في النوم ؟
جوليا : قل لي، اين يسكن السيد بروتيو ؟
الفندقي : عندي. أعتقد بأن الصبح قد انبلج.
جوليا : ليس تماما. ولكن هذه اطول وأسوأ ليلة قضيتها في حياتي. (يخرجون).

المشهد الثالث

في نفس المكان

(يطلع النهار. ويدخل اكلامور بثياب الحداد)

اكلامور : في هذه الساعة، طلبت مني السيدة سيلفيا ان أوافيها، لتفصح لي عما ترغبه مني. فهي تريد ان تكلفني بالقيام بعمل هام. سيدتي، اين انت يا سيدتي ؟
سيلفيا (تطل من شرفتها): من يناديني ؟
اكلامور : خادمك وصديقك الذي ينتظر أوامرك.

سيلفيا : صباخ الخير، يا مولاي اكلامور.

اكلامور : صباح الخير، يا سيدتي. تلبية لمشيئتك جئت باكرا لأعرف اية خدمة تطلبين مني ؟

سيلفيا : يا سيدي اكلامور، لا تظن اني أتملَّقك. أقسم لك بأنني صادقة. انت من الوجهاء الشجعان العقلاء ذوي النباهة والفطنة، ولا تجهل ميلي الى المنبوذ فالنتينو. وتعلم جيدا ان ابي يصرّ على تزويجي حتى بالقوة للبدين توريو الذي أكرهه بكل قواي. انت اختبرت الحب، وسمعتك مرارا تصرح بأن لا شيء في الدنيا آلمك مثل وفاة حبيبتك التي اقسمتَ على بلاط ضريحها بأن تظل امينا لذكراها وبتولا الى الابد، اكراما لمنزلتها الغالية عليك. يا اكلامور، أريد ان ألحق بفالنتينو الى منتوَا حيث علمت بأنه ينتظرني. ولما كان اجتياز الطرقات الى هناك غير مأمون، أرجوك أن لا تضن عليّ برفقتك المطمئنة، وأنت تحظى بثقتي الكاملة. لا تحتج بغضب والدي، يا اكلامور، انما فكِّر بآلامي كامرأة، وبشرعية هربي الذي سيجنبني قرانا باطلا يجر عليّ الوبال والشقاء والمذلة الى الابد. انا ألتمس منك هذا المعروف لانه يجسد احلى اماني قلبي المثقل بالهمّ والعذاب بقدر ما على شاطىء البحر من رمال. ارجوك ثم ارجوك ان لا تبخل عليّ برفقتك، وأستحلفك بأن لا تبوح بسري لاحد، لاني، ان لم ترافقني، أنوي المغامرة بالذهاب حينئذ وحدي.

اكلامور : انا أرثي لحالك، يا سيدتي، لاني اعرف جيدا عظيم ولائك لي وأرضى بمرافقتك غير آبه لما يمكن ان ينوبني، ما دمت أتوق الى تحقيق سعادتك. فمتى انت مصممة على الرحيل.

سيلفيا : هذا المساء.

اكلامور : الى اين يمكنني ان أصطحبك ؟

سيلفيا : الى مقر صديقي بتريك حيث استطيع ان اختبىء بعض الوقت.

اكلامور : لن ادعك تنتظرينني طويلا. أتمنى لك نهارا سعيدا، يا سيدتي اللطيفة.

سيلفيا : نهارك سعيد، يا عزيزي اكلامور. (تنسحب سيلفيا من الشرفة ويذهب اكلامور).

المشهد الرابع

في نفس المكان

(يدخل لنسيو وهو يجرّ كلبه)

لنسيو : عندما يكون للمرء خادم يتصرف مثل الكلاب، لا بد لسير الامور من ان يتعرقل. وما عجبي الا بمخلوق اعتنيت به صغيرا وأنقذته من الغرق، وكان له ثلاثة او اربعة من الاخوة والاخوات البلداء يرافقونه، وقد ربيته بطريقة تجعلني اقول للناس بافتخار : انظروا كيف احسنت تربية كلبي. والآن، انا مكلف بأن أقدمه كهدية للسيدة سيلفيا من قبل معلمي. وما كدت ادخل غرفة المائدة حتى قفز الى صحني وسرق فخذ الدجاج الذي كان فيه. ما افظع ان لا يكون الكلب حسن السلوك في كل الظروف. لو لم اكن سريع الخاطر لأتدارك الخطأ الذي ارتكبه، أعتقد بأنه كان استحق القتل حتما. ومن التفاصيل التالية تحكمون على ما جرى : لقد اندس هذا الكلب مع ثلاثة او اربعة من بني جنسه تحت طاولة الدوق. وكان قد لجأ الى ذلك المكان ليبوّل، فشم الحاضرون الرائحة الكريهة، وصرخ به احدهم : اخرج ايها الكلب. وسأل آخر : لمن هذا الحيوان ؟ ثم صاح ثالث : اطردوه، اطردوه. وأخيرا زمجر الدوق صارخا : اقتلوه. بينما انا، بعد ان شممت الرائحة وأدركت ان صاحبها هو كلبي، مضيت حالا الى الغلام الذي يضرب الكلاب بالسياطة، وقلت له : يا صاح، هل تنوي جلد هذا الكلب ؟ فأجابني : بكل تأكيد. فقلت له : ستظلمه ان فعلت، لأن القباحة النكراء هي من صنعي. واذا به بدون أي تحفظ يطردني من الغرفة. وكم من السادة يتصرفون هكذا حيال خدمهم ! أؤكد لكم اني عرّضت نفسي للعقاب بسبب ما سرقه كلبي من صحون الارز بالحليب، وإلا لكان تعرّض هو للقتل رميا بالرصاص، وتعرضت انا للربط الى عمود الجلد، بسبب ما خنق من الأوزات، فأنقذته من القصاص

(يلتفت نحو الكلب) انت لا تتذكر هذا الان، غير اني لا ازال أتخيل المهزلة التي قمت انت بها امامي. عندما استأذنت السيدة سيلفيا للانصراف، أو لم أوصيك ان تراقبني وأن تقتدي بي ؟ هل ابصرتني مرة أتصرف هكذا ؟
(يدخل بروتيو ومعه جوليا مرتدية زيّ غلام).

بروتيو : سأدعوك سيبستيان. انت تعجبني، وسأحتاج اليك بعد برهة.

جوليا : في سبيل ما يعجبك، انا مستعدة لان أبذل كل ما بوسعي من الجهد.

بروتيو : انا متكل عليك. (للنسيو) ايها اللص الخبيث، يا ابن الزانية، اين كنت تتجول في هذين اليومين ؟

لنسيو : صدّقني، يا معلمي. لقد حملت الكلب الى السيدة سيلفيا، كما طلبت مني.

بروتيو : وما هو رأيها بجوهرتي الصغيرة ؟

لنسيو : العفو، هي تقول ان كلبك بذيء، وزادت قائلة : ان العواء هو الشكر الوحيد الذي تستحقه هدية كهذه.

بروتيو : المهم، هل قبلتْ كلبي ؟

لنسيو : كلا. ولذا اعدته معي الى هنا.

بروتيو : أولم تقدمه من قبلي ؟

لنسيو : بلى، يا سيدي. لكن كلبك قد سرقه مني خادم الجلّاد في الساحة العامة. فقدمت له كلبي وهو يساوي عشرة من أمثال كلبك. وهكذا جازت الهدية على استحسان مزدوج.

بروتيو : هيا اذهب من هنا وإلحق بكلبي، ولا تعد الى هذا المكان اثناء وجودي. اغرب عن وجهي. مالك لا تتحرك، ألتثير غضبي ؟ (يهرب لنسيو). ايها البليد، انت تغيظني على الدوام. لقد قبلتك في خدمتي أولا لاني بحاجة الى شاب يقضي أموري بسرية تامة، ما دمت لا استطيع الاتكال على هذا البهلول السمج، ثم بنوع خاص، بسبب طلعتك وهندامك اللذين أستبشر بهما خيرا، لانهما يدلان على ثقافة عالية وطبيعة مرحة وشريفة. فاعلم اني لاجل ذلك رضيت بك. إمض حالا وسلّم هذا الخاتم للسيدة سيلفيا لان التي اعطتني اياه كانت تحبني كثيرا.

ذلك اظن ان الرسام قد بالغ في تجميله، ان لم اكن انا مغرورة بنفسي. فشعره كستنائي قاتم، بينما شعري انا اشقر ذهبي. ولو كان هذا الفرق الوحيد بيني وبين بروتيو لكنت اقتنيت شعرا مستعارا ليكتمل الشبه بيني وبينه. ان عينيه كالزجاج لا تعبير فيهما مثل عينيّ. أجل، لكن جبهته ضيقة بقدر ما جبهتي هي عريضة. فما الذي يعجبه فيها يا ترى، ولا أتمكن انا من نيل رضاه ؟ آه من الحب الغبي، ما أشد عماه ! ايها الخيال المسكين، هيا تأمل هذا الطيف، فهو مزاحمكِ البغيض. (تنظر الى الرسم). يا لك من رسم غير حساس، سيقدم لك البخور والحب والحفاوة بلا حساب. لو كان لميل بروتيو الى التحف من معنى، لوجب عليه ان يكرم شخصي بدلا من هذا الشبح الجامد. غير اني أحسن معاملتك تقديرا لمعلمتك التي اكرمت وفادتي. ولو اصبح الامر خلاف ذلك، أقسم لك بكل عزيز، اني كنت فقأت عينيك الاثنتين لكي أنتزع من صدر معلمك ما يحفظه لك من هيام (تخرج).

الفصل الخامس

المشهد الأول

ميلانو ـــ في احد المعابد

(يدخل اكلامور)

اكلامور : اخذت الشمس تميل الى الغروب. وبعد قليل يحين موعد وصول سيلفيا لموافاتي الى مقر الصديق بتريك. ستأتي في الموعد المضروب. لان العشاق حريصون عادة على الدقة في الوقت. الا اذا جاءت مبكرة، لما بها من لهفة الى الاستعجال في تحقيق حلمها.

(تدخل سيلفيا)

ها هيذا قد اقبلت. ليلتكِ سعيدة، يا سيدتي.

سيلفيا : ليلتك سعيدة. هيا، يا اكلامور الكريم، نغادر هذا المكان لاني اخشى ان يكون بعض الجواسيس في اثري.

اكلامور : لا تخافي، فالغابة ليست بعيدة من هنا، ومتى وصلناها نمسي في مأمن من كل مكروه.

المشهد الثاني

في قصر الدوق

(يدخل توريو وبروتيو ثم تتبعهما جوليا)

توريو : مولاي بروتيو، بماذا ترد سيلفيا على الحاحي ؟
بروتيو : اني اجدها، يا مولاي، ألطف مما كانت عليه، بالرغم من انها تبدي بعض الاعتراض على شخصك.
توريو : ماذا تقول ؟ ان ساقيّ أطول من المعتاد ؟
بروتيو : بل انهما أقصر مما ترغبه هي.
توريو : سألبس في رجليّ جزمة لأزيدهما طولا.
جوليا (على حدة): ليس من قوة تدفع المحب الى حيث يكره ان يكون.
توريو : وماذا تقول عن وجهي ؟
بروتيو : انه ناصع البياض.
توريو : هذا محض افتراء. وأنت ترى ان وجهي اسمر اللون.
بروتيو : انما اللآلىء بيضاء. وما أصدق القول : ان الرجال السمر هم لآلىء في نظر النساء الجميلات.
جوليا (على حدة): ان دررا كهذه تبهر عيون الحسناوات. لذا انا أغمض جفنيّ كي لا ابصرها.
توريو : وكيف تجد حديثي ؟
بروتيو : مملا عندما تتكلم عن الحرب وويلاته.
توريو : وطلياً، بدون شك، عندما اتكلم عن الحب وأفراحه.
جوليا (على حدة): وتعتبره الافضل، عندما يكون حياديا.
توريو : وماذا تقول عن صفاتي ؟
بروتيو : ليس لديها، يا مولاي، أدنى ريب في نبلها وسموّها.

جوليا (على حدة): لا بد من ان تكون مطمئنة البال نظرا الى ما تعرفه عنه من قلة الاكتراث.
توريو : وماذا تقول عن اصلي ؟
بروتيو : انك سليل أسرة عريقة.
جوليا (على حدة): هذا صحيح. وهو سليل وجهاء من فئة المغفَّلين.
توريو : هل تفكر بأملاكي ؟
بروتيو : طبعا وبأسف.
توريو : لماذا ؟
جوليا (على حدة): لانها تخص مثل هذا الحمار.
بروتيو : لان املاكك غير مضمونة.
جوليا : ها هو الدوق آت.

(يدخل الدوق)

الدوق : اهلا بالسيد بروتيو، وأهلا بتوريو. من منكما رأى اكلامور ؟
توريو : انا لم ابصره.
بروتيو : ولا انا.
الدوق : وهل شاهد احد منكما ابنتي ؟
بروتيو : كلا.
الدوق : صح اذاً نبأ هربها لموافاة حبيبها المراوغ فالنتينو، ومرافقة اكلامور لها باتت لا تقبل الشك، لان احد الاصدقاء صادفهما معا في الغابة حيث كان هو يتنزه. وقد عرف فالنتينو، وأغلب الظن انه عرفها هي ايضا. ولكن بما انها كانت مقنَّعة، لم يتمكن من الجزم بأنها هي. على كل حال، لقد صرحت هي بأنها ستذهب لزيارة الصديق بتريك، وان لم يشاهدها احد هناك. وهكذا نلمس ان ادعاءاتها تؤكد هربها. لذلك أرجو ان لا يطول شرحك، بل ان تمتطي جوادك فورا، وأن تلاقيني عند منعطف الشاطىء الذي يؤدي الى منتوَا. لأنهما اختفيا في تلك الناحية. أسرعوا، يا سادتي الأجلّاء، واتبعوني. (يخرج).
توريو : ويلي، هذه فتاة صعبة المراس، وقد هربت هكذا من السعادة التي

تطرق بابها. أنا ماض الى هناك، لا حبا بسيلفيا المستهترة، بل لمعاقبة اكلامور (يخرج).
بروتيو : انا ايضا ماضٍ. ولكن لأضع حدا لهذا الغرام فقط، لا كرها بسيلفيا التي هربت لتلحق بحبيبها. (يخرج).

المشهد الثالث

في غابة على طريق منتوا

(يدخل لصوص مصطحبين سيلفيا)

اللص الأول : هدئي روعك، يا صبية. علينا أن نقودك الى رئيسنا.
سيلفيا : ان مآزق أدهى من هذه علّمتني اجتياز الصعاب بصبر وشجاعة.
اللص الثاني : عجلوا، خذوها.
اللص الأول : اين الرجل الذي كان يرافقها ؟
اللص الثالث : تملّص منا واختفى، لانه سريع العدو. لكن موسى وفاليريوس يطاردانه. (للص الأول) خذها انت الى اقصى الجهة الغربية من الغابة. هناك تجد رئيسنا. اما نحن فسنلاحق الهارب. المنحدر مطوَّق ولا سبيل للفارّ الى الابتعاد كثيرا.
اللص الأول (لسيلفيا): تعالي معي، لأقودك الى كهف رئيسنا. لا تخافي، انه طيب القلب، شهم، لا يسيء معاملة اية امرأة.
سيلفيا : لأجلك يا فالنتينو، أحتمل كل هذا العذاب (يخرجون).

المشهد الرابع

في ناحية أخرى من الغابة

(يدخل فالنتينو)

فالنتينو : سرعان ما توطد الممارسة بعض العادات في أعماق الانسان. ففي هذه الوحدة الموحشة، وهذه الغابة النائية، يمكنني أن أتدبر امري اكثر من المدن الآهلة الصاخبة. هنا استطيع أن أجلس وحدي، بعيدا عن الناس، أنتشي بتغريد البلابل الشجية، أهدهد احزاني وأصعِّد آهاتي بحرية. اما انت يا ساكنة فؤادي، فلا تغادري مأواك ولا تهجريه طويلاً خشية أن يتساقط البناء ركاما على رأسي ولا يترك أطلالا تذكِّرني بما كنت أنعم فيه من بهجة ومرح. ألا جددي شبابي بعطفك عليّ يا سيلفيا. يا حوريتي الفاتنة، بادري الى نجدة محبك المفجوع. (يسمع صوت صليل سيوف تتخلله صرخات). ما هذه الضجة ؟ ما هذه القعقعة اليوم ؟ أعتقد بأن رفاقي يفرضون ارادتهم كأنها شريعة محتمة، يطاردون بعض المارة المساكين. هم يحبونني كثيرا. مع ذلك، عليّ أن أسعى جديا لمنعهم من ارتكاب التجاوزات المؤذية. إنسحب انت يا فالنتينو. من القادم الى هنا ؟ (يقف جانبا).

(يدخل بروتيو، وبيده السيف، ثم تدخل سيلفيا وجوليا)

بروتيو : نعم، يا سيدتي، لقد قمت بالمهمة التي كلفتني بها خير قيام، وان كنت غير آبهة لما يستطيعه خادم نظيري. لقد غامرت بحياتي لكي أنجيك من رجل كان ينوي ان يقسو عليك بوحشية ويدوس شعورك وحريتك بشراسة. فجودي عليّ، على الاقل، بنظرة حنان تكون مكافأة لاخلاصي. اذ لا أجرؤ على طلب ذلك، ولكني اثق بأنك لن تبخلي عليّ به نظرا الى كرم أخلاقك.

فالنتينو (على حدة): ان ما اراه وأسمعه الان يشبه الحلم. أيها الحب، هبني الصبر لأتمالك نفسي برهة.

سيلفيا : ما أشقاني، وما أسوأ حظي !
بروتيو : قبل ان آتي الى هنا، كنتِ انت شقية، يا سيدتي. لكن مجيئي اليك غمر قلبك بالسعادة.
سيلفيا : لا، بل بالعكس، فان قربك ضاعف تعاستي.
جوليا (على حدة): وتعاستي ايضا، حالما تقرّب هو اليك.
سيلفيا : أفضِّل ان اقع بين أنياب أسد جائع، وأن أذهب طعمة الوحوش، على أن يكون خلاصي على يد الخسيس بروتيو. الله يعلم كم أكنّ من الحب العميق لفالنتينو الذي أعتبر حياته أغلى من حياتي. وهكذا تفاقم حقدي على بروتيو اللئيم، الذي لا يمكنه أن يكون أفضل مما هو. لذلك اطلب منك ان تذهب ولا تأمل بحبي ابدا.
بروتيو : مهما كان الخطر الداهم مميتا، سأجابهه غير هيَّاب لأحظى ولو بنظرة عطف واحدة منكِ، اذ ليس من شقاء اقسى من عذاب الهيام، وليس أتعس من رجل يحب امرأة لا تهواه.
سيلفيا : وليس من مثيل لبروتيو الذي يعشق المرأة التي لا تميل اليه. اقرأ مجددا اذاً في محيا جوليا قصة حبك الأول. فلكي تنال رضاها، قد مزقتَ سعادتك وجعلتها إربا اربا. وكل هذه الوعود تبخرت هباء بسبب ولهي بغيرك. في اعتقادي، لم يعد لك الان كلمة. وأخشى ان تكون لك كلمتان مختلفتان، فهذه هي اسوأ الحالات. نعم، في الحقيقة، الأفضل أن لا تكون للانسان كلمة، من ان تكون له كلمتان، احداهما لا مبرر لها. ومع ذلك، أظنك قد خنت أعز اصدقائك.
بروتيو : في الحب، من يا ترى يحترم الصداقة ؟
سيلفيا : معظم الرجال، ما عدا بروتيو.
بروتيو : اذا كانت الفصاحة والبلاغة من أشد الكلام تأثيرا، فلن تقوى على تليين قلبك، وأنا مستعد لان أغازلك عنوة وأجبرك على محبتي، ولو اضطررت الى استخدام حد السيف، وسأظل احبك رغم انفك.
سيلفيا : يا إلهي !
بروتيو (يأخذها بين ذراعيها): سأجبرك على الخضوع لمشيئتي.

فالنتينو (يهجم): تباً لك من متهتّك وقح ! كف عن هذا العناق البذيء، يا وجه النحس، ومجلبة الشؤم !
بروتيو : فالنتينو !
فالنتينو : يا عنوان الدناءة، يا عديم الشرف والمروءة والوفاء، تماما نظير أصدقاء الوقت الحاضر، يا حليف الغدر والخيانة ! لقد خيَّبت آمالي أيها الوغد، وهدمت صرح أحلامي لأن ما لمحته عيناي وحده يكفي لاقناعي بواقعك المشين. الان لم اعد أجرؤ على القول بأن لي صديقا واحدا حيا، لأن وجودك يكذّب ادعائي. فبمن أضع ثقتي عندما يسحق قلبي أعز الناس لديّ ؟ انا آسف لفقداني ثقتك بي الى الابد، لأن شكك جعلني غريبا حتى عن نفسي، ما دام أذى القريب والحبيب يفوق كل البلايا. تباً لك، أيها الزمان اللعين الذي أصبح فيه الصديق أبغض من العدو اللدود.
بروتيو : ان عاري وجريرتي يخجلاني. فسامحني يا فالنتينو. ليت وخز ضميري في الحب يكون تكفيرا وافيا عن تقصيري، فأقدمه لك تعويضا عما اقترفته بحقك من جحود. واعلم ان آلامي هي افظع من ذنوبي بما لا يقاس.
فالنتينو : لقد استوفيت حقي. والآن أجدد تمسُّكي بعهودك لاني أثق بكلامك. فمن لا يردعه الندم لا يستطيع ان يميز بين الخير والشر، وأن يفرّق بين العنف واللين. وبما ان التوبة تخفف غضب الله، ولكي تلمس ان أمانتي حيالك صادقة وراسخة، أقدم لك كضمانة ما خبرته من فضائل سيلفيا.
جوليا : الويل لي (تترنح).
بروتيو (يشير الى جوليا): ماذا حل بهذا الغلام ؟
فالنتينو (يقترب من جوليا): آه منك أيها الخبيث ! هيا اخبرني، ما الامر ؟ ارفع عينيك وتكلم.
جوليا : سيدي العزيز، كلفني معلمي بأن أسلم خاتما للسيدة سيلفيا، وقد تماهلت في القيام بالمهمة.
بروتيو : اين الخاتم ؟
جوليا : ها هو. خذه (تسلمه خاتما).
بروتيو : ما هذا ؟ هو الخاتم الذي اعطيته جوليا.

جوليا : عفواً، يا سيدي. لقد اخطأت. هذا هو الخاتم الذي ارسلته اليك سيلفيا (تريه خاتما آخر).

بروتيو (يتأمل الخاتم الأول): ولكن كيف حصلت عليه ؟ فعند ذهابي، كنت أعطيته جوليا.

جوليا : وجوليا بعينها هي التي سلمتني اياه، لأنها هي التي اتت به الى هنا.

بروتيو : ماذا تقول ؟ جوليا أتت به ؟

جوليا : انظر الى من كانت ضحية وعودك العرقوبية، ومن أدميت قلبها المحب. منذ ذلك الحين، كم سببت لها من مآس ! وكم أتمنى يا بروتيو ان يرتد كيدك الى نحرك بالويل والحسرة. عليك ان تستحي لأنك دفعتني الى التنكُّر بهذا الزيّ لأخفي حقيقة حبي عن الأنظار، اذ من الاسهل، لتمويه العشق، ان تتستَّر المرأة باستبدال ثيابها حياء، من ان يبدّل الرجل نفسيته.

بروتيو : أجل يصعب ذلك على الرجل. ولو كان وطيد الرأي ثابت الجنان، لأصبح اقرب الى الكمال. ان ضعفه هذا بالذات يزيد الطين بلة ويضاعف نقائصه وأخطاءه، ويحمله على ارتكاب الكثير من الحماقات والسفالات. فالتقلُّب هو دائما دليل خساسة وانحطاط، فوق ما يؤدي اليه من عواقب وخيمة. لست أدري ما الذي يسحرني في عيني سيلفيا من معاني المودة والوفاء لا أجد أحلى منها في نظرات جوليا.

فالنتينو : ليعطني كل منكما يده، وليدعني أنعم بسعادة الجمع بين قلبيكما، اذ من المؤسف حقا ان يتناصب صديقان مثلكما العداء طويلا.

بروتيو : الله يشهد على صدق نيَّتي، واياه اسأل تحقيق أمنيتي هذه.

جوليا : وأمنيتي أيضا. (يصل بعض اللصوص بصحبة الدوق وتوريو).

احد اللصوص : انتبهوا، انتبهوا، انتبهوا.

فالنتينو : كفى، كفى. هذا هو مولانا الدوق. أرحب بك، يا مولاي، انا فالنتينو الطريد.

الدوق : من ارى هنا ؟ السيد فالنتينو ؟

توريو : وها هي حبيبتي سيلفيا.

فالنتينو (والسيف في يده): ابتعد، يا توريو، وإلا أزهقت روحك. لا تقف

في وجه غيظي ونقمتي. أكرر عليك انك لن ترى ميلانو بعد الان. ها هي سيلفيا أمامك، فلا تقل انها تخصك، ولا تفكر في استمالتها. اياك ان تلامس يدها، او ان تحاول التزلُّف اليها.

توريو : مولاي فالنتينو، انا لست طامعا بعطفها. فمجنون من تسوّل له نفسه بأن يغامر بحياته لأجل امرأة لا تحبه. انا لا أطالب بها ابدا، وهكذا هي لك وحدك.

الدوق (لتوريو): الالتجاء الى الأساليب الدنيئة للوصول اليها ما هو الا انحطاط ولؤم. إعلم انني، قسما بشرف أجدادي، أقدّر شهامتك، يا فالنتينو، وأعتبرك أهلا لأن تعشق امبراطورة. ومنذ هذه اللحظة، أيقن جيدا كذلك، بأنني أنسى كل عذاب وحقد، وأدعوك الى زيارتي، وأحرضك على الطموح الى مأثرة جديدة تحاكي مروءتك التي قلّ نظيرها. ومساهمة مني بذلك اقول : يا مولاي فالنتينو، أنت شاب كريم المنبت والاخلاق، وعليك أن تحتفظ بحبيبتك سيلفيا ما دام كل منكما أهل لرفيقه.

فالنتينو : اشكر سيادتك على هذا الثناء الذي يفعم قلبي سرورا. وأتوسل اليك باسم ابنتك ان تسدي اليّ المعروف الذي ألتمسه منك بالحاح.

الدوق : ثق بأني أستجيب طلبك مهما يكن.

فالنتينو : هؤلاء الخارجون على القانون، عشت انا وإياهم ردحا من الزمن، ووجدتهم من الرجال الموهوبين المخلصين ذوي الهمم العالية. فسامحهم، ايها المولى الكريم، على ما اتوه من التجاوزات، ودعهم يعودوا من منفاهم الى ديارهم وعيالهم. انهم، في الحقيقة، مواطنون صالحون، وصدورهم عامرة بالعواطف النبيلة، وبوسعهم أن يؤدوا للمجتمع أجلّ الخدمات.

الدوق : رأيك سديد، ورجاؤك هو عين الصواب. وها انا أصفح عنهم وعنك ايضا. فيمكنك ان تعاملهم بسماحة كما تشاء، وحسب ما يستحقون. هيا نذهب ونضع حدا لجميع خلافاتنا باقامة الحفلات والأفراح واغتنام سائر المناسبات الرسمية لنسيان الماضي.

فالنتينو : أثناء سيرنا، سأستميح الحرية لإضحاكك بما أقصّه عليك من رواياتي

إفانس : من الأفضل لك، أن ينوب عنك أصدقاؤك، ويستردوا لك حقك بحدّ السيف. وعلى أيّ حال، فإن في رأسي فكرة أُخرى يمكن أن تتمخض عن نتائج حسنة. هل تعرف آن باج، ابنة السيد جورج باج ؟ أنها صبيّة ظريفة.
سلندر : السيدة آن باج ؟ إنها سمراء وصاحبة صوت جميل.
إفانس : إنها هي بالذات التي أعرفها : أجمل نساء الكون ــ لقد أوصى لها جدها، وهو على فراش الموت، بسبعمائة ليرة ذهبية تقبضها عندما تبلغ السابعة عشرة وإنه لإلهام موفّق أن نترك ثرثرتنا جانباً ونسعى إلى تزويج السيد ابراهام من الآنسة آن باج.
شالو : هل أوصى لها جدها بسبعمائة ليرة ؟
إفانس : أجل، وسيترك لها أبوها مالاً يفوق وصيّة جدّها.
شالو : إني أعرف الفتاة، إنها موهوبة.
إفانس : أن يملك المرء سبعمائة ليرة، معناه أنه موهوب.
شالو : حسناً، لنذهب إلى السيد والنبيل باج. هل فولستاف موجود هناك ؟
إفانس : هل أكذب عليك ؟ إني أحتقر الكذاب، كما أحتقر من كان على خطأ. ان الفارس جون هو هناك. لكني أتوسل إليك أن تنقاد إلى من يريدون لك الخير ــ سأقرع الباب وأطلب السيد باج. (يقرع باب المنزل) يا هذا ! حرس الله بيتك !
باج : من هناك ؟
إفانس : باركك الله،هذا هو صديقك القاضي شالو والسيد سلندر.
باج : إني سعيد لرؤيتكم بصحة جيدة. أشكرك يا سيد شالو من أجل الطريدة التي قدمتها لي.
شالو : إني سعيد لرؤيتك، يا سيد باج ــ كنت أتمنى لو كانت طريدتك أفضل. لقد أجهز عليها بطريقة سيئة... كيف حال السيدة باج ؟... إني أحبك من كل قلبي.
باج : إني أشكرك على ذلك يا سيدي.
شالو : إني أشكرك بدوري، يا سيدي ــ إني أحترمك.
باج : إني سعيد لرؤيتك، يا عزيزي سلندر.

سلندر : كيف حال كلبك المفترس ؟ لقد سمعت ؟ لقد سمعت بأنه قد بُزَّ في السباق ؟

باج : لم يبت أحد في هذا الأمر، يا سيدي.

سلندر : بل قل انك لن تعترف بذلك.

شالو : كلا، لن يعترف بذلك... إنه كلب ممتاز.

باج : إنه كلب ضخم الجثة، يا سيدي.

شالو : إنه كلب ممتاز وجميل ــ هل نستطيع أن نزيد على ذلك شيئاً ؟ السير جون فولستاف موجود هنا ؟

باج : إنه في المنزل، أتمنى لو أستطيع التوسط بينكما.

إفانس : إنك تتكلم كمسيحي.

شالو : لقد أهانني، يا سيد باج.

باج : إنه يعترف بذلك، بطريقة أو بأخرى.

شالو : إن الاعتراف بالإهانة لا يعني التعويض عنها ــ أليس كذلك، يا سيد باج ؟ لقد أهانني وجرح شعوري في العمق، صدقني إني مهان.

باج : إن السير جون قادم إلينا.

(يدخل السير جون، باردولف، نيم وبيستولي)

فولستاف : هل تريد أن تشكوني إلى الملك، يا سيد شالو ؟

شالو : أيها الفارس، لقد قتلت رجالي، واجهزت على أيلي، واقتحمت بيتي.

فولستاف : ولكني لم أُقبِّل ابنة حارسك.

شالو : ستجيب عن كل هذا.

فولستاف : سأجيب فوراً : لقد فعلت كل هذا... هذا هو جوابي.

شالو : سيعلم المجلس بالأمر.

فولستاف : إني أنصحك بأن لا تدع المجلس يعلم بالأمر : ستكون موضع سخرية.

إفانس : إن كلامك بليغ، يا سيرجون !

فولستاف : لا يهمني إن كان كلامي بليغاً أو فارغاً ! سلندر، لقد جلفت رأسك، فأي حقد تكنه لي ؟

سلندر : إني أضمر لك ولأوغادك، باردولف، نيم وبيستولي حقداً عظيماً. لقد قادوني إلى المقهى، وبعد أن شربنا، سلبوني أموالي.

باردولف : إيهٍ منك يا جينة يا نبوري !

سلندر : هذا لا يهمني !

بيستولي : **ماذا ؟**

سلندر : هذا لا يهمني !

نيم : لنترك هذا الحديث.

سلندر : (لشالو): أين سامبل، خادمي، خادمي، هل بامكانك أن تقول لي أين هو؟

إفانس : **مهلاً**، أرجوكم ! دعونا نتفاهم ! هناك، على ما أعتقد، ثلاثة حكام سيبتون في هذه القضية : هناك السيد باج، يعني السيد باج، وهناك أنا، يعني أنا، وهناك أخيراً ضيفي غارتر.

باج : نحن الثلاثة سنستمع إلى القضية ونبتُّ فيها.

إفانس : حسناً ــ سأعد محضر ضبط وأدوّنه في مفكرتي، ومن ثم سنستعلم عن القضية بحذر.

بيستولي : (يتقدم) ــ إنه يصغي جيداً.

إفانس : ما معنى هذا الكلام ؟

فولستاف : بيستولي، هل سلبت السيد سلندر أمواله ؟

سلندر : أجل، أقسم لك بهذه القفافيز، بأن لا أدخل إلى غرفتي الكبيرة مطلقاً، إذا لم يكن هو الذي سلبني أموالي.

فولستاف : هل حقاً ما يقوله يا بيستولي ؟

إفانس : إذا كان الأمر يتعلق بالسرقة، فإن ما يقوله زور وبهتان.

بيستولي : (لإفانس) ــ إليك عني أيها الجبلي ! (لفولستاف) أطلب إليك يا سيدي، أن تضربني بهذا السيف المصنوع من الخشب. (لسلندر) أنت كاذب!

سلندر : (مشيراً إلى نيم) أقسم لك بهذه القفافيز بأنه هو.

نيم : إنتبه يا صاحبي : لا أريد أن تهزل معي، وإلا قبضت عليك.

سلندر : (مشيراً إلى باردولف) أقسم لك بهذه القبعة، بأن السارق هو هذا،

صاحب الوجه الأحمر. وإذا كنت لا أذكر ماذا فعلتم بي بعدما أسكرتموني، فلا يعني هذا انني حمار.

فولستاف : (لباردولف) ما رأيك في ما يقول، يا صاحب اللون القرمزي ؟

باردولف : من جهتي، أعتقد أن هذا النبيل فقد رشده بعد أن سكر.

إفانس : فقد رشده ـــ تباً له من جاهل !

سلندر : أجل، وكنت أنت أيضاً تتكلم باللاتينية. ولكن هذا لا يهم !

بعد هذه الخدعة القذرة، لن أسكر إلا بصحبة أُناس شرفاء واتقياء يخافون الله، وليس مع سكيرين.

إفانس : بحق الله الذي سيدينني، ان قصدك شريف.

فولستاف : تلاحظون، أيها السادة، أنهم أنكروا كل ما حصل.

(تدخل السيدة آن باج ومعها خمر، ثم السيدة غي والسيد باج)

باج : أعيدي هذه الخمر يا ابنتي، سنشرب في البيت.

(تعود آن باج إلى البيت)

سلندر : أيتها السماء ! إنها الآنسة آن باج !

باج : كيف حال السيدة غي ؟

فولستاف : أهلاً بك، أيتها السيدة غي ـــ استأذنك، أيتها السيدة العزيزة ! (يعانقها).

باج : أيتها السيدة، أقيمي عيداً لهؤلاء السادة، تعالوا، إن لدينا فطائر لحم ساخنة معدّة للغداء ـــ تعالوا، أيها السادة، آمل أن ندفن جميع أحقادنا.

(يدخل الجميع إلى البيت باستثناء شالو، سلندر وإفانس)

سلندر : إني مستعد لاعطاء أربعين شلناً لمن يحضر إليَّ كتاب الأغاني.

(يدخل سامبل)

حسناً، يا سامبل ! أين كنت ؟ هل ينبغي عليّ أن أخدم نفسي، أليس كذلك ؟ هل أحضرت معك كتاب الألغاز ؟

سامبل : كتاب الألغاز ! ولكنك أعرته إلى أليس كورتميش، في عيد جميع القديسين الماضي.

شالو : تعال يا ابن عمي، تعال، نحن بانتظارك ــ هناك اقتراح تقدم به السير هوغ الموجود هنا... هل تسمعني ؟

سلندر : أجل، يا سيدي، وستجدني عاقلاً، سأعمل كل ما يأمرني به العقل، إذا كان الأمر كذلك.

شالو : ولكن اسمعني.

سلندر : هذا ما أفعله، يا سيدي.

إفانس : استمع جيداً، يا سيد سلندر، سأقول لك ما إذا كان الأمر يناسبك أم لا.

سلندر : كلا، سأفعل ما سيقوله لي، ابن عمي شالو. أعذرني أرجوك، إنه قاضي صلح في بلدته. أما أنا فإني رجل بسيط.

إفانس : ولكن ليس هذا ما نعنيه، ان الأمر يتعلق بزواجك.

شالو : أجل، هذا هو المقصود، يا عزيزي.

إفانس : أجل، المقصود هو زواجك من الآنسة آن باج !

سلندر : إذا كان الأمر كذلك، فإني مستعد لأن أتزوجها رغم كل الشروط المعقولة.

إفانس : ولكن هل تستطيع أن تحب الفتاة ؟ نريد أن نعلم ذلك منك شخصياً.

شالو : يا ابن عمي، ابراهام سلندر، هل تستطيع أن تحبها ؟

سلندر : أرجو ذلك، يا سيدي، سأفعل من أجل أن أحبها كل ما يأمرني به العقل.

إفانس : استحلفك بالله وبالسيدة العذراء، أن تقول لي بالإيجاب ما إذا كنت تستطيع أن تحبها.

شالو : يجب أن تفعل ذلك ــ هل تتزوجها ومعها مهر مرموق ؟

سلندر : إني مستعد لأن أفعل أكثر من ذلك، يا ابن عمي، بناءً على طلبك المعقول.

شالو : ولكن افهمني، افهمني، يا ابن عمي. ما أريده، هو إسعادك. هل تستطيع أن تحبّ الفتاة ؟

سلندر : إني مستعد لأن أتزوجها بناءً على طلبك، يا سيدي. ولكن إذا لم يكن

الحب كبيراً في البداية، فإن السماء ستعمل على انقاصه بعد معاشرة حميمة عندما نتزوج ويكون قد تسنى لنا أن يعرف أحدنا الآخر أكثر.

وإني أتوقع أن يزداد النفور فيما بيننا عندما نكون أقل كلفة. ولكن إذا قلت لي تزوجها، فإني سأفعل ذلك. إني رجل منحل الأخلاق جداً في هذا الصدد وبغاية الانحلال.

إفانس : إنه جواب حكيم ما عدا كلمة بغاية الانحلال التي يجب أن يقال : بعزم شديد... ان قصده شريف.

شالو : أجل، أعتقد أن قصده شريف.

سلندر : أجل، لو لم يكن قصدي شريفاً، لقررت أن أشنق هنا.

(تدخل آن باج)

شالو : إن السيدة الجميلة آن قادمة... كم أتمنى لو كنت شاباً لأحبك أيتها السيدة آن !

آن : إن الغداء جاهز، ووالدي يرغب في تناول الطعام معك.

شالو : إني تحت تصرفه، أيتها السيدة الجميلة آن.

إفانس : تبارك الله ! لا أُريد أن تفوتني صلاة السلام الملائكي.

(يخرج شالو وإفانس)

آن : هل تريد أن تدخل، يا سيدي ؟

سلندر : كلا، أشكرك من كل قلبي، إني على أحسن ما يرام.

آن : إن الغداء بانتظارك، يا سيدي.

سلندر : لست جائعاً، شكراً لك (لسامبل) اذهب، ايها الحقير، وقم بخدمة ابن عمي شالو. (يخرج سامبل) إن قاضي الصلح، يجد الراحة إذا اعاره احد ذويه خادمه... إني احتفظ بثلاثة خدم وبوصيف واحد، وذلك إلى أن تموت أُمي. وبانتظار ذلك، فإني اعيش كمن ينحدر من أصل حقير.

آن : لا استطيع أن أدخل بدونك، يا سيدي. لن يجلس أحد الى مائدة الطعام قبل أن تحضر.

سلندر : في الحقيقة لا أريد أن آكل شيئاً. أشكرك كما لو كنت قد أكلت.

آن : ارجوك ان تدخل، يا سيدي.

سلندر : شكراً لك. أفضل أن نتنزه هنا ــ لقد رُضَّ البارحة عظم ساقي عندما كنت اقاتل مدرباً بالمبارزة. لقد تناولت صحناً من الإجاص المجفف، ومنذ ذلك الحين بت لا استطيع تحمل رائحة الطعام الساخن... لماذا تنبح كلابك هكذا ؟ هل هناك دببة في المدينة ؟

آن : اعتقد ذلك، يا سيدي.

سلندر : أحب كثيراً هذا النوع من اللهو، كما إني بارع في مقاتلة الدببة مثل اي رجل في انكلترا... الا يعتريك الخوف عندما ترين الدبّ وقد افلت من قيده ؟

آن : أجل، يا سيدي.

سلندر : إن هذا النوع من اللهو، يعادل بالنسبة لي الأكل والشرب. لقد رأيت « ساكرسون » وقد افلت من قيده، كما إني امسكت بسلسلته، مراراً عديدة. ولكني أجزم لك بأن النساء كُنّ يولولن لدى رؤيتهن هذا المشهد. إن النساء لا يستطعن تحمل رؤية هذه الحيوانات المفترسة.

باج : (يخرج من المنزل) تعال، ايها العزيز سلندر، تعال نحن بانتظارك.

سلندر : لا أريد أن آكل شيئاً. شكراً لك، يا سيدي.

باج : تعالَ، تعالَ يا سيدي.

سلندر : أُدخل أمامي، أرجوك.

باج : هيا، يا سيدي.

سلندر : أيتها السيدة آن، ادخلي أولاً.

آن : كلا، يا سيدي، ارجوك أن تدخل أولاً.

سلندر : لن ادخل اولاً، لن اسبب لك مثل هذه الإهانة، يا سيدي.

آن : ارجوك يا سيدي.

سلندر : افضل ان اكون غير مهذب على أن اكون مزعجاً ــ انك تهين نفسك، في الحقيقة.

(يدخل إلى البيت تتبعه آن وباج)

المشهد الثاني

(أمام منزل باج)

(يظهر إفانس وسامبل على عتبة المنزل)

إفانس : هيا ! إسأل عن المنزل المؤدي إلى منزل الدكتور كايوس. هناك تقيم السيدة كيكلي التي تعتبر مرضعته أو ممرضته، أو طباخته، أو غسالته، أو كواءته.
سامبل : حسناً، يا سيدي.
إفانس : اعطها هذه الرسالة، إنها تعرف جيداً السيدة آن باج. والرسالة هي من أجل أن تتوسل إليها لدعم طلب سيدك لدى السيدة باج. اذهب، ارجوك، أريد أن انهي تناول غدائي، بقي عليَّ أن آكل التفاح الكندي والجبن.
(يخرجان)

المشهد الثالث

(فندق غارتر)

(يدخل فولستاف، غارتر، باردولف، نيم، بيستولي وروبان)

فولستاف : اهلاً بك، يا ضيفي غارتر !
غارتر : ماذا تقول أيها الوغد ؟ تكلم بحكمة.
فولستاف : في الحقيقة، يجب أن اصرف بعض خدمي.
غارتر : اصرفهم، اطردهم، يا هرقل العظيم ! ليفرُّوا مسرعين !
فولستاف : إني أُنفق مئة وعشر ليرات في الأسبوع !

غارتر : انت امبراطور، مثل قيصر ! سأدخل باردولف في خدمتي. سيهتمّ بصنع الخمر. هل اتفقنا، أيها العظيم هكتور ؟
فولستاف : اتفقنا، يا ضيفي العزيز.
غارتر : قلت لك اتبعني ! (لباردولف) دعني أرى ما إذا كنت تحسن رغوَ النبيذ وتجعله يفور. اتبعني.

(يخرج غارتر)

فولستاف : اتبعه يا باردولف : حسن لك أن تصبح ساقياً. وداعاً، أيها الخادم القديم والساقي الجديد !
باردولف : لقد كنت دائماً أتوق إلى هذا النوع من العيش، سأصبح ثرياً.

(يخرج باردولف)

بيستولي : يا له من رجل حقير !
نيم : إن روحه لا تعرف البطولة ! لقد انجبه والداه، إذ كانا سكرانين !
فولستاف : إني مسرور لأني تخلصت منه. لقد اصبحت سرقاته مشهورة. كان يشبه في نشله مطرباً غير موهوب لا يتقيد بالايقاع. ولكني، أيها السادة، اصبحت اعيش في بؤس ! يجب أن ألجأ إلى الاحتيال ونصب المكائد.
بيستولي : يجب ان يكون للغربان ما تقتات به.
فولستاف : من منكم يعرف شخصاً في هذه المدينة يدعى غي ؟
بيستولي : لقد عرفته، إنه رجل ميسور.
فولستاف : سأتغزل بامرأته، إنها على استعداد لتقبل ذلك. إنها ثرثارة ولها نظرة جذّابة. إني عليم بأفكارها.
بيستولي : إنه يعلم أفكارها.
فولستاف : يقال إنها تمتلك ثروة زوجها... لقد كتبت إليها رسالة، كما كتبت أيضاً رسالة أخرى الى السيدة باج التي حدجتني منذ لحظة بعينيها الجذابتين اللتين كانتا تشعان تارة على بطني وتارة على قدمي.
بيستولي : هذا يعني أن الشمس كانت تشعّ على المزبلة !
نيم : شكراً لك على هذا التعبير !
فولستاف : لقد كانت تتحرّق شوقاً إليَّ ! لذلك كتبت إليها هذه الرسالة ـــ

هي أيضا ثرية ــ سأكون أمين الصندوق بالنسبة لكل منهما، وسيكونان مصدر ثروتي (لبيستولي ونيم).

(إحمل أنت هذه الرسالة إلى السيدة باج، وإحمل أنت أيضاً هذه الرسالة إلى السيدة غي. سنغتني، أيها الفتيان، سنغتني).

بيستولي : هل أصبح مثل السير بانداروس، أنا الذي يحمل السيف على جنبه ؟ ليأخذ بالأخرى الشيطان !

نيم : لن اشترك في نصب مكيدة خسيسة : استعد رسالتك هذه، إني أريد الحفاظ على سمعتي.

فولستاف : (لروبان) اسمع أيها الحقير، سلّم هاتين الرسالتين الى اصحابهما بسرعة... وأنتما أيها الوغدان، اخرجا من هنا ! أنتما مصروفان من خدمتي، هيا ابحثا لكما عن مأوى في مكان آخر. إن فولستاف يريد أن يقتصد في معيشته، سأكتفي بخادم واحد.

(يخرج مع روبان)

بيستولي : لتمزق النسور أحشاءك ؟ إن هناك دائماً أناس يحتالون على الأغنياء والفقراء. سيأتي يوم اصبح فيه غنياً، وتصبح فيه أنت فقيراً، أيها الحقير.

نيم : اريد الانتقام منه.

بيستولي : تريد الانتقام منه ؟

نيم : أجل.

بيستولي : بالسيف أم بالاحتيال ؟

نيم : بالاثنين معاً ــ سأكشف للسيدة باج المكيدة التي يدبرها لها.

بيستولي : وأنا بدوري، سأكشف للسيد غي، كيف أن هذا الحقير يخطط للاستيلاء على ثروته والنيل من شرفه وشرف امرأته.

نيم : سأحث باج على أن يدسّ له السمّ. إن رجلاً له مثل طبعه الفظ، لهو رجل خطير.

بيستولي : سأقف إلى جانبك ــ إلى الأمام !

(يخرجان)

المشهد الرابع

(في منزل الدكتور كايوس)

(تدخل السيدة كيكلي، سامبل وروغبي)

السيدة كيكلي : روغبي، أرجوك أن تمضي، إلى مفرق الطرق، لترى ما إذا كان سيدي، الدكتور كايوس قادماً أم لا ــ لأنه إذا وصل إلى المنزل ووجد أحداً فيه، فإنه سيستشيط غضباً.

روغبي : سأترقبه.

السيدة كيكلي : اذهب. (يخرج روغبي) انه فتى شريف، يتفانى في خدمة البيت، وسيئته الوحيدة، استرساله في الصلاة، وهو في هذا عنيد، ولكن لكل امرىء نقائصه ــ والآن، لندع هذا جانبا... قلت أن اسمك هو بيتر سامبل ؟

سامبل : أجل، لا يوجد اسم أفضل منه.

السيدة كيكلي : والسيد سلندر، هو سيدك ؟

سامبل : أجل.

السيدة كيكلي : أنه صاحب لحية كبيرة ومستديرة، أليس كذلك ؟

سامبل : كلا، انه صاحب وجه صغير وذقن صغيرة أيضاً، تماماً مثل ذقن قايين.

السيدة كيكلي : إنه صاحب طبع لطيف، أليس كذلك ؟

سامبل : أجل. ولكن له يداً رشيقة. لقد قاتل خفير الصيد.

السيدة كيكلي : ماذا تقول ؟ يجب أن تذكره ــ هل يمشي رافعاً رأسه ومتبختراً ؟

سامبل : أجل.

السيدة كيكلي : هيا، عسى ألّا ترسل السماء إلى آن باج نصيباً أسوأ ! قل

للقس إفانس بأني سأفعل كل ما أستطيع من أجل سيده... إن آن هي إبنة فاضلة، وإني أتمنى...

(يدخل روغبي)

روغبي : انجوا بأنفسكم ! لقد قدم سيدي.

السيدة كيكلي : سيعنفنا جميعاً ! أيها الفتى، اختبىء في هذه الحجرة (تخبىء سامبل في غرفة الطبيب) لن يبقى فيها طويلاً. روغبي، عُدْ، مرة أخرى، واستعلم عن سيدك ــ أخشى ألّا يكون على ما يرام، لن يدخل ! (السيدة كيكلي تدندن).

(يدخل الدكتور كايوس)

كايوس : ماذا تغنين ؟ إني أكره هذه التفاهات. اذهبي إلى حجرتي واحضري لي صندوقاً أخضر، هذا ما أريده. هل فهمت ماذا أريد ؟ صندوقاً أخضر.

السيدة كيكلي : أجل، سأحضره لك. (على حدة) اني مسرورة لأنه لم يمضِ لإحضاره بنفسه : لو وجد الشاب في الحجرة، لأشبعه ضرباً.

كايوس : أفٍ، أفٍ، أفٍ ! ان الطقس حار !.

السيدة كيكلي : (تعود من الحجرة) هل هو هذا، يا سيدي ؟

كايوس : أجل، أين هذا الحقير روغبي ؟

السيدة كيكلي : جون روغبي !

روغبي : إني حاضر، يا سيدي.

كايوس : هيّا تناول سيفك الطويل واتبعني إلى القصر.

روغبي : سمعاً وطاعة، يا سيدي.

كايوس : لا تتأخر، يا إلهي ! ماذا نسيت ؟ هناك أشياء بسيطة في غرفتي، لا أرغب في أن اتركها ورائي.

السيدة كيكلي : يا إلهي ! سيجد الفتى هناك ويثور غضبه !

كايوس : يا للشيطان ! من يقيم في غرفتي ؟ (يجر سامبل إلى خارج الغرفة) يا لك من خسيس ! يا لك من سارق !.. روغبي، أعطني سيفي الطويل !

السيدة كيكلي : اهدأ، يا سيدي.

كايوس : ولماذا اهدأ ؟

السيدة كيكلي : ان هذا الفتى هو رجل شريف.

كايوس : وماذا يفعل رجل شريف في غرفتي ؟ لو كان شريفاً، لما دخل الى غرفتي.

السيدة كيكلي : ارجوك لا تكن قاسياً، اسمع الحقيقة ــ لقد جاء، من قبل القس هوغ، لمقابلتي...

كايوس : (للسيدة كيكلي) اسكتي، انتِ (لسامبل) وانتَ، اكمل.

سامبل : توسل الى هذه السيدة الشريفة، خادمتك، كي تتوسط لدى السيدة آن باج، من أجل سيدي الذي يريد ان يتزوجها.

السيدة كيكلي : هذه هي الحقيقة، ولكنني لست مستعدة لأن أفعل ذلك من أجله.

كايوس : لقد ارسلك السير هوغ !... روغبي، ناولني ورقة (لسامبل) وانتَ، انتظر لحظة (يكتب).

السيدة كيكلي : (لسامبل بصوت منخفض) اني مسرورة لأنه يلزم الهدوء. لو غضب، لمسعت صراخه ! ومهما يكن من امره يا صاحبي، فإني سأفعل المستطاع من أجل سيدك. إن الدكتور الفرنسي، هو سيدي... استطيع ان أدعوه سيدي، لأني اتولى امور بيته، إني اغسل وانظف واكوي واحضر له الطعام.

سامبل : إن كل هذه الأعمال من شأنها أن ترهقك.

السيدة كيكلي : اتعتقد ذلك ؟ أجل، إنها مرهقة جداً، يضاف اليها النهوض باكراً، والنوم في ساعة متأخرة من الليل... مهما يكن من أمر (ما أقوله لك، لا أريد أنِ يعلم به أحد !). إن سيدي مغرم بالسيدة آن باج. ولكن هذا غير مهم ! إني أعرف مشاعر آن : إنها لا تهواه، كما انها لا تهوى سواه.

كايوس : (لسامبل) سلّم هذه الرسالة الى السير هوغ، انها تتضمن تحدياً له بالمبارزة ! إني أريد أن أقطع له عنقه في المنتزه كما إني سألقن هذا القسّ الشرير كيف يتدخل في جميع الأمور !... بإمكانك أن تذهب، إن بقاءك هنا، يلحق بك الضرر. لن يبقى من عظامه شيئاً تلهو به الكلاب !

(يخرج سامبل)

السيدة كيكلي : يا للأسف ! لا يسعه إلا أن يتكلم من أجل أحد أصحابه.

كايوس : هذا غير مهم ! ألم تقولي لي أن السيدة آن باج ستكون لي ؟ اريد أن أقتل هذا القس الحقير والوقح، وإني اخترت ضيفي غارتر ليقيس حسامينا... وأريد أن أحظى بالسيدة آن باج.

السيدة كيكلي : سيدي، إن الفتاة تحبك، وكل شيء سيسير على ما يرام... لندع الناس تثرثر.

كايوس : روغبي، تعالى معي إلى القصر... إذا لم أحظ بآن، فإني سأطردك. اتبع خطواتي، يا روغبي.

(يخرج، ويتبعه روغبي)

السيدة كيكلي : لن تحظى إلا بأذُنيّ حمار ! إني أعرف مشاعر آن، من هذه الناحية، إنه لا يوجد امرأة في وندسور، تعرف مشاعرها أكثر مني، كما انه لا توجد بفضل الله امرأة واحدة تستطيع أن تؤثر عليها.

فانتون : (من الخارج) يا هذا !

السيدة كيكلي : (تذهب إلى النافذة) من هناك ؟ اقترب من البيت، أرجوك.

(يدخل فانتون)

فانتون : كيف حالك، أيتها السيدة الطيبة ؟

السيدة كيكلي : إني على أحسن ما يرام.

فانتون : كيف حال السيدة آن ؟

السيدة كيكلي : إنها، يا سيدي، تبدو دائماً جميلة وشريفة وحلوة.

فانتون : هل تعتقدين إني سأحظى بها ؟ ألن تذهب جهودي سدى ؟

السيدة كيكلي : كل شيء بيد الله، يا سيدي، بيد أني أقسم لك بأنها تحبك. أليست لك ثؤلولة فوق العين ؟

فانتون : أجل. وبعد ؟

السيدة كيكلي : ان لهذه الثؤلولة قصة طويلة... لقد تحدثت سحابة ساعة عن هذه الثؤلولة. إني لا أضحك إلا عندما أكون بصحبتها ! إنها فتاة تميل إلى الكآبة والأحلام... حسناً، إذهب !

فانتون : حسناً، سألتقي بها اليوم. خذي هذا المال لك، تكلمي من أجلي، إذا شاهدتها قبلي، فأوصها خيراً بي.

السيدة كيكلي : هل تشك في ذلك ؟ أجل، سأعلمها من أجلك، وفي المرة القادمة سأتحدث إليك أيضاً عن الثؤلولة وعن سائر الظرفاء !

فانتون : حسناً، وداعاً ! إني مستعجل الآن.

السيدة كيكلي : وداعاً ! (يخرج فانتون) في الحقيقة أنه رجل رفيع التهذيب. ولكن آن لا تحبه، إني أعرف مشاعر آن تمام المعرفة... يا للشيطان ! ماذا نسيت ؟

(تخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(أمام منزل باج)

(تدخل السيدة باج حاملة رسالة بيدها)

السيدة باج : ماذا ! كنت بمنأى عن رسائل الغرام عندما كنت في ريعان شبابي وفي أوج جمالي، وإذا بي اليوم أصبح هدفاً للغزل والغرام لنرى ! (تقرأ) لا تسأليني لماذا أحبك، لأن الحب إذا كان يقبل بالعقل طبيباً فإنه يرفضه مرشداً. إنك لم تعودي شابة، وأنا كذلك، أنت مرحة، وأنا كذلك، أنت تحبين الخمر، وأنا كذلك، جميع هذه الأمور تخلق بيننا تعاطفاً قوياً. أكتفي بحبي لك، أيتها السيدة باج، (هذا إذا كان يكفيك حب جندي لك !) لن أقول لك : أشفقي عليّ. إن الجندي لا يفعل ذلك، ما أقوله لك هو أن تحبيني.

أقسم لك بذاتي،
أنا فارسك الحقيقي،
في الليل وفي النهار،
وفي كل الأوقات،

بأني مستعد للقتال من أجلك،
بكل ما أوتيت من قوة.

(جون فولستاف)

أي هيرودوس هذا ؟ يا لفساد الأخلاق ! كيف يجرؤ رجل مثله طاعن في السن على التغزل بي ! أية رعونة في سلوكي، سمحت لهذا السكير بأن يتعرض لي بهذه الطريقة ؟ ولكنه بالكاد يصحبني ثلاث مرات ! ماذا قلت له إذا ؟... لقد كنت رصينة في مرحي، سامحني الله ! آه ! سأتقدم بمشروع قانون الى البرلمان لردع الرجال البدينين. كيف سأنتقم منه ؟

(تدخل السيدة غي)

السيدة غي : أيتها السيدة باج ! أقسم لك بأني كنت ذاهبة إليك.
السيدة باج : وأنا أيضا كنت ذاهبة إليك. أنك لست على ما يرام.
السيدة غي : لا أعتقد ذلك، بإمكاني أن ابرهن لك العكس.
السيدة باج : في الحقيقة، إنك، حسب ظني، لست على ما يرام.
السيدة غي : فليكن ! ولكني مع ذلك أستطيع أن ابرهن لك العكس، أيتها السيدة باج، أرجوك أن تسدي لي نصيحة...
السيدة باج : ما الأمر يا عزيزتي ؟
السيدة غي : آه يا عزيزتي، أي شرف كنت سأنال، لولا ترهات الوسواس !
السيدة باج : لتذهب الترهات إلى الشيطان، يا عزيزتي ! أما أنت فنالي الشرف... لا تهتمي بالترهات. ولكن ما الأمر ؟
السيدة غي : إذا كنت أفضل الذهاب إلى الجحيم، فإني أصبح أهلاً للحصول على شرف الفروسية.
السيدة باج : ما هذا أيتها السيدة غي !... إن الشرف في مثل هذه الحالة يفقد قيمته. صدقيني. من الأفضل لك أن تحافظي على ما أنت عليه.
السيدة غي : إننا نضيع نور النهار خذي، إقرئي... سترين كيف كنت سأصبح أهلاً للحصول على شرف الفروسية (تسلّم رسالة إلى السيدة باج) سأظن سوءاً بكل رجل بدين، طالما لعيني القدرة على التمييز بين رجل وآخر. ومع ذلك فإن

هذا الرجل، لم يلجأ إلى الشتيمة، بل كان يمدح تواضع النساء، وينتقد كل اخلال باللياقة بتعابير حكيمة وبناءة، لدرجة إني كدت أجزم بأن مشاعره كانت مطابقة لأقواله، ولكن مشاعره كانت بعيدة كل البعد عن أقواله. كيف سأنتقم منه ؟ أعتقد أن أفضل وسيلة لبلوغ مأربي، هي أن ادغدغ آماله حتى تغنيه نار شهوته. هل سمعت بمثل هذا في حياتك ؟

السيدة باج : إن الرسالتين متماثلتان تماماً، باستثناء اسمي باج وغي. ولكني اطمئنك كفاية عن سر شهرتك السيئة، إليك الرسالة التوآم. أؤكد لك أن لديه آلاف الرسائل المماثلة لهاتين الرسالتين، ولكنها لا تحمل بعد أسماء من ستوجه إليهن. اتمنى لو كنت عملاقة مستلقية على منحدر جبل بيليون. في مثل هذه الحالة، كنت سأجد عشرين يمامة شهوانية، قبل أن اعثر على رجل واحد عفيف.

السيدة غي : (تقارن بين الرسالتين) انهما متماثلتان في الكتابة وفي التعابير. ماذا يفكر إذا بصددنا ؟

السيدة باج : بحق السماء لا أعلم شيئاً، أيتها السيدة. إن رسالته تحملني على أن أعامل نفسي كما لو كنت أجهل حقيقتها. لأنه بكل تأكيد لو لم يلحظ في سلوكي ميلاً أجهله، لما تعرض لي بهذه الطريقة العنيفة. علينا أن ننتقم منه، لنضرب له موعداً.

السيدة غي : سأحتال عليه بشتى الطرق، شرط أن يبقى شرفي مصوناً. لو وقعت هذه الرسالة بين يدي زوجي، لأثارت غيرته إلى الأبد !

السيدة باج : إن زوجك قادم، وزوجي أيضاً. ولكن زوجي أبعد من أن تأكله نار الغيرة.

السيدة غي : إنك من هذه الناحية، أسعد حظاً مني.

السيدة باج : تعالي نتواطأ ضد هذا الفارس البدين.

(تبتعدان)

(يدخل غي وهو يتحدث مع بيستولي، ثم باج وهو يتحدث مع نيم)

غي : تعال، أرجو أن لا يكون الأمر مهما.

بيستولي : ان الرجاء في بعض الأمور، أشبه ما يكون بكلب فقد ذنبه. ان السيرجون يريد أن يسيء إلى امرأتك.

غي : ان امرأتي لم تعد شابة، يا سيدي.

بيستولي : انه يغازل جميع النسوة، الشابات منهن والطاعنات في السن. إنه يحب امرأتك، انتبه، يا سيد غي.

غي : هو يحب امرأتي ؟

بيستولي : إنه يحبها بكل جوارحه. فتدارك الأمر قبل وقوعه، وإلا لحق بك العار ! وداعاً ! هيا بنا، يا نيم.

(يخرج بيستولي)

غي : سأصبر حتى تنجلي الأمور.

نيم : (لباج) اني أقول لك الحقيقة ــ ليست من عادتي الكذب لقد أساء إليّ بطريقة ما. كان بامكاني أن أبعث إليه برسالة كما فعل هو بالنسبة إلى امرأتك، ولكنني أملك سيفاً أجيد استعماله عند الضرورة ــ خلاصة القول : أنه يحب امرأتك. ان اسمي هو العريف نيم. وداعاً !

(يخرج)

باج : (على حدة) يا له من فتى متصنع !

غي : (على حدة) سأراقب فولستاف.

باج : (على حدة) إني لم أسمع بوغد مغرور ومهزار مثله.

غي : (على حدة) إذا اكتشفت شيئاً ما، فالويل له !

باج : (على حدة) لن أصدق هذا الصيني، لو جزم كاهن المدينة بأنه رجل شريف.

غي : (على حدة) انه فتى عاقل.

باج : (لأمرأته التي تتقدم نحوه) هذا أنت ؟

السيدة باج : إلى أين أنت ذاهب، يا جورج ؟ إسمع إذاً.

السيدة غي : (تتقدم نحو زوجها) حسناً ياعزيزي فرانك، لماذا أنت كئيب هكذا؟

غي : أنا، كئيب ! لا، لست كئيباً. عودي الى البيت.

السيدة غي : لا شك أن فكرة غريبة تخطر لك الآن... هل تأتين معي، أيتها السيدة باج ؟

السيدة باج : أجل... جورج، هل تأتي لتناول الغذاء ؟ (على حدة للسيدة غي) انظري من القادم : ستكون رسولتنا الى هذا الفارس السافل.

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة غي : أقسم لك بأني كنت أفكر فيها : ستنجز لنا عملنا.

السيدة باج : (للسيدة كيكلي) أنت قادمة لرؤية ابنتي آن، أليس كذلك ؟

السيدة كيكلي : أجل ــ أرجوك كيف حال السيدة آن ؟

السيدة باج : تعالي معنا، سترينها ــ سنتحدث معك، سحابة ساعة كاملة.

(تخرج السيدة غي والسيدة باج والسيدة كيكلي)

باج : حسناً، يا سيد غي.

غي : هل سمعت ما قاله لي هذا المحتال ؟

باج : أجل، وهل سمعت ما قاله لي المحتال الآخر ؟

غي : هل تعتقد أنهما صادقان ؟

باج : ليذهبا الى الشيطان ! لا أعتقد أن الفارس يستطيع ذلك. ولكن اللذين اتهماه بأنه ينوي الإساءة الى زوجتك وزوجتي قد سبق له أن طردهما من خدمته : انهما الآن يتسولان ولا يقومان بأي عمل !

غي : كانا في خدمته ؟

باج : أجل.

غي : ان هذا الأمر لا يزيد في طمأنتي... انه يقيم في فندق غارتر.

باج : أجل. إذا حاول أن يتعرض لامرأتي، فسأدعه يفعل، ثم إذا حصل على شيء غير الصدّ فإني سآخذ المسؤولية على عاتقي.

غي : إني لا أشك في امرأتي ــ ولكني لا أريد أن أعرضها لخطر الوقوع في شباكه.

باج : انظر ! ان غارتر قادم إلينا وهو يصيح : إنه لا يبدو فرحاً إلا إذا كان رأسه ممتلئا خمراً، أو إذا كانت محفظة نقوده ممتلئة مالاً... كيف حال ضيفنا ؟

(يدخل الضيف، ويتبعه شالو)

غارتر : (لباج) كيف حالك، أيها الوغد ؟ أنت رجل رفيع التهذيب !
(لشالو) هيا بنا، أيها القاضي !
شالو : اني اتبعك، أيها الضيف العزيز... أسعدت مساءً، أيها السيد باج ! هل تريد الذهاب معنا ؟
غارتر : قل له أيها القاضي، قل له أيها العفريت !
شالو : سيدي، ستحصل مبارزة بين السير هوغ والدكتور كايوس.
غي : عزيزي غارتر، أريد أن أقول لك كلمة !
غارتر : ماذا تقول، أيها العفريت ؟ (يقف السيد غي وغارتر على انفراد)
شالو : (لباج) هل تريد الذهاب معنا، لمشاهدة المبارزة ؟ لقد بلغني بأن القس لا يمزح في أمر كهذا.
غارتر : (لغي) هل لك من شكوى على ضيفي، الفارس ؟
غي : كلا. ولكني أعطيك حلواناً، إذا سمحت لي برؤيته وقلت له اني ادعى فونتين : افعل ذلك فقط بهدف المزاح !
غارتر : اني مستعد للقيام بذلك : ستدخل وتخرج عندما تشاء، وسيكون اسمك فونتين ــ انه فارس مرح ــ هل نذهب، أيها السادة ؟
شالو : اني تحت تصرفك، يا ضيفي العزيز.
باج : لقد بلغني بأن الفرنسي بارع في المسايفة.
شالو : كنت افوقه براعة في لعبة المسايفة، كنت بسيفي الطويل، ارغم اربعة من الفتيان الأشداء امثالك، على الفرار مثل الفئران، ان الشجاعة في هذا الميدان، هي كل شيء.
غارتر : من هنا، يا ابنائي ؟ من هنا ــ هل نمضي ؟
باج : اني رهن اشارتك... كنت افضل أن أسمعهما يتشاجران، على أن أراهما يتقاتلان.

(يخرج غارتر، شالو وباج)

غي : لقد كان باج متساهلاً وأحمق عندما وثق بضعف امرأته، لا أستطيع أن اطمئن نفسي بهذه السهولة. إنها الآن لدى السيدة باج، لا أعلم ماذا يفعلان

هناك. سأتحقق من الأمر وسأتنكر لمعرفة نوايا فولستاف وسواء وجدت امرأتي فاضلة أم لا، فلن يذهب جهدي سدى.

(يخرج)

المشهد الثاني

(فندق غارتر)

(يدخل فولستاف وبيستولي)

فولستاف : لن أعطيك بنساً واحداً.
بيستولي : في مثل هذه الحالة، سأكسب معيشتي بحدّ السيف.
فولستاف : لن أعطيك بنساً واحداً ـــ لقد عرضت نفسي للهلاك الأبدي، عندما أقسمت لاناس رفيعي التهذيب بأنك ونيم جنديان باسلان، وعندما فقدت السيدة بريجيت مروحة اليد التي تملكها، اقسمت بشرفي بأنك لم تسطُ عليها.
بيستولي : ألم تقسم الأرباح ؟ ألم يكن نصيبك خمسة عشر بنساً ؟
فولستاف : فكّر جيداً أيها المحتال. هل تعتقد أني أعرض نفسي للخطر مجاناً ؟ وخلاصة القول، لست مخلوقاً لأكون فريسة لك. أغرب عن وجهي ! لقد رفضت أن تحمل رسالة من أجلي، أيها الحقير ! لقد حاولت التستر بالشرف أيها السافل في حين أني أنا بالذات أكاد لا أستطيع المحافظة على اصول الشرف ! أجل، أنا بالذات اضطر أحياناً لأن الجأ إلى الاحتيال، وأنت، أيها السافل، تريد التستر بالشرف !
بيستولي : اني نادم ـــ ماذا تستطيع أن تطلب مني أكثر من ذلك ؟

(يدخل روبان)

روبان : سيدي، هناك امرأة تريد التحدث إليك.
فولستاف : دعها تقترب !

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة كيكلي : لست امرأة بعد، يا سيدي.
فولستاف : إذاً أيتها الفتاة.
السيدة كيكلي : إني كذلك، يا سيدي، تماماً كما كانت والدتي بعد ساعة من ولادتي.
فولستاف : إني اصدقك ــ ماذا تريدين مني ؟
السيدة كيكلي : هل لي أن أقول لك كلمة أو كلمتين ؟
فولستاف : إني استمع إليك، أيتها الآنسة، تكلمي ما طاب لك الكلام.
السيدة كيكلي : هناك امرأة تدعى السيد غي، يا سيدي...

اقترب قليلاً من هذه الناحية، أرجوك... إني اقيم في منزل السيد كايوس.
فولستاف : حسناً، اكملي ــ قلت، السيدة غي ؟
السيدة كيكلي : أجل ــ أرجوك أن تقترب قليلاً من هذه الناحية.
فولستاف : أؤكد لك بأن أحداً لا يستمع إلينا... هؤلاء هم رجالي.
السيدة كيكلي : حقاً ؟ ليباركهم الله ويجعل منهم خداماً له !
فولستاف : حسناً ــ السيدة غي ! ماذا تريدين أن تقولي بخصوصها ؟
السيدة كيكلي : إنها مخلوقة رائعة يا سيدي ــ يا إلهي ! يا إلهي ! يا لك من رجل فاتن يتقن الاغوآء، يا سيدي، ولكن سامحنا الله جميعاً.
فولستاف : السبدة غي ؟
السيدة كيكلي : باختصار، لقد اربكتها، كما لم يستطع شخص من قبل أن يفعل ذلك، عندما كان البلاط لا يزال في وندسور ــ ومع ذلك، فقد كان يفد إليها الفرسان واللوردات والنبلاء بعرباتهم الفخمة، ويبعثون إليها بالرسائل والهدايا، كانوا يفدون إليها بثياب من الحرير والذهب، ورائحة المسك تفوح منهم، ويتوددون إليها بعبارات جميلة تحمل أية امرأة مهما علا شأنها على الاذعان لهم. ومع ذلك، لم يستطيعوا أن يفوزوا بحبها...
فولستاف : ولكن ماذا تريد مني ؟ اختصري، أيتها الآنسة...
السيدة كيكلي : حسناً لقد تسلمت رسالتك، وهي تشكرك كثيراً عليها، وهي تريد أن تخطرك بأن زوجها يكون خارج المنزل بين الساعة العاشرة والحادية عشرة.

فولستاف : بين العاشرة والحادية عشرة ؟

السيدة كيكلي : أجل في مثل هذا الوقت، يكون زوجها خارج المنزل، لذلك بامكانك أن تأتي للالتقاء بها ـــ انها تحيا معه حياة تعيسة، ان غيرته قتالة، ان حياتها معه ملأى بالشدائد.

فولستاف : بين العاشرة والحادية عشرة ! بلغيها تحياتي، أيتها الآنسة ـــ لن أتأخر عن الموعد.

السيد كيكلي : أحسنت ـــ ولكن لديّ رسالة اخرى، أحملها إليك ـــ أن السيدة باج تبلغك تحياتها. ودعني أسرُّ إليك بأنها امرأة تقيّة مثل جميع نساء وندسور، لا تخلف أبداً عن تأدية الصلاة، صباحاً ومساءً. ولقد كلفتني بأن أقول لك أن زوجها لا يتغيب عن المنزل إلا نادراً، ولكن ترجو غيابه ذات يوم. لم أرَ مثلها امرأة تهيم برجل ـــ لا شك أنك رجل فاتن.

فولستاف : ولكن قولي لي، هل شاركت كل من زوجة غي وزوجة باج بحبها لي ؟

السيدة كيكلي : انهما افطن من أن تفعلا ذلك. ان السيدة باج تستحلفك أن ترسل إليها خادمك الصغير : ان زوجها يحبه كثيراً، وفي الحقيقة، ان السيد باج رجل شريف ـــ لا توجد في وندسور، زوجة أسعد من زوجته. انها تفعل كل ما يحلو لها، وهي، في الحقيقة، تستحق ذلك ـــ يجب أن ترسل إليها خادمك الصغير.

فولستاف : حسناً، سأفعل ذلك.

السيدة كيكلي : أجل، افعل ذلك إذاً، واحرص على أن يكون وسيطاً بينكما، ولكن لا تدعه يعلم بنواياكما، ودفعا لكل طارىء ليكن بينكما كلمة سرّ لايصال نواياكما المتبادلة لأنه ليس من المستحبّ أن يعرف الصغار الخبث.

فولستاف : وداعاً ! بلّغي تحيّاتي إلى الاثنين معاً. خذي هذا المال مكافأة لك ! اني لا أزال مديناً لك. أيها الخادم، إذهب مع هذه السيدة... ان هذا النبأ قد سلبني عقلي.

(تخرج السيدة كيكلي وروبان)

ما يجعل امرأته فاتنة بالنسبة لي. سأمتلكها كما يمتلك زوجها المخدوع مفتاح خزنته، وعندئذٍ سيبدأ الحصاد بالنسبة لي.

غي : كنت اتمنى لو تعرف السيد غي، فتتجنبه إذا التقيت به.

فولستاف : ليذهب إلى الشيطان هذا السافل ! سأرعبه بعصاي، ستحلق كالنيزك فوق قرني هذا الزوج المخدوع ــ اعلم، أيها السيد فونتين، إني سأنتصر عليه وانك ستنام مع امرأته... تعال إليّ، باكراً هذا المساء. ان غي هو مجرّد وغد وزوج مخدوع.

(يخرج)

غي : أيّ شخص سيء السيرة، هو هذا الرجل !... ان قلبي يكاد ينفجر لنفاذ صبري !... من يستطيع أن يقول لي بعد الآن، ان غيرتي ليست في محلها ! لقد بعثت امرأتي إليه برسالة، وحددت له المكان والزمان. من كان يصدق ذلك !... يا لها من امرأة خائنة ! سيدنس سريري ويسلب مالي، وتشوّه سمعتي ! وعلاوة على كل هذا، سأنعت بأشنع النعوت ! ان الشيطان نفسه، لا يدعى بأسماء كهذه. ان باج هو حمار لأنه يثق بامرأته ولا تتملكه الغيرة. إني افضل ان اعهد بقنينة الخمر التي املك الى رجل إرلندي على ان اترك امرأتي تتصرف بمفردها. انها تتآمر عليَّ. لم أرَ عناداً يشبه عناد النساء. تبارك الله بسبب غيرتي ! الحادية عشرة هي موعد لقائهما ! سأحتاط للأمر، سأباغت امرأتي وانتقم من فولستاف واسخر من باج ــ إلى العمل ! تباً لك، أيها الزوج المخدوع !

(يخرج)

المشهد الثالث

(في منتزه وندسور)

(يدخل كايوس وروغبي)

كايوس : روغبي !
روغبي : سيدي!
كايوس : كم الساعة الآن ؟
روغبي : لقد انقضى الوقت الذي حدده السير هوغ لمجيئه.
كايوس : لقد نجا بنفسه بتخلفه عن المجيء ــ يبدو أنه صلى في الكتاب المقدّس، لأنه لم يأتِ، لو أنه حضر، لكان الآن في عداد الأموات.
روغبي : انه حذر، يا سيدي : كان يعلم بأنك ستقتله، لو أتى.
كايوس : خذ سيفك، يا روغبي، سأريك كيف كنت سأقتله.
روغبي : توقف، ها إن رهفاً من الناس قادم إلينا.

(يدخل غارتر، شالو، سلندر وباج)

غارتر : ليباركك الله، أيها الدكتور كايوس !
باج : مرحباً، أيها الدكتور !
سلندر : أتمنى لك يوماً سعيداً، يا سيدي.
كايوس : ماذا جئتم تفعلون هنا كلكم ؟
غارتر : جئنا لنرى كيف تقاتل، وكيف تمتشق حسامك. ألم تجهز على خصمك بعد ؟
كايوس : انه أجبن كاهن عرفته : لا يجرؤ على الظهور أمامي !
غارتر : انك مثل هكتور، أيها الفتى !
كايوس : أرجوكم أن تشهدوا على اني انتظرته سبع ساعات، ولم يحضر البتة.

شالو : لقد برهن بذلك على أنه حكيم، يا سيدي ــ انه طبيب النفوس، كما انك طبيب الأجساد.
باج : أيها السيد شالو، لقد كنت مقاتلاً باسلاً، رغم أنك رجل سلام.
شالو : رغم اني اصبحت طاعناً في السن، ورغم كوني رجلاً مسالماً، فإني لا أستطيع رؤية سيف امتشقه صاحبه من غمده، دون ان تحكّني أصابعي، رغم كوننا قضاة ورجال كنيسة فإننا ما زلنا نتمتع ببقية من شبابنا، إننا اناس مثل سائر الناس، يا سيد باج.
باج : هذا صحيح، يا سيد شالو.
شالو : وسنبقى كذلك، يا سيد باج... دكتور كايوس، جئت لآخذك معي. اني قاضي صلح محلف، لقد أظهرت إنك طبيب حكيم، كما اظهر السير هوغ انه كاهن حكيم وصبور. يجب أن تأتي معي، أيها الدكتور.
كايوس : سأنتقم من هذا الكاهن البائس، سأقطع له اذنيه.
غارتر : وهو بدوره سيغني لك، ليعوض الإساءة التي تكون قد الحقتها به. وأنا سأحثه على ذلك، وإذا لم يفعل، فليذهب الى الشيطان !
كايوس : أتمنى أن يفعل ذلك، شكراً لك.
غارتر : على كل حال، يا سيدي... (للآخرين، بصوت منخفض) ولكن عليكم أنتم أولاً أن تمضوا إلى فروغمور عبر المدينة.
باج : (بصوت منخفض لغارتر) السير هوغ هو هناك، أليس كذلك ؟
غارتر : (بصوت منخفض لباج) انه هناك ــ سترى كم هو مضطرب المزاج، اما انا فسأصحب الدكتور عبر الحقول.
شالو : (بصوت منخفض لغارتر) سنفعل ذلك.

باج، شالو وسلندر ــ وداعاً أيها الدكتور العزيز !

(يخرج باج، شالو وسلندر)

كايوس : سأقتل الكاهن، لأنه يريد أن يكلّم السيدة آن باج من اجل صعلوك قبيح.
غارتر : ليمت إذاً ! هدىء روعك ! تعالَ معي عبر الحقول، حتى فروغمور،

سأقودك إلى حيث السيدة آن باج، انها الآن في إحدى المزارع تحتفل بالعيد، سنلتقي بها ونغازلها.

كايوس : شكراً لك — إني احبك ! سأجلب لك العديد من الزبائن.

غارتر : مقابل ذلك، سأتظاهر بأني خصمك لدى السيدة آن باج.

كايوس : أحسنت !

غارتر : لنذهب اذاً.

كايوس : اتبعني، يا روغبي.

(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(حقل بالقرب من فروغمور)

(يدخل السير هوغ إفانس وسامبل)

إفانس : ارجوك، ايها الخادم الأمين سامبل، أين بحثت عن الدكتور كايوس ؟
سامبل : لقد بحثت عنه في كل مكان، باستثناء المدينة.
إفانس : أرجوك أن تبحث عنه هناك.
سامبل : حسناً، يا سيدي.
إفانس : ليعاقبني الله ! لماذا انا غاضب ومضطرب الفكر هكذا ؟ لماذا أنا كئيب ؟ سأنتقم منه إذا سنحت لي الفرصة. ليعاقبني الله !

(يغني)

بالقرب من الينابيع غير العميقة وذات الشلالات التي توحي بالموسيقى الى العصافير الشجية، سنصنع اسرتنا الوردية، وألف اكليل من الزهر العطر. بالقرب من الينابيع...

رحماك يا رب ! اني أشعر برغبة قوية إلى البكاء !
... اوحي بالموسيقى إلى العصافير الشجية...
عندما كنت في بابل...

وألف اكليل من الزهر العطر...
قرب الينابيع...

سامبل : انظر انه قادم إلينا !

إفانس : على الرحب والسعة.

قرب الينابيع غير العميقة ذات الشلالات...
أي نوع من السلاح يحمل ؟

سامبل : لا يحمل أي سلاح، يا سيدي. لقد أتى السيد شالو ومعه رجل آخر رفيع التهذيب، انهما قادمان من هذه الناحية.

إفانس : اعطني ردائي، أو بالأحرى إحتفظ به.

(يدخل باج وشالو وسلندر)

شالو : هذا أنت يا سيدي القس ! عم صباحاً، أيها السير هوغ ! انه لأمر رائع أن يكون اللاعب بعيداً عن زهر النرد، والعالم عن كتبه.

سلندر : (متنهداً) آه ! أيتها اللذيذة آن باج !

باج : حفظك الله، أيها السير هوغ !

إفانس : عاقبكم الله جميعاً !

شالو : ماذا ! السيف والكلمة ! انت إذاً تحوذ على الاثنين معاً، أيها الراعي المعلم ؟

باج : كيف ترتدي مثل هذه الثياب في يومٍ باردٍ كهذا ؟

إفانس : هناك أسباب لكل هذا.

باج : لقد أتينا إليك، من أجل عمل صالح، أيها الراعي المعلم.

إفانس : عظيم، ما الأمر ؟

باج : هناك شخص رفيع التهذيب، قد أساء إليه أحدهم، انه الآن في حالة من الغضب أفقدته الصبر والاتزان.

شالو : لقد تجاوزت الرابعة والثمانين من العمر، ولكني لم أرَ شخصاً يتمتع بعلمه ووقاره، يفقد احترام نفسه مثله.

إفانس : من هو ؟

باج : اعتقد انك تعرفه : الدكتور كايوس، الطبيب الفرنسي المشهور.
إفانس : لا أريد أن تحدثني عنه.
باج : لماذا ؟
إفانس : لأنه وغد جبان.
باج : (لشالو) إنه هو الذي كان سيتقاتل مع الطبيب.
سلندر : (متنهداً) آه : أيتها اللذيذة آن باج !
شالو : (لباج) إن السلاح الذي يحمله دليل على أنه سيقاتله... ان الدكتور كايوس قادم نحونا.

(يدخل غارتر، كايوس وروغبي)

باج : أيها المرشد الطبيب، أغمد سيفك.
شالو : افعل انت كذلك، ايها الطبيب البارع.
غارتر : لنجرّدهما من السلاح، وندعهما يتحدثان : ليحتفظا باعضائهما سليمة ويغرما لغتنا الانكليزية !
كايوس : (لإفانس) أرجوك، دعني أسر لك بكلمة (بصوت منخفض) لماذا لا تريد الالتقاء بي ؟
إفانس : (لكايوس) عفوا تجلد بالصبر، لا بدَّ وأن نلتقي.
كايوس : (بصوت منخفض لإفانس) انك رجل سافل !
إفانس : (بصوت منخفض) ارجوك لا تدع الجمهور يهزأ منا ! إني استنجد بصداقتك، وسأعوض عليك بطريقة أو بأخرى (بصوت عال) سأحطم لك رأسك لألقنك درساً في الاخلال بمواعيدك !
كايوس : يا للشيطان ! روغبي، غارتر، ألم انتظره في المكان المعين ؟
إفانس : هذا هو المكان المعين، وإني أشهّد غارتر على ذلك.
غارتر : مهلاً، فأنت طبيب الجسد، وهو طبيب الروح.
كايوس : هذا كلام رائع !
غارتر : قلت ألزما الهدوء ! هل أنا سياسي ؟ هل أنا داهية ؟ هل أنا ميكيافتلي ؟ هل أتمنى خسارة الدكتور العزيز ؟ كلا : انه يصف لي الدواء. هل أتمنى فقدان القس العزيز ؟ الكاهن الغالي، السير هوغ ؟ كلا : انه

يرشدني... أعطني يدك أيها العالم الدنيوي... أعطني يدك أيها العالم السماوي. يا أبناء العلم، لقد خدعتكما وضربت لكما موعدين مختلفين. انكما رفيعا الشأن، وان جسديكما لم يمسا بأذى. لننه هذه القضية بتناول الخمر ! اتبعني، يا قاضي الصلح، اتبعني !

شالو : تعالوا، تعالوا، أيها السادة.

سلندر : (متنهداً) آه ! أيتها الحلوة باج !

(يخرج شالو، سلندر، باج وغارتر)

كايوس : لقد فهمت الآن ! لقد جعلنا مجرّد احمقين ! آه ! آه !

إفانس : حسناً ! لقد جعلنا العوبة بين يديه. ارجو ان نصبح اصدقاء ونتعاون للانتقام من هذا الضيف الوغد غارتر.

كايوس : أتمنى ذلك من كل قلبي، لقد وعدني بأن يجمعني بالسيدة آن باج، لكنه سخر مني أنا أيضاً !

إفانس : حسناً، اني سأحطم رأسه... اتبعني، ارجوك.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(بالقرب من منزل غي)

(تدخل السيدة باج وروبان)

السيدة باج : هيا، سر أمامي، ايها الفتى ــ ان من عادتك ان تتبع الآخرين، أما الآن فتقودهم. ماذا تفضل، ان تقود خطاي، او تسير خلف سيدك ؟

روبان : افضل ان اسير امامك كرجل، على ان اتبعه مثل القزم.

السيدة باج : يا لك من متملق صغير !

(يدخل غي)

غي : اني سعيد للقائك، ايتها السيدة باج ! إلى أين أنت ذاهبة ؟
السيدة باج : اني ذاهبة لرؤية امرأتك، يا سيدي. هل هي في المنزل ؟
غي : اجل، وهي عاطلة عن العمل، لعدم وجود من يصحبها ــ اعتقد انه إذا توفي زوجاكما فإنكما ستتزوجان انتما الاثنتان.
السيدة باج : تأكد، اننا، في مثل هذه الحالة، سنتخذ لنا، زوجين آخرين.
غي : (مشيراً الى الخادم) اين التقيت بهذا الفتى الظريف ؟
السيدة باج : لا أعرف اسم الشخص الذي أهداه إلى زوجي... ما اسم فارسك، يا صاحبي ؟
روبان : السير جون فولستاف.
غي : السير جون فولستاف.
السيدة باج : انه هو، انه هو ! يصعب عليَّ أن اتذكر اسمه ــ ان صداقة قوية تجمع بينه وبين زوجي !... هل حقاً زوجتك موجودة في المنزل ؟
غي : اجل انها في المنزل.
السيدة باج : (وهي تحيي) استأذنك، يا سيدي ! اني مريضة بحيث اني لا استطيع مشاهدتها.

(تخرج السيدة باج وروبان)

غي : لا شك بأن السيد باج، لم يعد يتمتع بكامل قواه العقلية. ان هذا الفتى سريع في نقل رسائل سيده. ان السيد باج يذعن لرغبات زوجته، وها هي الآن ذاهبة لمشاهدة زوجتي برفقة خادم فولستاف ! يا لها من مؤامرة محكمة التدبير ! ان زوجتي وزوجته المتمردتين ستهلكان. حسناً ! سأفاجئهما، سأعذّب زوجتي، وسأفضح العفة المزيفة التي تتقنع بها السيدة باج، وسأبلّغ عن السيد باج، انه تغافل عمداً في سوء سلوك امرأته، وسيصفّق لي جميع جيراني، لقيامي بمثل هذه الأعمال (تدقّ الساعة). ان الساعة تدعوني إلى العمل. سأجد فولستاف هناك، لن يسخر أحد من عملي هذا بل سيمدحني الجميع عليه. اني متأكد من ان فولستاف هناك، إني ذاهب إليه.

(يدخل باج، شالو، سلندر، غارتر، السير هوغ، كايوس ، وروغبي)

الجميع : اننا سعداء للقائك، ايها السيد غي !

غي : اني سعيد بصحبتكم ! ان لديَّ طعاماً فاخراً في المنزل، تعالوا معي جميعكم.
شالو : يجب ان اعتذر، ايها السيد غي.
سلندر : وأنا كذلك ! لقد وعدنا السيدة آن بأن نتناول طعام الغداء معها، لا نستطيع أن نخلف بوعدنا.
شالو : لقد عرضنا عليها الزواج من ابن أخي سلندر، واليوم سنتلقّى جوابها.
سلندر : أرجو أن توافق، يا سيد باج.
باج : إني موافق، يا سيد سلندر. إني تحت تصرفك. (لكايوس) ولكن زوجتي، يا دكتور، هي تحت تصرف الجميع.
كايوس : أجل، ان الآنسة تحبني، لقد أكدت لي ذلك، ممرضتي كيكلي.
غارتر : ما رأيك في الشاب فانتون ؟ انه في ريعان شبابه، وينظم الشعر — سيحظى بها، ان الزهور تعلق له ذلك، سيحظى بها !
باج : لن يحظى بها بموافقتي. ان هذا الفتى لا يملك شيئاً. لن أسمح بأن يعقد قرانه على ابنتي للاستيلاء على ثروتي. إذا أراد أن يتزوجها، فليأخذها كما هي !
غي : إني مصرٌّ على أن يأتي بعضكم لتناول الغداء في منزلي : بالإضافة إلى الطعام الفاخر، سأريكم شخصاً مخيفاً. يجب أن تأتي، يا دكتور، وأنت كذلك، يا سيد باج، وأنت أيضاً، يا سير هوغ !
شالو : حسناً، وداعاً، لن تقول أقل راحة لدى السيد باج.

(يخرج شالو وسلندر)

كايوس : روغبي، عد إلى البيت — سأعود عما قريب.

(يخرج روغبي)

غارتر : وداعاً، يا أحبائي. سألحق بالفارس فولستاف وأشرب الخمر معه.
غي : (على حدة) كنت أود ان اجعله يشرب بانبوب قش، فيرقص (بصوت عال) ألا تريدون الذهاب معي، أيها السادة ؟
الجميع : نحن تحت تصرفك — هيا بنا لنرى هذا الشخص المخيف.

(يخرجون)

السيدة باج : أنت فتى كتوم ــ وكتمانك هذا يحملني على أن اخيط لك ثياباً جديدة ــ سأختبىء.
السيدة غي : قل لسيدك إني هنا وحدي(يخرج روبان) سيدة باج، تذكري دورك.
السيدة باج : إذا لم أقم بدوري كما ينبغي، فصفّري لي.

(تخرج السيدة باج)

السيدة غي : هيا بنا، سنلقّن هذا الوغد درساً، لن ينساه !

(يدخل فولستاف)

فولستاف : هل حظيت بك إذاً، أيتها الجوهرة السماوية ؟

آه ليتني أموت في هذه اللحظة ! لقد عمرت طويلاً، وحققت كل ما اصبو إليه.
السيدة غي : ما اروعك، يا سيرجون !
فولستاف : ايتها السيدة غي، إني لا أحسن المداهنة والثرثرة ــ كنت أتمنى لو أن زوجك توفي. في مثل هذه الحالة سأتزوجك يا أغلى حبيبة !
السيدة غي : لن تسعد بزواجك مني.
فولستاف : لماذا ؟ انك اجمل امرأة عرفتها.
السيدة غي : كلا. انّ ما تصفني به، لا ينطبق عليَّ.
فولستاف : انك تخونين نفسك، عندما تتكلمين هكذا. انك تتمتعين بجمال فائق ــ فرغم ان الحظ لم يحالفك، فإن الطبيعة اغدقت عليك مفاتنها. انك لا تستطيعين انكار ذلك.
السيدة غي : صدقني إني لا اتمتع بشيء مما وصفتني به.
فولستاف : ما الذي يحملني على حبك ؟ ان جمالك الخارق هو السبب، وهذا كافٍ لإقناعك بأنك امرأة فاتنة ــ إني لا أحسن المداهنة إني احبك، وانت تستحقين ذلك.
السيدة غي : لا تخونني، يا سيدي، إني خائفة، انت تحب السيدة باج.
فولستاف : إني اكره منظرها القبيح، فكيف احبها ؟
السيدة غي : يعلم الله كم احبك، وسيأتيك البرهان يوماً ما.

فولستاف : حافظي على حبك لي، سأكون اهلاً له.
السيدة غي : انت اهل له، وإلا لما احببتك.
روبان : (من الداخل) سيدة غي ! سيدة غي ! ان السيدة باج في الباب، وهي مرتعبة، انها تريد التحدث إليك فوراً.
فولستاف : لن تراني، سأكمن لها وراء الستار.
السيدة غي : افعل ذلك، ارجوك، انها امرأة ثرثارة.

(يختبىء فولستاف)

(تدخل السيدة باج وروبان)

حسناً ؟ ما الأمر ؟
السيدة باج : آه ! ايتها السيدة غي، ماذا فعلت ؟ لقد ألحقت العار بشرفك، لقد دمرت حياتك، لقد هلكت إلى الأبد.
السيدة غي : ما الأمر، يا سيدة باج ؟
السيدة باج : لماذا حملت زوجك الطيب على الارتياب بك ؟
السيدة غي : اي ارتياب هذا ؟
السيدة باج : تباً لك ! كم خدعتني !
السيدة غي : ولكن ما الأمر ؟
السيدة باج : ان زوجك قادم الآن إلى هنا، ومعه جميع قضاة وندسور، للبحث عن رجل رفيع التهذيب، قال انه موجود الآن في المنزل. بموافقتك، وانه استغل غياب زوجك للمجيء إلى هنا. لقد هلكت إلى الأبد !
السيدة غي : ارجو الا يتم شيء من هذا.
السيدة باج : ارجو ان لا يكون الرجل موجوداً هنا، لأن زوجك قادم، ومعه نصف سكان وندسور، بحثاً عنه. لقد جئت اليك لأعلمك بالأمر مسبقاً. يسرني ان تكوني بريئة، ولكن اذا كنت تخفين صديقاً ما هنا، فدعيه يهرب. لا تدعي الذهول يستولي عليك، استعيدي وعيك، ودافعي عن سمعتك، والا فقولي وداعاً لحياتك الصالحة.
السيدة غي : ما العمل ؟ هناك بالفعل صديق لي يختبىء في المنزل، اني اكثر

من العار الذي سيلحق بي، اخشى ان يتعرض هو للخطر. ولكني اريد ان يخرج من بيتي، مهما كلفني الأمر.

السيدة باج : عليك أن تبعديه عن البيت، ان زوجك على وشك الوصول إلى هنا. آه ! كم خدعتني ! خذي هذه السلة. إذا كانت قامته معقولة، فبإمكانه أن يختبىء في داخلها، ومن ثم تضعين فوقه بياضات قذرة وتأمرين الخدم بأن يحملوه الى حيث يتم الغسيل.

السيدة غي : انه اضخم من أن تحتويه السلّة. ما العمل ؟

(يدخل فولستاف)

فولستاف : دعيني أرى السلة ! دعيني أراها ! سأختبىء في داخلها. اتبعي نصيحة صديقتك.

السيدة باج : (بصوت منخفض) ماذا ! السيرجون فولستاف ! هل رأيت كيف جنت عليك رسائلك، أيها الفارس ؟

فولستاف : (بصوت منخفض للسيدة باج) إني أحبك وحدك، خلصيني.

(يختبىء في داخل السلة، وتوضع فوقه البياضات القذرة)

السيدة باج : ساعد سيدك على الاختباء، أيها الخادم... نادي خادميك، أيتها السيدة غي... يا لك من فارس مراءٍ.

السيدة غي : جون ! روبير !

(يخرج روبان)

(يدخل الخادمان)

خذ هذا الغسيل، بسرعة ! أين العصا الطويلة ؟ لله كم تتسكعان !

(يدخل غي، باج، كايوس والسير هوغ)

غي : تقدموا، أرجوكم. إذا كان شكي في غير محله، فاسخروا مني، إني استحق ذلك... حسناً ! إلى أين تحملان هذا ؟

الخادمان : إلى الغسالة، يا سيدي.

السيدة غي : وما حاجتك لمعرفة ذلك ؟ لم يبقَ عليك إلا أن تهتم بالغسيل أيضاً !

غي : بالغسيل، بالغسيل ! آه ! لو كنت استطيع أن أغسل شرفي ! انه ملطخ ببقعة مخيفة، سترون ذلك.

(يخرج الخادمان، وهما يحملان السلة)

أيها السادة، لقد حلمت هذه الليلة حلماً سأرويه لكم. خذوا مفاتيحي، فتشوا جميع غرف بيتي، لا شك انكم ستجدون الثعلب... دعوني أولاً اقفل هذا المخرج، والآن فتشوا عنه !

باج : عزيزي غي، عليك أن تكظم غيظك : انك تسيء كثيراً إلى نفسك.

غي : هذا صحيح، يا سيد باج... لنصعد أيها السادة، ستضحكون بعد قليل.

(يخرج)

إفانس : ان مزاجه وغيرته غريبان جداً.

كايوس : ان مثل هذا لا يحدث في فرنسا.

باج : لنتبعه، أيها السادة ونرى حصيلة تحرياته.

(يخرج إفانس، باج وكايوس)

السيدة باج : أليست المغامرة ضعفاً رائعة !؟

السيدة غي : لا أعلم أيهما أحب إليَّ : خيبة أمل زوجي، أم خيبة أمل فولستاف !

السيدة باج : أية مخاوف كان يشعر بها، عندما تساءل زوجك عما في السلّة؟

السيدة غي : أخشى أن يكون بحاجة إلى الاستجمام، في مثل هذه الحالة، نكون قد أدينا له خدمة كبيرة.

السيدة باج : ليت الطاعون يصيب هذا المحتال ! أتمنى أن تحل بامثاله المصيبة التي حلّت به.

السيدة غي : أعتقد أن زوجي كان يشك خصيصاً بوجود فولستاف هنا، لأني لم أره قط أكثر شراسة في غيرته مثله اليوم.

السيدة باج : سأتعرف إلى حقيقة الأمر، وسنلعب أدواراً أخرى ضد فولستاف.

السيدة غي : حبذا لو نرسل إليه السيدة كيكلي لتعتذر منه عما حصل، وتعطيه أملاً جديداً، من شأنه أن يجلب له تأديباً آخر ؟

السيدة باج : أجل، لنطلب إليه أن يحضر غداً، في الساعة الثامنة، تعويضاً له عما لحق به.

(يدخل غي، باج، كايوس والسير هوغ)

غي : لن أجده ــ لقد تبجح الوغد بما لم يستطع الحصول عليه.
السيدة باج : هل سمعت ذلك ؟
السيدة غي : أجل، أجل. اسكتي ! أنت تعاملني معاملة حسنة، يا سيد غي، أليس كذلك ؟
غي : أجل. حقاً.
السيدة غي : أتمنى ان تكافئك السماء بما يفوق افكارك !
غي : آمين !
السيدة باج : انك تسيء كثيراً إلى نفسك، يا سيد غي.
غي : أجل، أجل، يجب أن أتحمل عبء ذلك.
إفانس : إذا كان لا يوجد شخص في البيت، فلتغفر لي السماء خطاياي يوم الدينونة !
كايوس : وأنا كذلك أجزم بأنه لا يوجد أحد في البيت.
باج : تباً لك، يا سيد غي ! ألا تخجل من نفسك ؟ أي شيطان أوحى إليك بهذه الأفكار ؟ لا أريد أن يصيبني مرض مماثل، ولو أعطيت كل ثروات قصر وندسور.
غي : إنها مصيبتي، يا سيد باج، وأنا أتألم منها.
إفانس : ان سوء ظنك هو الذي يؤلمك : ان زوجتك هي امرأة شريفة، رغم ان النساء الشريفات قلَّ عددهن، في هذه الأيام.
كايوس : حقاً انها امرأة شريفة.
غي : حسناً !... لقد وعدتكم بتناول طعام الغداء. هيا بنا نمشي قليلاً في الحديقة. أرجوكم أن تعذروني : سأشرح لكم فيما بعد، لماذا تصرفت على هذا النحو ــ أعذريني يا سيدة باج، وأنت، يا زوجتي.
باج : أيها السادة، لا ينبغي أن نسخر منه ــ إني أدعوكم إلى تناول الفطور في

منزلي، غداً صباحاً، ومن ثم نذهب إلى الصيد، إني أملك صقراً رائعاً لهذه الغاية، هل اتفقنا ؟

غي : كما تريد.

إفانس : سأصحبك إلى الصيد، إذا كان لديك صقر آخر.

كايوس : وأنا كذلك.

إفانس : (لكايوس) أرجوك أن تتذكر غداً، هذا السافل غارتر !

كايوس : أجل ــ سأفعل ذلك من كل قلبي.

إفانس : يا له من سافل ! كيف يسمح لنفسه بالتهكم علينا بهذا الأسلوب.

(يخرج الجميع)

المشهد الرابع

(في منزل السيد باج)

(يدخل فانتون والسيدة آن باج)

فانتون : أرى إني لن أحظى بتعاطف والدك، لذلك لن أعلمه بالموضوع بعد الآن.

آن : يا للأسف ! ما العمل إذاً ؟

فانتون : يزعم إني من أصل عريق، وإني بذرت ميراثي، واحاول الآن الاستيلاء على ثروته، كما أنه يأخذ عليّ سلوكي السيء ويجزم بأني أحبك طمعاً بميراثك.

آن : قد يكون محقاً في زعمه !

فانتون : كلا ــ اعترف لك بأني غازلتك بادىء الأمر طمعاً بثروة أبيك، ولكني ما لبثت أن وجدتك أغلى من جميع الكنوز التي تحتويها.

آن : عزيزي فانتون، لا تكف عن التماس عطف والدي، وإذا لم يجدِ ذلك نفعاً، فإليك ماذا نفعل.

(يتكلمان على حدة)

(يدخل شالو، سلندر، والسيدة كيكلي)

شالو : اقطعي عليهما الحديث، يا سيدة كيكلي : ان ابن أخي يريد أن يتكلم.
سلندر : سأرمي سهماً أو سهمين على سبيل التجربة.
شالو : لا تخف.
سلندر : لن أخاف.
السيدة كيكلي : (لآن) اسمعي ! ان السيد سلندر يريد أن يكلمك.
آن : إني رهن إشارته (على حدة) انه الشخص الذي وقع عليه اختيار أبي. يا له من رجل سافل مليء بالعيوب !
السيدة كيكلي : كيف حال السيد فانتون ؟ كلمني، أرجوك !
(تكلم فانتون على حدة)

شالو : (لسليندر) انها قادمة، يا ابن أخي، إلى الأمام ! كان لك أب، أيها الفتى ؟
سلندر : كان لي أب، أيتها السيدة آن... كان مزاحاً مشهوراً.
شالو : أيتها السيدة آن، ان ابن أخي يحبك.
سلندر : أجل، إني أحبك.
شالو : يريد أن يتزوجك.
سلندر : أجل.
شالو : وهو على استعداد لأن يقدم لك مهراً بمئة وخمسين ليرة.
آن : دعه يغازلني بنفسه، يا سيد شالو.
شالو : إني أشكرك على هذا التشجيع. انها تناديك، يا ابن أخي، سأدعكما معاً.
آن : حسناً، يا سيد سلندر.
سلندر : حسناً، يا سيدة آن.
آن : ما هي رغباتك ؟
سلندر : رغباتي ؟ يا إلهي !
آن : أجل، ما تريد مني ؟
سلندر : من ناحيتي، لا أريد منك شيئاً. ان أباك وعمي، عرضا عليَّ اقتراحاً.

فإذا حالفني الحظ، فنعم الأمر. وإلا فهنيئاً لمن سيكون محظوظاً ! بامكانك أن تسألي أباك عن الأمر، إنه قادم.

(يدخل باج والسيدة باج)

باج : هيا، يا سيد سلندر ! عليك ان تحبيه، يا ابنتي آن. ماذا يفعل السيد فانتون هنا ؟ يزعجني ان تتردد على منزلي هكذا، لقد قلت لك إني قررت مصير ابنتي.

فانتون : لا تفقد صبرك، يا سيد باج.

السيدة باج : عزيزي السيد فانتون، عليك أن تتخلى عن ابنتي.

باج : انها ليست لك.

فانتون : اسمعني، يا سيدي.

باج : لن أستمع إليك ــ تعال، يا سيد شالو. تعال، يا ابني سلندر.

(يخرج باج، شالو وسليندر)

السيدة كيكلي : (لفانتون) كلّم السيدة باج.

فانتون : أيتها السيدة باج، إني أكن لابنتك محبة خالصة. ورغم كل العوائق، لن أتراجع : أعطني فقط موافقتك.

آن : امي الحبيبة، لا تزوجيني من ذاك الأبله.

السيدة باج : ليس هذا قصدي، إني أبحث لك عن زوج أفضل.

السيدة كيكلي : إنه سيدي، الدكتور كايوس.

آن : إني أفضل أن أرجم وأدفن حية على أن أتزوجه !

السيدة باج : لا تضطرب لن أكون صديقتك، كما لن أكون عدوتك، يا سيد فانتون. أعرف كم تحبك ابنتي، ان مشاعرها ستحدد موقفي منك، وداعاً يا سيدي... يجب أن تعود إلى البيت لئلا يغضب أبوها.

فانتون : وداعاً سيدتي الغالية !

(تخرج باج وآن)

السيدة كيكلي : (لفانتون) لقد قلت لها : هل سترمي بابنتك بين يدي هذا الأحمق أو بين يدي الطبيب ؟ زوّجيها من السيد فانتون.

فانتون : شكراً لك ــ أرجوك أن تسلمي السيدة آن، هذا الخاتم، مساء اليوم. خذي هذا مكافأة لك.

(يخرج)

السيدة كيكلي : تمنحك السماء حظاً سعيداً !... انه رجل طيب، أتمنى أن تكون السيدة آن من نصيب سيدي، أو من نصيب سلندر، أو من نصيب فانتون، ولكن بنوع خاص، من نصيب فانتون... ولكن عليَّ مهمة أخرى يجب أن أقوم بها لدى السير فولستاف.

(تخرج)

المشهد الخامس

(في اوتيل غارتر)

(يدخل فولستاف وباردولف)

فولستاف : هيا بنا، يا باردولف.

باردلوف : إني حاضر، يا سيدي.

فولستاف : أعطني كأس خمر وبعض اللحم المشوي. (يخرج باردولف) هل عشت كل هذه الأعوام، لأحمل بسلة كما تحمل نفايات اللحام، وأرمى في النهر ؟ إذا كنت سأسمح لأحد بأن يحتال عليَّ هكذا، فليقطع رأسي وليملح بالسمن، وليكن طعاماً للكلاب ! لقد رماني الأوغاد في النهر بدون أي توبيخ ضمير، كما لو كانوا يودون اغراق صغار الكلبة العميان ! وأنتم ترون ان سمنتي تساعدني على الغرق ــ كنت سأغرق لو لم تكن مياه النهر منخفضة، ولو لم يكن النهر مليئاً بالصخور... كم أكره هذا النوع من الموت ! لأن الماء يجعل الإنسان ينتفخ. في مثل هذه الحالة، كنت سأبدو كالمومياء الهائلة.

(يدخل باردولف ومعه خمر)

باردلوف : سيدي، ان السيدة كيكلي تريد التحدث إليك.
فولستاف : أعطني قليلاً من الخمر، ان احشائي مجلدة ـــ دعها تدخل.
باردلوف : ادخلي أيتها السيدة.

(تدخل السيدة كيكلي)

السيدة كيكلي : نهارك سعيد، يا سيدي.
فولستاف : (لباردولف) خذ هذه الكؤوس، واحضر لي كأس خمر ساخناً.
باردلوف : وهل أحضر بيضاً، يا سيدي ؟
فولستاف : أجل ـــ (يخرج باردولف) حسناً ؟
السيدة كيكلي : لقد ارسلتني إليك السيدة غي.
فولستاف : السيدة غي.
السيدة كيكلي : يا للأسف ! لا تلمها، انها غاضبة على هؤلاء الخدم الذين اساؤوا معاملتك.
فولستاف : لقد وثقت بوعود امرأة مجنونة !
السيدة كيكلي : آه، يا سيدي، ان حزنها لما حصل لك، يفطر القلوب. لقد ذهب زوجها، هذا الصباح، إلى الصيد، انها ترجوك، مرة أُخرى، ان تأتي إليها، بين الثامنة والتاسعة صباحاً. يجب ان انقل إليها جوابك، بأسرع ما يمكن. ستعوض عليك، بكل تأكيد.
فولستاف : حسناً، سأزورها. بلّغيها ذلك، قولي لها ان تأخذ بعين الاعتبار ضعفنا الإنساني، عندئذٍ فلتحكم عليَّ !
السيدة كيكلي : سأقول لها ذلك.
فولستاف : افعلي ذلك ـــ قلتِ لي، بين التاسعة والعاشرة، أليس كذلك ؟
السيدة كيكلي : بين الثامنة والتاسعة، يا سيدي.
فولستاف : حسناً ! إذهبي : لن أتخلف عن الموعد.
السيدة كيكلي : رافقتك السلامة، يا سيدي !

(تخرج)

فولستاف : لماذا لم يحضر السيد فونتين ؟ لقد أرسل من يقول لي أن أبقى هنا. أحب كثيراً ماله ـــ أوه، إنه قادم.

(يدخل غي)

السيدة باج : ان زوجك يا عزيزتي قد عادت إليه سويداؤه وهو موجود هناك مع زوجي، انه غاضب على كل المتزوجين يلعن كل بنات حواء وحالته تدعو إلى الشفقة. إني مسرورة لأن الفارس البدين ليس هنا.

السيدة غي : ماذا ! هل هو يتكلم عليه ؟

السيدة باج : انه لا ينفك يتكلم عليه، وهو يؤكد لزوجي انه عندما فتش عن السيرجون مؤخراً ولم يجده كان في الحقيقة مختبئاً في سلّة البياضات، وقد أعلن لزوجي انه الآن هنا، لذلك حرمه ومن معه، من الذهاب إلى الصيد، لكي يأتوا معه لتفتيش البيت مجدداً. ولكني مسرورة لأن الفارس ليس هنا. سيرى الآن بنفسه حماقته.

السيدة غي : أين هو الآن، يا سيدة باج ؟

السيدة باج : انه قريب من هنا، في آخر الشارع، وسيصل فوراً إلينا.

السيدة غي : لقد قضي عليَّ ! ان الفارس هنا !

السيدة باج : في هذه الحالة، تكونين قد ألحقت بك العار، وحكمت عليه بالموت... أية امرأة أنت، إذاً !... دعيه يخرج، دعيه يخرج ! الفضيحة تبقى أفضل من الموت...

(يدخل فولستاف)

فولستاف : لن أذهب بعد الآن مختبئاً داخل سلة البياضات. أليس من الممكن أن أخرج قبل وصوله ؟

السيدة باج : يا للأسف ! ان ثلاثة من أشقاء السيد غي، يقفون في الباب، حاملين مسدساتهم، لمنع أي كان من الخروج. ماذا ستفعل ؟

فولستاف : سأصعد من خلال المدخنة.

السيدة غي : ولكن من عادتهم أن يفرغوا بنادق الصيد من خلال المدخنة. اختبىء في الفرن.

فولستاف : أين هو ؟

السيدة غي : كلا، سيبحث عنك هناك. لا جدوى من اختبائك داخل البيت، انه يتفقد كل محتوياته يومياً.

فولستاف : حسناً سأخرج.

السيدة باج : إذا خرجت غير متنكر، فستموت يا سير جون. يجب ان تخرج متنكراً.

السيدة غي : كيف ذلك ؟

السيدة باج : يا للأسف ! لا أعلم. كان يمكن أن يخرج متنكراً بزي امرأة ولكن لا يوجد فستان يتسع لجسمه البدين.

فولستاف : ينبغي عليكما إيجاد حل ما.

السيدة غي : ان عمة وصيفتي البدينة قد تركت ثوبها فوق.

السيدة باج : انه يتسع له. احضري له أيضاً قبعتها وعصابة الذقن التي تستعملها.

السيدة غي : سنحضر لك أيضاً ما تستر به رأسك، أيها الحبيب فولستاف !

السيدة باج : أسرع، أسرع ! سنبرحك فوراً : بانتظار ذلك، ارتدِ الفستان.

(يخرج فولستاف)

السيدة غي : اريد أن يلتقي به زوجي وهو متنكر بزي عمة وصيفتي انه يكرهها ويلقبها بالساحرة، لقد منعها من دخول بيتنا، مهدداً إياها بالضرب.

السيدة باج : لتجعله السماء تحت رحمة عصا زوجك !

السيدة غي : ولكن هل سيصل زوجي ؟

السيدة باج : أجل، وهو يتحدث أيضاً عن مغامرة سلة البياضات، إني أجهل كيف علم بها.

السيدة غي : سنعلم ذلك، سآمر الخدم بأن يحملوا السلة، كما في السابق بحيث يلتقون به في الباب كما في المرة السابقة.

السيدة باج : ولكنه سيصل حالاً. هيا بنا لنلبس الفارس.

السيدة غي : سأقول للخدم ماذا ينبغي أن يفعلوا، ثم ألحق بك فوراً.

(تخرج)

السيدة باج : يا له من رجل سافل ! مهما أسأنا معاملته، فلن نفيه حقه ! (سنبرهن بما سنقوم به على انه بإمكان الزوجات، أن يكنَّ سعيدات، وأن يبقين مع ذلك فاضلات. اننا لا نفعل سوءاً نحن اللواتي، غالباً ما نضحك

ونمزح. ان المثل يقول : المياه الراكدة، هي أسوأ أنواع المياه).

(تخرج)

(تدخل السيدة غي ومعها خادمان)

السيدة غي : هيا، احملا هذه السلة، مرة أُخرى، فوق كتفيكما، ان سيدكما على وشك الوصول إلى الباب، إذا أمركما بانزالها على الأرض، فأطيعاه ــ اسرعا !

(تخرج)

الخادم الأول : هيا، هيا بنا إرفع هذه السلة.
الخادم الثاني : عسى ألَّا يكون الفارس مختبئاً في داخلها، هذه المرة !
الخادم الأول : أرجو ألا يكون الأمر كذلك. أفضل ان أحمل كتلة مماثلة من الرصاص.

(يدخل غي، باج، شالو، كايوس وهوغ)

غي : أجل. إذا كنت مصيباً في ظنوني، فكيف ستعوّض عليَّ، يا سيد باج، عن سخريتك مني ؟... ضع هذه السلة على الأرض، أيها الوغد ! هناك عصابة من الخدم تتآمر عليَّ إذاً ! ولكن، سيخذي الشيطان !... هيا، يا امرأة ! اخرجي من هناك ! ... انظري البياضات الشريفة التي ترسلينها إلى التنظيف !

باج : لقد تجاوزت غيرتك كل الحدود، يا سيدي. لا ينبغي أن تبقى حراً، يجب أن توضع في يدك القيود.
إفانس : يا له من رجل شاذ الطباع ! انه حانق مثل كلب مسعور.
شالو : في الحقيقة، يا سيد غي، لا يليق بك أن تكون على هذه الحالة.
غي : أنت على حق، يا سيدي.

(تدخل السيدة غي)

اقتربي، أيتها السيدة غي، يا أشرف امرأة وأطهر زوجة عرفها رجل غيور وتافه مثلي !... لقد شككت في أمرك دونما سبب أليس كذلك، يا سيدتي ؟
السيدة غي : أجل، ان السماء تشهد على ان ظنونك ليس لها ما يبررها.

غي : حسناً قلت، يا صاحبة الجبين الوقح ! ابقي هكذا !... أخرج من هنا، أيها الوغد !

(ينتزع البياضات من السلة)

باج : لقد تجاوزت كل حدّ.

السيدة غي : ألا تخجل من نفسك ؟ دع البياضات في السلة.

غي : سأضبطك بالجرم المشهود !

إفانس : هذا غير معقول ! هل سترفع بياضات امرأتك من السلة ؟ دعها !

غي : افرغي السلة، قلت لك.

السيد غي : إني متأكد من صحة معلوماتي، يا سيد باج، إني محق في غيرتي، بالأمس كان في بيتي، وقد هرب مختبئاً داخل هذه السلة. افرغي هذه السلة من البياضات.

السيدة غي : إذا وجدت رجلاً هنا، فليمت !

باج : لا يوجد أحد هنا.

شالو : ان ما تفعله يسيء إليك يا سيد غي.

إفانس : من الأفضل لك أن تصلي، يا سيد غي وتترك تخيلاتك جانباً.

غي : هيا بنا، ان من أبحث عنه، ليس هنا !

باج : إنه موجود في مخيلتك فقط.

غي : ساعدوني، هذه المرة أيضاً، على تفتيش بيتي. إذا لم أعثر عليه، فلأكن ألعوبة بين أيديكم ! ليقل عني الناس : غيور مثل غي الذي كان يبحث عن عشيق زوجته داخل قشرة الجوزة.

السيدة غي : هيا، يا سيدة باج، انزلي أنت والمرأة العجوز. ان زوجي سيذهب إلى الغرفة.

غي : المرأة العجوز ! أية امرأة عجوز تقيم هنا ؟

السيدة غي : إنها عمة وصيفتي.

غي : إنها الساحرة ! ألم أمنعها من دخول منزلي ؟ لقد قدمت إلينا من أجل الحصول على سمسرة أليس كذلك ؟ كم نحن بسطاء معشر الرجال ! انزلي أيتها الساحرة، انزلي، قلت لك.

السيدة غي : أيها السادة، لا تدعوه يضرب هذه المرأة العجوز. مهلاً، يا زوجي الحبيب.

(يدخل فولستاف متنكراً بزيّ امرأة، تقوده السيدة باج)

السيدة باج : تعالي أيتها العجوز، هاتِ يدكِ.
غي : سأنهال عليها ضرباً ! (يضرب فولستاف) اخرجي من هنا أيتها الساحرة ! هيّا اخرجي !

(يخرج فولستاف)

السيدة باج : ألا تخجل من نفسك ؟ اعتقد انك قتلت الإمرأة المسكينة.
السيدة غي : أجل، سيقتلها... ان عملاً كهذا، سيشرفك.
غي : فلتشنق الساحرة !
إفانس : اعتقد ان هذه المرأة، هي في الواقع، ساحرة ـــ لا أحب ان يكون للمرأة لحية، لقد رأيت لحيتها الكبيرة، وقد اخفتها قليلاً تحت عصابة ذقنها.
غي : هل تريدون الذهاب معي، أيها السادة ! أرجوكم أن تتبعوني لتروا ما إذا كنت محقاً في غيرتي أم لا.
السيدة باج : تعالوا، أيها السادة.

(يخرج غي، باج، شالو، كايوس وإفانس)

السيدة باج : لقد ضربها برفق.
السيدة غي : كلا وحق السماء لقد ضربها بشكل لا شفقة فيه اطلاقاً.
السيدة باج : لقد قام بعمل يستحق عليه المكافأة.
السيدة غي : ما رأيك ؟ هل نستطيع، بمساعدة رصانتنا وضميرنا الحي، أن نسترسل أكثر في انتقامنا منه ؟
السيدة باج : أرى أن روح الخلاعة، قد غادره إلى غير رجعة.
السيدة غي : هل نقول لزوجينا، كيف عاملناه ؟
السيدة باج : أجل، وذلك بغية أن ننزع من رأس زوجك كل التخيلات والأوهام، وإذا قرَّ رأيهما على أن هذا الفارس الفاسق يستحقّ المزيد من العقاب، فإننا سنتولى الأمر أيضاً وأيضاً.
السيدة غي : إني متأكدة من أنهما يريدان الحاق الخزي به أمام الناس،

واعتقد ان المهزلة لن تكتمل، حتى نضعه علناً في حالة لا تمكنه من تبرير نفسه.

السيدة باج : هيا بنا ! لنحاول تحقيق ذلك فوراً ولنضربن الحديد وهو حامٍ.

(تخرجان)

المشهد الثالث

(في منزل غي)

(يدخل باج، غي، السيدة باج، السيدة غي وهوغ)

إفانس : إنكما أذكى امرأتين عرفتهما.

باج : هل أرسل إليكما هاتين الرسالتين، في نفس الوقت ؟

السيدة باج : أجل.

غي : سامحيني يا امرأة. من الآن فصاعداً، افعلي ما يحلو لك. ولن أشك في وفائك بعد الآن.

باج : حسناً، حسناً، كفى. لا تكن متطرفاً في الاعتذار إليها كما كنت متطرفاً في إهانتها. ولكن لنكمل مؤامرتنا. لندع السيدة باج والسيدة غي تضربان موعداً جديداً لهذا الفاسق، بحيث نستطيع أن نفاجئه ونفضحه.

غي : ان أفضل وسيلة، هي تلك التي تحدثنا عنها.

باج : ماذا ! إذا ضربنا له موعداً في الحديقة العامة عند منتصف الليل، فلن يذهب إليه أبداً.

إفانس : تقولان انه رمي في النهر، وانه ضرب بشدة عندما كان متنكراً بزيّ امرأة. اعتقد ان كل هذا سبب له من المخاوف ما يجعله يحجم عن المجيء مرة أُخرى. ان العقاب الذي ناله جسده، أفقد كل رغباته.

باج : هذا هو ما اعتقده.

السيدة غي : فكّروا أنتم في الطريقة التي ستعاملونه بها، عندما سيأتي، ونحن نتكفل باحضاره إلى هناك.

السيدة باج : يحكى ان صياداً يدعى هيرن، كان حارساً لغابة وندسور، في غابر الأيام، وانه كان يعود خلال الشتاء، في هدأة الليل، ليطوف حول سنديانة، وقد برزت من جبينه قرون ضخمة، وعند ذاك كانت الأشجار تزبل والمواشي ترتعد، والدم يسري في عروق الأبقار الحلوب، وكان يهز سلسلة يحملها، بطريقة مرعبة ومشؤومة... لقد سمعتم بهذا الروح، وأنتم تعلمون أن العجائز الموسوسين قد آمنوا بهذه الخرافة ونقولها إلى جيلنا، على أنها حقيقة لا يرقى إليها الشك.

باج : ان العديد من الناس يخشون، حتى اليوم، المرور في منتصف الليل، بالقرب من سنديانة الصياد هيرن. ولكن ماذا تبغين من وراء كل هذه الأمور ؟

السيدة غي : نريد أن يأتي فولستاف للقائنا بالقرب من هذه السنديانة، وقد تنكر بزي الصياد هيرن.

باج : فليكن ! لنفترض انه اتى متنكراً بزي الصياد هيرن. ماذا ستفعل بعد ذلك ؟

السيدة باج : سنلبس ابنتي وابني وثلاثة أو أربعة أولاد آخرين، ثياباً تجعلهم يظهرون بمظهر العفاريت والجنيات، وعلى رؤوسهم مشاعل، وفي أيديهم نواقيس. وعندما أجتمع بفولستاف مع السيدة غي، ينطلقون فجأة من الخندق وهم ينشدون أناشيد غير منسقة. ولدى مشاهدتهم، نهرب نحن الاثنين، وقد استولى علينا الخوف. عند ذاك، يحيط الجميع به، ويسألونه لماذا يجرؤ في هذه الساعة المتأخرة من الليل على سلوك طرقاتهم المقدسة بزيه الدنيوي هذا.

السيدة غي : وإلى أن يقول الحقيقة، يستمر العفاريت والجنيات في قرصه وحرقه بمشاعلهم.

السيدة باج : وعندما يعترف بالحقيقة نتقدم نحوه ونقتلع من الشبح قرونه ثم نأخذه معنا إلى وندسور وسط استهزاء الجميع.

السيدة غي : يجب أن يتدرب الأولاد جيداً ليحسنوا اداء دورهم.

إفانس : سأتولى أنا تدريب الأولاد، وأقوم بدور الرجل القبيح فاحرق الفارس بمشعلي.

غي : سيكون عملاً رائعاً ـــ إني ذاهب لشراء الأقنعة.

السيدة باج : ستكون ابنتي أميرة الجنيات.

باج : إني ذاهب لشراء الحرير (على حدة) في هذه اللحظة الذهبية، سيخطف سلندر ابنتي ويتزوجها (بصوت عالٍ) هيا، أرسلوا من يطلب إلى فولستاف الحضور إلى هذا المكان المحدد.

غي : وأنا سأذهب إليه متنحلاً اسم فونتين : سيعلن لي عن مشاريعه. سيأتي، بكل تأكيد.

السيدة باج : أجل... هيا بنا، لنحضر الزينة المطلوبة.

إفانس : إلى العمل : إنها ملهاة رائعة، وانه مكر شريف.

(يخرج باج، غي وإفانس)

السيدة باج : هيا، أيتها السيدة غي، ارسلي السيدة كيكلي لتقف على رأي السير جون.

(تخرج السيدة غي)

أما أنا، فإني ذاهبة إلى الطبيب لا أحد سيتزوج ابنتي إلّا هو. أما سلندر الذي يفضله زوجي، فإنه رغم الأراضي التي يملكها، أحمق، ليس إلّا. ان الطبيب صاحب ثروة كبيرة، وله أصحاب أقوياء في البلاط.

(تخرج)

المشهد الرابع

(في باحة فندق غارتر)

(يدخل غارتر وسامبل)

غارتر : ماذا تريد، أيها الفظ ؟
سامبل : جئت من قبل السيد سلندر لأكلم السير فولستاف.
غارتر : هذه هي غرفته، اقرع الباب وناده. اقرع الباب، قلت لك.
سامبل : ان امرأة عجوزاً صعدت إلى غرفته، سأنتظرها ريثما تخرج لأني اريد أن اتحدث إليها.
غارتر : ماذا تقول ؟ ان هذه المرأة قد تسلبه ماله. سأناديه على الفور... أيها الفارس العظيم، أجبني ! هل أنت هناك ؟
فولستاف : (يظهر من خلال النافذة) ماذا تريد، يا سيدي ؟
غارتر : ان هذا الخادم ينتظر السيدة العجوز التي دخلت عليك، دعها تنزل إليه. ان غرف فندقي شريفة. أُف من الإلفة !

(يدخل فولستاف)

فولستاف : في الحقيقة، كانت في غرفتي سيدة عجوز، ولكنها ذهبت.
سامبل : أرجوك، يا سيدي، هل هي عرَّافة برينتفورد ؟
فولستاف : أجل، ماذا تريد منها ؟
سامبل : ان سيدي سلندر، إذا رآها تمر في الشارع، أرسلني وراءها لأعلم منها ما إذا كان نيم الذي سرق له قلادته، ما زال يحتفظ بها أم لا.
فولستاف : لقد كلمت السيدة العجوز بهذا الخصوص.
سامبل : وماذا قالت لك أرجوك ؟
فولستاف : قالت ان نفس الرجل الذي سرق له قلادته، احتال عليها.

سامبل : كنت أود أن أتحدث إلى السيدة العجوز شخصياً : كنت اريد أن أنقل إليها أموراً أخرى من قبل سيدي.
فولستاف : وما هي هذه الأمور ؟
غارتر : أجل، ما هي هذه الأمور ؟
سامبل : انها تتعلق بالسيدة آن باج : يريد سيدي أن يعرف ما إذا كانت تحبه أم لا.
فولستاف : أجل، سيحظى بها. هذا ما قالته لي السيدة العجوز.
سامبل : اشكرك يا سيدي. سيسعد بهذا النبأ.

(يخرج سامبل)

غارتر : أنت علامة، يا سيرجون ! هل كانت العرافة عندك ؟
فولستاف : أجل، وقد كشفت لي أموراً لم يسبق لي أن أدركتها. لم أدفع لها شيئاً، ولكنها هي التي دفعت لي لقاء استماعي إليها !

(يدخل باردولف)

غارتر : أين أحصنتي ؟
باردولف : لقد سرقها الألمان، وطرحوني على الأرض، عندما حاولت الوقوف في وجههم.
غارتر : لقد ذهبوا لملاقاة الدوق، لا تقل انهم هربوا، ان الالمان قوم شرفاء.

(يدخل إفانس)

إفانس : أين غارتر ؟
غارتر : ما الأمر يا سيدي ؟
إفانس : كن حذراً : ان صديقاً لي وصل الى المدينة وقال لي أن ثلاثة من الالمان قد دخلوا الفنادق وسرقوا ما فيها من الأحصنة. أنت رجل تقي، فلا ينبغي أن يخدعك مثل هؤلاء. أقول هذا حفاظاً على مصلحتك. وداعاً !

(يخرج)

(يدخل كايوس)

كايوس : أين أنت، يا سيد غارتر ؟
غارتر : إني هنا، يا دكتور، في حيرة عظيمة.

كايوس : لا أعرف ماذا يجري. كل ما أعلمه، انك تستعد لاستقبال الدوق الالماني. ولكن لا أحد في البلاط. ينتظر وصول مثل هذا الدوق. أقول لك هذا حفاظاً على مصلحتك. وداعاً !

(يخرج)

غارتر : النجدة ! النجدة، أيها الفارس ! لقد فقدت كل شيء ! أسرع أيها الوغد لقد ضاع مني كل شيء !

(يخرج غارتر وباردولف)

فولستاف : أود لو يخدع كل الناس، لأنني أنا خدعت وضربت. إذا علموا في البلاط، ما حصل لي، فإنهم سيقضون عليَّ. لم أوفق منذ ان بدأت أغش الآخرين. آه ! لو كانت لي القدرة على تلاوة صلواتي، لندمت على كل ما فعلت.

(تدخل السيدة كيكلي)

من أرسلك ؟

السيدة كيكلي : لقد أرسلتني إليك السيدة غي والسيدة باج.

فولستاف : ليأخذهما الشيطان ! لقد عانيت الكثير من جراء حبي لهما ! أجل إن ما تحملته يفوق قدرة ضعفنا البشري على الصمود !

السيدة كيكلي : ألم تعانيا هما أيضاً من جراء حبهما لك ؟ لقد أوسع السيد غي زوجته ضرباً، فلم تعد تقوى على الوقوف.

فولستاف : لقد ضربت أنا ايضاً بدوري، ضرباً مبرحاً.

السيدة كيكلي : سيدي، اسمح لي أن أكلمك في غرفتك، وستعلم كيف ستسوى الأمور. هذه رسالة أحملها إليك.

فولستاف : تعالي إلى غرفتي.

المشهد الخامس

(غرفة أخرى من غرف الفندق)

(يدخل فانتون وغارتر)

غارتر : لا تكلمني يا سيد فانتون، إني حزين وزاهد في كل شيء.
فانتون : ومع ذلك، يجب أن تستمع إليَّ. ساعدني في مشروعي وسأعطيك مائة ليرة ذهباً وأعوض عليك كل ما فقدته.
غارتر : حسناً يا سيد فانتون، تكلم.
فانتون : لقد كلمتك، مراراً عن الحب الذي أكنه للسيدة آن باج. انها بدورها تبادلني نفس الحب. لقد بعثت إليَّ برسالة، لا شك انها تثير إعجابك (يظهر له الرسالة). هناك مهزلة ستعلم تفاصيلها من خلال هذه الرسالة. سيكون للسير فولستاف الدور الأكبر فيها. ستمثل حبيبتي، في منتصف هذه الليلة، دور ملكة الجنيات، وذلك بالقرب من سنديانة الصياد هيرن. وقد أوعز إليها أبوها بأن تهرب مع السيد سليندر إلى ايتون حيث سيتزوجان فوراً بينما يكون الجميع مسترسلين في مزاحهم. وقد وافقت هي على ذلك. من جهة أخرى، قررت أمها التي تعارض مثل هذا الزواج، أن يخطفها الدكتور كايوس الذي تصر على أن يتزوجها في حين يكون الجميع منهمكين في هزلهم. وقد تظاهرت آن بالموافقة على الزواج من الدكتور كايوس. والآن، ان أباها يريد أن ترتدي ثياباً بيضاء، لأنه اتفق مع السيد سلندر على ذلك، ليستطيع هذا الأخير معرفتها والهروب معها في اللحظة المناسبة. أما أمها فإنها تريد أن ترتدي ابنتها ثياباً خضراء، لأنها بدورها اتفقت مع الدكتور كايوس على ذلك، ليتمكن من التعرف إليها ويهرب معها في الوقت الملائم.
غارتر : ومن تريد هي أن تخدع ؟ أباها أم امها ؟

فانتون : الاثنين معاً، لتستطيع أن تذهب معي. اريد منك فقط ان تحضر الكاهن، في منتصف الليل إلى الكنيسة، فيبارك زواجنا.

غارتر : احضر الفتاة، وسأتولى أنا احضار الكاهن.

فانتون : لن أنسى لك معروفك، وسأكافئك منذ الآن.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الاول

(في مسكن فولستاف)

(يدخل فولستاف والسيدة كيكلي)

فولستاف : أرجوك، كفي عن الثرثرة ! إذهبي، لن أتخلّف عن الموعد المحدد يقولون ان الأرقام المنفردة لها قوة إلهية، إن بالنسبة للولادة، أو بالنسبة للحظ، وكذلك بالنسبة للممات... هيا، إذهبي !

السيدة كيكلي : سأحضر لك قلادة وزوجاً من القرون.

فولستاف : إذهبي، قلت لك، ان الوقت يمر.

(تخرج كيكلي)

(يدخل غي)

كيف حالك يا سيد فونتين ؟ سأنهي الأمر هذه الليلة. كن في الحديقة، بالقرب من سنديانة هيرن، عند منتصف الليل، وسترى العجائب.

غي : ألم تذهب البارحة لرؤيتها، كما وعدتني ؟

فولستاف : لقد ذهبت إليها، كما اتفقنا، ولكن زوجها الوغد الذي يسكنه شيطان الغيرة، فاجأني هناك. سأروي لك ما حصل. لقد ضربني ضرباً موجعاً، عندما كنت أتنكر بزي امرأة عجوز. إني مستعجل، تعالَ معي وسأقول لك

كل شيء. هذه الليلة سأنتقم من الوغد غي، وسأستولي على امرأته... تعالَ، ان أشياء غريبة يجري اعدادها من أجل ذلك، يا سيد فونتين !
تعال !

(يخرجان)

المشهد الثاني

(بالقرب من حديقة وندسور)

(يدخل باج، شالو وسلندر)

باج : تعالَ، تعالَ، سنختبىء في خندق القصر، إلى أن نرى نور الجنيات. تذكر ابنتي جيداً، يا سيد سلندر.
سلندر : أجل. لقد تحدثت إليها واتفقنا على كلمة السر.
شالو : حسناً. لقد دقت الساعة العاشرة.
باج : ان الليل مظلم، لذلك ستسطع أنوار المشاعل التي يحملونها. لتحمي السماء مرحنا هذا ! ان أحداً منا لاينوي القيام بأي عمل مضر، باستثناء الشيطان، الذي سنتعرف إليه من خلال قرونه. هيا بنا ! اتبعوني.

(يخرج الجميع)

المشهد الثالث

(في حديقة وندسور)

(تدخل السيدة باج، السيدة غي والدكتور كايوس)

السيدة باج : ان ابنتي ترتدي ثياباً خضراء، يا دكتور. عندما تسنح لك الفرصة، اخطفها وتزوجها بسرعة ـــ سر أمامنا إلى الحديقة، ونحن الاثنين، سنمضي معاً إلى هناك.
كايوس : إني أعرف ما ينبغي عليَّ أن أقوم به. وداعاً !
السيدة باج : وداعاً، يا دكتور ! (يخرج كايوس) ان زوجي سيعيد لأنه استطاع أن يسخر من فولستاف، ولكنه سيغضب لأن الدكتور كايوس تزوج ابنته. ولكن التوبيخ البسيط يبقى أفضل من الغصة.
السيدة غي : أين السيدة آن باج ؟ وأين الشيطان هوغ ؟
السيدة باج : انهما مختبئان في الخندق، بالقرب من سنديانة هيرن، ومعهما مشاعلهما، وعندما سيجتمع بنا فولستاف، سيظهران فجأة.
السيدة غي : ان هذا سيرعبه.
السيدة باج : سيرتعب وسيتلقى ضرباً مؤلماً.
السيدة غي : ستخونه، هذه المرة أيضاً.
السيدة باج : ان خيانة الفاسقين لا تعدّ خيانة.
السيدة غي : ان الساعة تقترب. إلى السنديانة ! إلى السنديانة !

(تخرجان)

المشهد الرابع

(في حديقة وندسور. أمام سنديانة هيرن)

(يدخل السير هوغ، إفانس والجنيات)

إفانس : هيا ـــ هيا ! تذكرن جيداً أدواركن ـــ تشجعن !
لنختبىء في الخندق. وعندما أعطيكن الإشارة، افعلن كما قلت لكنَّ.
(يختبىء الجميع)

المشهد الخامس

(في مكان آخر من الحديقة)

(يدخل فولستاف متنكراً، تعلو رأسه قرون أيل)

فولستاف : لقد أعلن جرس وندسور الثانية عشرة ليلاً ان اللحظة الحاسمة تقترب. والآن، لتكن الآلهة في عوني !... من القادم نحوي ؟ هل هي حبيبتي ؟

(تدخل السيدة غي والسيدة باج)

السيدة غي : هل أنت هنا، يا حبيبي جون ؟
فولستاف : أجل، يا حبيبتي (يعانقها).
السيدة غي : لقد جاءت معي السيدة باج، يا حبيبي.
فولستاف : تقاسماني إذاً. فقط أبقيا على قروني، لأني سأهديها إلى السيد غي والسيد باج ـــ ألست صياداً ماهراً ؟ إني أتكلم مثل الصياد هيرن، أليس كذلك ؟ أهلاً بكما.

(تعلو الضجة، خلف المسرح)

السيدة باج : ما هذه الضجة ؟
السيدة غي : يا إلهي، إغفر لنا ما خطئنا به إليك !
فولستاف : ما عسى أن يكون هذا ؟
السيدة باج والسيدة غي : لنهرب، لنهرب.

(تهربان)

فولستاف : اعتقد ان الشيطان لا يريد هلاكي، خشية أن لا أزيد نار جهنم تأججاً، وإلا لما أني هكذا ؟

(يدخل السير هوغ وبيستولي متنكرين، تتبعهما آن باج وأخوها وأولاد آخرين متنكرين أيضاً، وعلى رؤوسهم مشاعل مضاءة).

ملكة الجنيات : أيتها الجنيات قمن بواجبكن (لبيستولي) أيها المنادي، استدعي الجنيات.
بيستولي : أيتها الجنيات، ان ملكتنا تكره الأناس الفاسقين، تعالوا إليها.
فولستاف : انهن في الحقيقة جنيات ! ان من يكلمهن، يموت. سأغمض عيني وارتمي على الأرض. لا ينبغي لآدمي أن يرى أعمالهن.

(يرتمي على الأرض)

إفانس : هيا، أيتها الجنيات، داعبن الفتيات اللواتي يتلين صلواتهن قبل النوم. أما الأناس الذين ينامون دون أن يفكروا في خطاياهم فأوسعوهم ضرباً مؤلماً.
ملكة الجنيات : هيا، فتشوا قصر وندسور، وازرعوا الحظ السعيد في جميع غرفه المقدسة، ليبقى قائماً إلى يوم الدينونة ! وانتن يا جنيات الحدائق، أنشدن الألحان، في الليل، فينبت العشب وتزهر الأزهار. ليكن شعاركن : الخزي والعار لكل من يفكر بالسوء في قرارة نفسه ــ هيا تفرقن، ولكن لا تنسين أولاً أن ترقصن حول سنديانة هيرن الصياد.
إفانس : هيا، تحلقن حول السنديانة بمشاعلكن. ولكن مهلاً ! إني أشعر بوجود آدمي هناك.
فولستاف : لتحمني السماء من هذا الشيطان !
بيستولي : أيها السافل، لقد أصابتك العين الشريرة منذ ولادتك !
ملكة الجنيات : دعوا النار تلامس اصبعه ! فإذا كان عفيفاً، ارتدت النار إلى

الوراء دون أن تؤذيه، وإذا ارتعش، فمعنى ذلك انه رجل فاسق.
بيستولي : هيا بنا !
إفانس : لنرى ماذا سيحصل له !

(يتقدم الجميع ويحرقونه بمشاعلهم)

فولستاف : أوه ! أوه ! أوه !
ملكة الجنيات : إنه رجل فاسق ! تحلقن حوله، وأنشدن له أبياتاً تلحق به الخزي والعار، وفي الوقت نفسه لا تكففن عن وخزه.

أغنية

تباً للأفكار الشريرة !
تباً للرذيلة والفجور !
ان الفجور نار دموية،
تشعلها الرغبات الفاحشة.
ان موقدها في القلب،
وان شعلتها تصل إلى العقل.
أيتها الجنيات لا تتوانين عن وخزه واحراقه،
بسبب فجوره، لحين طلوع الفجر !

(أثناء النشيد، يصل الدكتور كايوس ويخطف جنية ترتدي ثياباً خضراء، وكذلك يصل سليندر ويخطف جنية ترتدي ثياباً بيضاء، ثم يصل فانتون ويخطف آن باج. تتعالى ضجة بعض الصيادين. تهرب الجنيات وينزع فولستاف قرون الأيل عن رأسه، ويقف)

(يدخل باج، غي، السيدة باج والسيدة تَي، ويمسكون بفولستاف)

باج : لا تحاول الهرب، اعتقد اننا تمكنا من ترويضك، هذه المرة. لا نستطيع بلوغ هدفك إلا إذا تنكرت بزي هيرن الصياد، أليس كذلك ؟
السيدة باج : دعه، أرجوك، كفانا مزاحاً... والآن، كيف وجدت نساء وندسور، يا سيرجون ؟ (مشيرة إلى قرون فولستاف) هل ترى هذه القرون، يا زوجي ؟ انها تليق بالغابة وليس بالمدينة.
غي : (لفولستاف) حسناً، من تراه الآن، الزوج المخدوع، يا سيدي ؟

السيدة غي : لم يحالفنا الحظ، يا سيرجون. لن أتخذك عشيقاً لي بعد الآن. فقط سأعتبرك الأيل المحبب إلى قلبي.

فولستاف : بدأت أدرك إني كنت حماراً.

غي : أجل وثوراً أيضاً : الأدلة على ذلك كثيرة.

فولستاف : ألم يكن إذاً جنيات ؟ لقد ارتبت في أمرهن، برهة، ولكني ما لبثت ان تأكدت مجدداً من حقيقتهن. أنظر الآن، إلى أية مهزلة يعرض العقل نفسه، عندما يساء استعماله !

إفانس : سيرجون، إتقِ الله، واكفر بشهواتك، إذ ذاك لن تتعرض لوخز الجنيات.

غي : حسنا قلت، أيها العفريت هوغ !

إفانس : (لغي) وأنت أيضاً أكفر بغيرتك، أرجوك.

غي : لن أشك بامرأتي بعد الآن، إلا عندما تصبح أنت قادراً على مغازلتها بالانكليزية.

فولستاف : هل فقدت رشدي كلياً، حتى وقعت في مثل هذا الشرك ؟ ان ما حصل لي يكفي لتأديب جميع الفاسقين في المملكة.

السيدة باج : هل تعتقد، يا سيرجون، اننا لو طردنا الفضيلة من قلوبنا وأسلمنا أنفسنا للشيطان، انك ستحظى باعجابنا واننا سنستسلم إليك ؟

غي : يا لك من سافل !

السيدة باج : يا لك من رجل متورِّم !

باج : يا لك من رجل قاتر وكريه !

غي : ونمَّام مثل الشيطان !

باج : ومسكين مثل أيوب !

غي : وشرير مثل امرأته !

إفانس : ويتعاطى الفجور ويعاقر الخمر !

فولستاف : عاملوني، كما تريدون، لقد تغلبتم عليَّ، لقد هزمت، ولا أستطيع أن أنبس ببنت شفة.

غي : حسناً، يا سيدي، سنقودك إلى وندسور، حيث ستعيد إلى السيد فونتين

المال الذي سلبته إياه. وهذا سيكون عقابك الأكبر.

باج : هذا أمر غير مهم. إفرح، أيها الفارس. إنك مدعو إلى بيتي هذا المساء. ستسخر من امرأتي، كما تسخر هي منك الآن : سنقول لها ان السيد سلندر تزوج ابنتها.

السيدة باج : (على حدة) إذا كانت آن باج هي ابنتي فعلاً، فإنها ستكون الآن قد تزوجت الدكتور كايوس.

(يدخل سلندر)

سلندر : سيد باج ! سيد باج !

باج : ماذا تريد ؟ هل تمَّ كل شيء ؟

سلندر : كلا !

باج : ماذا حصل، يا سيد سلندر ؟

سلندر : عندما وصلت إلى ايتون لأتزوّج السيدة آن باج، وجدت نفسي أمام فتى بدين. ولو لم نكن في الكنيسة، لحصل له ما لم يكن في الحسبان.

باج : لقد خدعت.

سلندر : أجل، لقد كان يرتدي ثياب امرأة. ولو تزوجته، لما أسأت إليه.

باج : لقد ارتكبت حماقة، ألم أقل لك انك ستتعرف إلى ابنتي من خلال ثيابها.

سلندر : لقد ذهبت الى الفتاة التي كانت ترتدي ثياباً بيضاء وقلت لها كلمة السر. فعرفتني. ومع ذلك فإنها لم تكن السيدة آن، بل حوذياً كان يتزيى بزي امرأة !

السيدة باج : (لباج) لا تغضب يا عزيزي، لقد علمت مسبقاً بخطتك، وألبست ابنتي ثياباً خضراء. وهي الآن مع الدكتور كايوس الذي سيتزوجها.

(يدخل كايوس)

كايوس : أين السيدة باج ! لقد خدعت ـــ لقد تزوجت فتى، بدلاً من الآنسة آن باج ! لقد خدعت !

السيدة باج : ولكن هل خطفت الفتاة التي كانت ترتدي ثياباً خضراء ؟

كايوس : أجل، ولكني وجدت نفسي فيما بعد أمام فتىً.

(يخرج كايوس)

غي : يا للعجب ! من إذاً خطف السيدة آن باج ؟
باج : ها هو السيد فانتون.

(يدخل فانتون وآن باج)

ما معنى هذا، يا سيد فانتون ؟
آن : سامحني يا أبي ! سامحيني يا أمي !
باج : لماذا لم تذهبي مع السيد سليندر، أيتها السيدة ؟
السيدة باج : لماذا لم تذهبي مع الدكتور كايوس، أيتها السيدة ؟
فانتون : لا ترهقا أعصابها ! سأقول لك الحقيقة. كنتما تريدان لها زواجاً تعيساً، خالياً من الحب. نحن الاثنان يجمعنا الآن رباط لا يمكن فصمه. مباركة الخطيئة التي ارتكبتها والإهانة التي سببتها ! انها بعملها هذا جنبت نفسها اللعنة التي كان سيسببها زواجها القسري ممن لا تحب.
غي : لا تبقيا هكذا ذاهلين. إن هذا لن يجديكما نفعاً. ان سلطان الحب لا يقاوم. بالمال، نستطيع شراء الأراضي، أما النساء فإن القدر يوزعهن كما يشاء !
فولستاف : إني سعيد لأن السهام التي سددتموها نحوي ارتدت إلى صدوركم.
باج : لتجعلك السماء سعيداً، يا فانتون. يجب الاذعان للأمور التي لا نستطيع تجنبها !
فولستاف : عندما تصطاد الكلاب، أثناء الليل، تستحسن كل طريدة تقع عليها.
السيدة باج : لننسَ ما حصل، يا سيد فانتون ! وننهي هذه المهزلة، بالقرب من الموقد. هيا بنا جميعاً، وأنت أيضاً، يا سيرجون.
غي : فليكن ! لقد وفيت بوعدك، يا سيرجون، نحو السيد فونتين، لأنه سينام هذه الليلة مع الآنسة غي.

(يخرج الجميع)





واحـدة بـواحدة

تعـريـب

أ . ر . مشـاطي

أشخاص المسرحية

فنسنتو : دوق فينّا
أنجلة : نائب الدوق أثناء غيابه عن الحكم
أسكالوس : مولى عجوز، زميل أنجلو في المنصب
كلوديو : وجيه شاب
لوسيو : شخص غريب الأطوار
وجيهان آخران
ضابط الشرطة
توماس } راهبان
بطرس }
كود : شرطي مغفّل
المعلم رغوة : غني أبله
بومبي : خادم السيدة المرهقة
أبو رسون : جلاد
برنردان : سجين منحطّ الأخلاق
ايزابيل : أخت كلوديو
مريان : خطيبة أنجلو
جولييت : حبيبة كلوديو
فرنسيسكا : راهبة
السيدة المرهقة : قوّادة
سادة ووجهاء وحرس وخدم
تجري الأحداث في فينّا.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل الدوق واسكالوس وسادة وخدم

الدوق : يا أسكالوس.

اسكالوس : نعم يا مولاي.

الدوق : ان شرحي كل قوانين الحكم يتطلّب من قبلي أن أبسّط لك جملاً وخطباً، وأنا أدري جيداً ان معارفك الخاصّة في هذا الموضوع تفوق ما تتناوله خبرتي من معلومات يسعني أن أزوّدك بها، وإني لا أحتاج إلّا إلى إضافة سلطتي إلى مقدرتك، لأدعك تتصرّف بحكمتك. ان طبيعة شعوبنا ومؤسسات مدينتنا ونصوص قوانيننا المنظّمة ليست غريبة عن معظم رجال الشرع المتضلّعين من النظريات والتطبيقات التي نعتمدها. هذه هي مهمتك (يسلّمه ورقة) أتمنى أن لا تتخلى عنها. (لرجال حاشيته) هيا أرسلوا في طلب أنجلو واستعجلوه في الحضور اليّ. (يخرج أحد الخدم لأسكالوس) كيف تظنه سيتصرّف عندما يحلّ محلي ؟ عليك أن تعلم إني بوحي خاص، قد اخترته ليقوم مقامي أثناء غيابي. ولقد شملته بحمايتي وأغدقت عليه محبتي وزوّدته بجميع وظائفي وسلطاتي. فما رأيك بذلك ؟

اسكالوس : إذا كان في فينّا رجل يستحق تلقّي إنعامك وشرف عظيم كهذا فهو السيد أنجلو.

(يدخل أنجلو)

الدوق : ها هو قد أقبل.

أنجلو : دائماً طوع بنانك يا صاحب السيادة، جئت لأستطلع رغباتك السنيّة.

الدوق : يا أنجلو، ان لوجودك معي بعض الميزات في الملاحظة التي تنبئني بنمط حياتك. ان شخصيتك وصفاتك ليست ملكك الخاص بمقدار ما يسعك أن تبذل من جهودك ضمن نطاق فضائلك، ومن فضائلك ضمن نطاق درايتك. فالسماء تعمل في داخلنا كما نفعل نحن بالمشاعل التي لا نضيئها لأجل ذاتها بل لمنفعتها. كذلك إذا لم تشعّ مزايانا خارج كياننا فالأفضل أن لا نتحلى بها. لأن الأذهان لا تقدّر الجمال إلّا لتعطي الجمال، والطبيعة لا تأبه أبداً للنشوة بكمالاتها بدون أن تتطلّب هي ذاتها هذه الكمالات، كأنها إلهة مرابية تستثمر جميع حسنات دائنها وتشكّراته فوق فوائده. وأنا الآن أوجّه حديثي إلى رجل قادر على الحلول محلي. فيا أنجلو كن أثناء غيابي نظيري تماماً. وفي فينّا، لينطلق العقاب والرفق من عقلك وقلبك. وإن أنا عيّنت أسكالوس قبلك فمقامه يأتي بعدك. فاستلم مهمتك (يسلّمه ورقة).

أنجلو : انتظر يا سيدي الكريم، حتى تجرّب معدني وتصنع منه إنساناً هكذا نبيلاً وجليلاً.

الدوق : لا أريد أعذاراً. لأني فكرت ملياً في اختياري وأشبعته درساً قبل أن ألجأ اليك. فاقبل إذاً هذا المنصب، لأن استعجالي في الذهاب لا يمهلني، ولا مجال للتأخر في تقرير أمر بهذه الأهمية. سأكتب إليك عندما تدعو حاجة مصلحتي وظروفي، وآمل أن تعلمني بكل ما يجري لك هنا، فالوداع. أنا أتركك تنفّذ جميع ما تقتضيه واجبات وظيفتك بحرية تامّة.

أنجلو : على الأقل يا مولاي اسمح لي بأن أرافقك في جزء من الطريق.

الدوق : أقسم لك بشرفي ان ظروفي لا تتيح ذلك. فلا يقلق لك بال. لا تنسَ ان حريتك في العملِ واسعة نظير حريتي. فبإمكانك أن تتشدّد أو تتساهل في تطبيق القوانين حسب ما يوحي اليك به ضميرك الحي. هات

يدك لأصافحها. إني أريد أن أنسحب سرًّا. فأنا أحب الناس، إنما لا يعجبني أن يستعرضوني بعيونهم، ولا أميل الى هتافاتهم وتصفيقهم الصاخب مهما كان مرضياً، ولا أعتبر من الحكمة أن يحث المرء عنها وداعاً.

أنجلو : حماك الله وسدّد خطاك.

اسكالوس : ليحرسك أنت أيضاً، ويمنّ عليك بالسعادة الكاملة.

الدوق : شكراً لكما. الوداع.

(يخرج)

اسكالوس : (لأنجلو) أرجو منك يا سيدي أن تسمح لي بالتحدّث إليك قليلاً. إذ يهمّني أن أتفهّم واجباتي جيداً. فلي سلطة، ولكن ما هو مداها، وما هي طبيعتها ؟ لأني لم أتمكّن بعد من حصرها.

أنجلو : هذا هو حالي أنا أيضاً. فلننسحب معاً، وسيتسنّى لنا إدراك هذه النقاط قريباً.

اسكالوس : أنا طوع بنانك، يا صاحب السعادة.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في إحدى الساحات

يدخل لوسيو ومعه وجيهان

لوسيو : إذا كان الدوق كسائر زملائه لم يتفاهم مع عاهل هنغاريا فسيهاجمون الملك بأجمعهم.

الوجيه الأول : شملنا الله بسلامه، لا بسلام ملك هنغاريا.

الوجيه الثاني : آمين.

لوسيو : أنت تفكر مثل ذاك القرصان المتزمّت الذي ركب البحر مزوّداً بالوصايا العشر بعد أن شطب إحداها من اللوحة.

الوجيه الثاني : القائلة : لا تسرق.
لوسيو : أجل، هذه هي الوصية التي ألغاها.
الوجيه الأول : بالفعل، هذه الوصية هي التي تأمر الربّان وجميع رجاله بالتخلي عن مهمّتهم لأنهم أقلعوا بقصد النهب والسلب. ليس بين جنودنا فرد يصلي قبل الأكل ويقبل بالفقرة التي تلتمس أن يخيّم السلام على الجميع.
الوجيه الثاني : لم أسمع ابداً في حياتي جندياً يرفض السلام.
لوسيو : أنا أصدّقك، لأني أعتقد بأنك لم تكن يوماً حيث تلتمس النِعَم.
الوجيه الثاني : على الأقل، ذهبت عشر مرّات.
الوجيه الأول : في أية ظروف.
لوسيو : لا تهمّ المناسبة ولا اللغة.
الوجيه الأول : حتى ولا الديانة أيضاً.
لوسيو : لماذا لا ؟ فالنعمة تظل نعمة رغم كل المناقشات والاعتبارات. فمثلاً أنت خشن الطباع، وتظلّ مشاكساً مهما تلقّيت من النعم.
الوجيه الأول : وإن يكن الأمر كما تقول، فالفرق بيننا يكمن في التفاصيل.
لوسيو : تماماً كما هو الفرق بين المخمل والحاشية. وأنت لست سوى حاشية.
الوجيه الأول : وأنت المخمل. أجل أنت مخمل ممتاز بثلاث وبرات. أؤكّد لك إني من جهتي أفضّل أن أكون حاشية قماش صرج انكليزي على أن أكون مخملاً مجزوزاً نظيرك على الطريقة الفرنسية. وأنا أتكلم عن خبرة كما لا يخفاك.
لوسيو : أصدّقك، وأعتقد أن الزمان كان قاسياً عليك. وها هو إقرارك يشير إلى أن الأفضل لك أن تعرض صحتك على طبيب. أؤكّد لك أنني سأمتنع، ما حييت، عن الشرب من كأسك.
الوجيه الأول : يُخيَّل اليّ اني أخطأت بحق نفسي. أليس كذلك ؟
الوجيه الثاني : نعم بدون شك، إن غاظك الأمر أو لا.
لوسيو : (يلمح السيدة المرهقة) : ها هي السيدة المسايرة قد أتت.
الوجيه الأول : تحت سقفها، اشتريت أمراضاً كلّفتني باهظاً.

الوجيه الثاني : أرجو منك أن تقول لي كم كلّفتك ؟
لوسيو : إحزر.
الوجيه الثاني : ثلاثة آلاف دولار، أريد أن أقول ثلاثة آلاف دُوَار في السنة.
الوجيه الأول : وأكثر من ذلك.
لوسيو : نعم، وفوق ذلك بعض العلل.
الوجيه الثاني : للوسيو : أنت تتصوّر دائماً أني مريض، لكنك مخطئ جداً لأني متين البنية.
لوسيو : نعم، ولكن لا أحد يؤكّد أنك صحيح البدن. أنت صلب كالأشياء المجوّفة، وعظامك كالفخار سريعة العطب، لأن النجاسة تسري في أوصالك.
(تدخل السيدة المرهقة)
الوجيه الأول : كيف حالك ؟ أي جانب من الورك فيك مُصاب أكثر بداء عرق النسا ؟
السيدة المرهقة : حسناً، حسناً. ها قد أقتيد الى السجن رجل يساوي خمسة آلاف من أمثالكم جميعاً.
الوجيه الثاني : أرجو منك أن تقولي لي مَن هو.
السيدة المرهقة : لعمري، يا سيدي، هو كلوديو، أريد أن أقول السيد كلوديو.
الوجيه الأول : كلوديو في السجن ؟ هذا لا يُصدَّق.
السيدة المرهقة : أنا أعلم جيداً أن الأمر قد تمّ، وشاهدته موقوفاً ومساقاً. علاوة على ذلك، سيقطع رأسه بعد ثلاثة أيام.
لوسيو : بعد كل هذه الثرثرة، أكاد لا أصدّق ما تقولين. هل أنت واثقة من صحّة هذا النبأ ؟
السيدة المرهقة : أجل أنا واثقة كل الثقة، لأنه دنّس شرف السيدة جولييت.
لوسيو : (للوجيهين) : صدّقاني، المسألة ممكنة. لقد وعدني بموافاتي، من ساعتين، وكان دائماً دقيقاً في المحافظة على مواعيده.
الوجيه الثاني : من جهة أخرى، أنت تعلم أن ذلك مطابق لما كنّا نتحدّث عنه منذ هنيهة.
الوجيه الأول : هذا يطابق بنوع خاصّ ما يُعلَن عنه.

لوسيو : هيّا نذهب ونستفهم عن الحقيقة.

(يخرج لوسيو بصحبة الوجيهين)

السيدة المرهقة : هكذا بسبب الحرب والمرض والبؤس أراني بدون عمل.

(يدخل بومبي)

ما وراءك من الأخبار ؟

بومبي : هناك رجل يُقاد إلى السجن.

السيدة المرهقة : وماذا فعل ؟

بومبي : اعتدى على امرأة.

السيدة المرهقة : ما هو جرمه ؟

بومبي : لقد أخطأ... اصطاد سمكة في نهر خاص.

السيدة المرهقة : ماذا تقول ؟ هل اغتصب فتاة ؟

بومبي : نعم جعل من الفتاة امرأة. أو لم تسمعي المنادي ؟

السيدة المرهقة : أي منادٍ، يا عزيزي ؟

بومبي : المنادي الذي أعلن بأن جميع البيوت في ضواحي فينّا ستُهدم.

السيدة المرهقة : وماذا يحل ببيوت المدينة ؟

بومبي : ستظل قائمة. ولو لم يشفع بها رجل قدير حكيم، لكانت هُدمت هي أيضاً.

السيدة المرهقة : كيف تُهدم كل بيوتنا المجمّعة في الضواحي ؟

بومبي : ستُدكّ الى الأرض، يا معلمتي.

السيدة المرهقة : هذا، وربي، انقلاب في الأمور العامة. ماذا سيحلّ بي ؟

بومبي : هيا لا تقلقي. إعلمي أن النصائح المفيدة لا تجلب الزبائن. ومهما غيّرت اقامتك، لست مضطرّة لاستبدال مهنتك. سأظل على الدوام أجيرك اليقظ، فتشجّعي واشفقي على حالك، وإلّا خسرت عينيك بغير داعٍ اضطراري، ولا بدّ من النظر لترى الأشياء بعين الواقع.

السيدة المرهقة : ماذا يمكننا أن نفعل هنا، يا صاحبي ؟ هيا بنا نذهب.

بومبي : ها هوذا السيد كلوديو يقوده ضابط الشرطة الى السجن. وها هيذا جولييت.

(يخرجان)
(يدخل ضابط الشرطة وكلوديو وجولييت ورجال الشرطة ثم لوسيو والوجيهان).

كلوديو : (لضابط الشرطة) يا صديقي، لماذا تعرّضني هكذا لأنظار الناس ؟ خذني الى السجن حيث ستحتجزني.
ضابط الشرطة : إذا تصرّفت هكذا، فليس عن سوء نيّة، بل لتلبية طلب خاص أرسله لي السيد أنجلو.
كلوديو : هكذا تدفعني السلطة، وهي نصف إله، ثمن زلّتي على هواها. هي خنجر القانون الذي يطعن مَن يشاء ويقي من الطعن مَن يشاء. ما همّ، فهذا، حسب العرف، يُسمًّى عدالة.
لوسيو : (يتقدّم) ما بك يا كلوديو ؟ لماذا أنت خائف هكذا ؟
كلوديو : بسبب الحرية الزائدة، يا عزيزي لوسيو. أجل بسبب الحرية الزائدة. فكما ان عسر الهضم يقتضي الصوم، هكذا التمادي في المجون بدون رادع يفضي الى العبودية. لأن غرائزنا كالجرذان التي تتهافت على السموم، تواصل الأذى المتفاعل فيها، وتظلّ تستزيد منها حتى تموت.
لوسيو : لو كنت واثقاً عند توقيفي من التكلم هكذا بحكمة لكنت بحثت عن بعض الدائنين لأستلف شيئاً من المال، مع ذلك، الحق أقول، أنا أفضّل أن أثرثر بحرية، خارج السجن، على أن أتحدّث برصانة في داخله. ماذا يغيظك يا كلوديو ؟

كلوديو : مجرد الكلام، أعتبره إهانة جديدة لا تُغتفر.
لوسيو : ماذا تعني ؟ هل هناك جريمة قتل ؟
كلوديو : كلا.
لوسيو : أم جناية دعارة.
كلوديو : سمّها هكذا، إن شئت.
ضابط الشرطة : (لكلوديو) سِرْ، يا سيدي، علينا أن نمضي.

كلوديو : (لضابط الشرطة) كلمة واحدة فقط، يا صاح، كلمة واحدة يا لوسيو (يأخذ لوسيو جانباً).

لوسيو : قل مئة كلمة إذا أمكنك أن تستفيد منها. هل هكذا لا تكفّ عن الفسق ؟

كلوديو : هذا هو وضعي. فإني بموجب عقد قانوني تسلّلت الى سرير جولييت التي تعرفها، وهي الآن زوجتي بكل معنى الكلمة، ولم يبقَ لاكتمال قراننا إلاّ معاملات الزفاف العلني. وإن لم أصل بها بعد إلى الخاتمة، فلكي أحصل على البائنة المحتجزة في خزانة أهلها الذين رأينا من الأنسب أن نخفي عنهم هيامنا إلى أن يرضوا مع الوقت بما نرغب فيه. لكن مصير علاقتي الحميمة مكتوب بحروف كبيرة على جبين جولييت.

لوسيو : هل تعني أن هناك طفلاً ؟

كلوديو : أجل، مع الأسف. والآن، نائب الدوق الجديد... لا أدري إن كانت بهرجة سلطته الحديثة العهد تبهره وتعميه، أو إن كان يرى في جهاز الدولة حصان سباق، فما كاد يعتليه حتى همزه بشدّة حتى يشعر بأنه أصبح فارسه. فهل الطغيان كامن في المنصب أم في صاحب السعادة الذي يشغله ؟ أراني ضائعاً في هذا الموضوع. أنا ألاحظ أن الحكم الجديد ينوي نبْش جميع القوانين الجزائية وتحريك الدروع المصديّة المعلقة على الجدران منذ زمن بعيد، لأن عشرين برجاً قد دارت في الفلك بدون أن تستعمل هذه الدروع. ولكي يلهج الناس بذكره، ها هوذا يقصد إيقاظ الشرع النائم المهجور، طبعاً لكي يشيد به الأهلون ويلهجون بالثناء على شخصه الكريم.

لوسيو : أؤكد لك، ورأسك منتصب فوق كتفيك باعتزاز، ان بائعة حليب عاشقة تستميله بتنهّدة واحدة. فأرسل في طلب الدوق واستأنف دعواك لديه.

كلوديو : هذا ما فعلته، لكني لم أعثر عليه. فأرجو منك، يا لوسيو أن تؤدّي لي هذه الخدمة. اليوم ستدخل أختي الدير، وتبدأ تجربتها لتُقبل أو ترفض. فأسألك أن تعلمها بخطورة موقفي. توسّل اليها باسمي كي تلتمس من بعض الأصدقاء المقرّبين للتوسّط لدى نائب الدوق الحاكم الآن، وقل لها أن تضغط عليه بإلحاح، وأنا وطيد الثقة بأن نضارة شبابها لغة صامتة

بليغة تحرّك مشاعر الرجال. من جهة أخرى، لديها فن لا يُستهان به عندما ترغب في تسخير منطقها وكلامها للاستمالة والاقناع.

لوسيو : أدعو الله كي تنجح في مسعاها لتأمين مرادك، وإلّا ظللت تحت رحمة عقاب صارم بدون أن تبلغ شاطئ الأمان الذي يزعجني أن تبعدك عنه رمية زهر لعب غير موفّقة. أنا ذاهب لأراها.

كلوديو : أشكرك يا صديقي لوسيو.

لوسيو : لن يتمّ ذلك قبل ساعتين.

كلوديو : هيا أيها الضابط، إلى الأمام سرّ.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في أحد الأديرة

يدخل الدوق والأخ توماس

الدوق : كلا، يا أبتِ الجليل. أطرد عنك هذه الفكرة، ولا تصدّق أن الحب الهزيل يسعه أن يخترق القلب المحصّن. إذا طلبت منك أن تدلّني على ملجأ سرّي، فلغاية أخطر وأعقد من خطط ومشاريع يرسمها الشباب الملتهب حماساً ؟

الأخ توماس : هل لسعادتك أن تشرح لي مبتغاك ؟

الدوق : أيها الرجل النبيل، لا أحد يعرف أكثر منك إني طوال عمري أحببت حياة العزلة، ولم أحفل بالاجتماعات التي يسيطر عليها المرح والترف والتحدّي الطائش. ولقد أوكلت إلى السيد أنجلو، الرجل الحازم الذي لا يلين، أمر سلطتي المطلقة ونفوذ مقامي الرفيع في فينّا، وهو يظن انني مسافر إلى بولونيا كما روّجت الخبر أمام العموم، وقد صدّقه الجميع في كل مكان. والآن يا سيدي المفضال، هل تريد أن تعلم لماذا تصرّفت هكذا ؟

الأخ توماس : طبعاً، يا مولاي.

الدوق : لدينا قوانين صارمة وشرائع قاسية تضع حدًّا لجميع المغامرات

الجامحة التي وقفت أنا سدًّا منيعاً في وجه انتشارها زهاء أربعة عشر عاماً، وقد حبست نفسي في مقرّي لا أخرج منه حتى الى الصيد. وكما تدرك جيداً، ان الأب المتساهل الرؤوف الذي يربط حزمة القضبان ويكتفي بعرضها أمام أعين أولاده، كخيال في صحراء بدون حراك، يرى ان هذه القضبان لا تلبث أن تمسي موضوع تندّر أكثر مما تكون أداة تأديب. هكذا أعتبر أنا ان الشرائع الليّنة لدى تطبيقها تظل كأنها ميتة بدون مفعول. فالاستهتار يستخفّ بالقوانين والرضيع يلطم مربيته، وعلى اللياقة والوقار ألف سلام وسلام.
الأخ توماس : عليك إذاً يا صاحب السيادة أن تفكّ قيود هذه العدالة المكبّلة، حالما تتيح الظروف، وهذا يتمّ على يدك أفضل بكثير ممّا إذا تولّى هذه المهمة السيد أنجلو.
الدوق : أخشى أن يكون لهذا الحل محاذير عديدة. لقد أخطأت في طريقة إثبات مثل هذه النوايا الصادقة للشعب، فصدر عني بعض التراخي في ضربه ومعاقبته فوق ما تساهلت به أنا بنفسي حياله سابقاً. وقد تغاضيت عن الشرّ وأفلتُّ له العنان بدل أن أتصدّى له بالقصاص الشديد. هذا ما يقلقني يا صديقي، وما دعاني إلى إلقاء هذه المهمّة على عاتق أنجلو، لأنه حين يجد نفسه مضطراً، سيضرب بحزم محاولاً أن لا يخطئ الهدف، بدون أن أتعرّض أنا شخصياً أثناء ابتعادي عن الأنظار للانتقاد اللاذع والتجريح الأليم. ولكي أراقب معالجته الأمور عن كثب، أريد، باعتباري متخفياً في ثوب أحد رهبانك، أن أزور نائبي المصلح وشعبي المطلوب اصلاحه، فأرجو منك أن تؤمّن لي الثوب وأن تدرّبني على ما ينبغي أن أتصرّف بموجبه لأظهر كراهب حقيقي. وسأشرح لك عند الاقتضاء باقي الأسباب التي دعتني الى اتخاذ هذا القرار. فاسمع إذاً ما أقول : ان السيد أنجلو كثير الوساوس، ويحذّر كثيراً اتباع أهوائه. وهو يكاد لا يقرّ بأن دمه يغلي في عروقه أو أن شهيّته إلى الخبز مصدر الحياة أقوى منها إلى الحجر مقرّ الممات وباب السعادة الدائمة. وسأرى إن كانت السلطة ستبدّل أفكاره وأحواله، وألمس حقيقة ما يخفيه تحت ظواهره الهادئة.

(يخرجان)

المشهد الرابع

في الدير

تدخل ايزابيل وفرنسيسكا

ايزابيل : وأنتِ أيتها الراهبة، أليس لكِ امتيازات أخرى ؟
فرنسيسكا : أوليست هذه على قدر المقام ؟
ايزابيل : أجل، في الحقيقة، أنا لا أتمنّى أكثر منها، بل بالعكس أود أن يسود النظام بصورة أنجع وأعمّ على جميع راهبات سنْتكليز.

لوسيو : (ينادي من خلف المسرح) يا جماعة، السلام على أهل هذا المكان.
ايزابيل : مَن ينادي ؟
فرنسيسكا : هذا صوت رجل، يا عزيزتي ايزابيل. أديري مفتاح الباب واسأليه ماذا يريد. فهذا مسموح لك، لا لي، لأنكِ لا تزالين حرّة. وحين تعلنين نذورك، لن يسمح لك بأن تكلمي أي رجل إلّا بحضور الرئيسة. حتى إن تكلمتِ، عليكِ أن لا تريه وجهكِ، وإذا رأى وجهكِ عليكِ أن لا تكلّميه. هو لا يزال ينادي. فأرجو منكِ أن تردّي عليه.

(تخرج فرنسيسكا)

ايزابيل : (تفتح الباب) أحييك يا سيدي، وأتمنى لك كل خير. مَن تكون أيها المنادي ؟
لوسيو : (يدخل) السلام عليك أيتها العذراء، إن كنت كذلك، كما تعلن ورود خدّيكِ. هل لكِ أن تؤدّي لي خدمة وتقوديني إلى ايزابيل المبتدئة في هذا الدير، فأنا آتٍ من قبل أخيها التعيس كلوديو ؟
ايزابيل : لماذا تقول إن أخاها تعيس ؟ أعذرني على هذا السؤال، فأنا شقيقته ايزابيل.

لوسيو : أيتها الحسناء اللطيفة، أخوكِ يهديكِ أحرّ سلامه، ويبلغكِ بكلمتين أنه مسجون.
ايزابيل : يا لشقائي ! لماذا سُجن ؟
لوسيو : لأجل ما، لو كنت أنا أحاكمه، وجّهت إليه الشكر بدل العقاب، لأنه صيّر صديقته أمًّا.
ايزابيل : لا تقصّ عليّ مثل هذه الحكاية المزعجة، يا سيدي.
لوسيو : هذه هي الحقيقة، وإن تكن نقيصتي المألوفة أن أتصرّف كالزرزور، وأن أتمادى في المزاح مع الفتيات، لأن الرزانة بعيدة جداً عن طبعي. أنا لا أريد أن أتسلّى بهذه اللعبة الخطيرة مع كل العذارى. لكني أعتبرك مخلوقة سماوية مباركة، ذات نفس خالدة بالترفّع والإباء، ولا يسوغ التحدّث اليك إلّا بصدق وجدّ وأمانة كأنكِ قديسة.
ايزابيل : أراك تجدّف علي القيم باستهزائك هكذا بي.
لوسيو : لا تقولي هذا أبداً. بالاختصار هذا ما جئت أعلمك به : شقيقك وعشيقته قد تعانقا. ولمّا كان كل ما يتغذّى يمتلئ والأرض الجيّدة تنمّي النباتات وتحوّلها من بذور إلى أزهار ثم إلى ثمار يانعة للقطوف، هكذا أحشاء الفتاة الخصبة لا تلبث أن تنمّ عن حسن الحراثة واكتمال النضوج.
ايزابيل : ومَن هي الفتاة التي سايرته ؟ هل هي نسيبتي جولييت ؟
لوسيو : نعم. وهل هي نسيبتكِ ؟
ايزابيل : أجل، بالتبنّي. أنت تعرف أن التلميذة تتخذ أحياناً اسماً جديداً، بتصرّف صبياني وسلوك غير جدّي.
لوسيو : أجل هي هكذا.
ايزابيل : عليه إذاً أن يتزوجها.
لوسيو : هنا المشكلة. لقد ذهب الدوق في رحلة بطريقة غريبة، وأبقى وجهاء عديدين، وأنا منهم، في انتظار ما يترقّبون من أعمال. لكننا عرفنا ممن يطّلعون على أهمّ أسرار الدولة، أن تصريحاته بعيدة كل البعد عن نواياه الحقيقية. وفي مكانه اليوم، يحكم السيد أنجلو ويمارس السلطة كاملة، وهو رجل ممزوج دمه بثلج ذائب، لا يشعر بأي إحساس عذب أو عاطفة رقيقة، بل

يختنق ويدفن غريزته الطبيعية، في سبيل تطهير نفسه بالتأمّل والصوم. ولكي يكبح جماح الأخلاق والحريات تعوّد منذ زمن طويل أن يداعب القوانين القاسية، كالفأر في حضرة الأسد، وأن يتشبّث بنصوص كالتي تدين أخاك وتحرمه نعمة الحياة. لذا أمر بتوقيف كلوديو ليطبّق عليه القانون بكل صرامة ويجعله عبرة لمَن يُعتبر، ولا أمل بإنقاذه إلّا إذا التمست ذلك من أنجلو بتوسل واستعطاف. هذا هو سبب مجيئي إليك، فلا تتأخري في الوساطة لانقاذ أخيك المسكين.

ايزابيل : وهل يقصد حقاً أن يسلبه حياته.

لوسيو : لقد أصدر حكمه عليه بالاعدام، كما علمت، وما على ضابط الشرطة إلّا تنفيذه.

ايزابيل : آسف للوسيلة الوضيعة التي عليّ أن ألجأ اليها لكي أنقذه من الموت.

لوسيو : جرّبي استخدام السلطة التي تتمتّعين بها.

ايزابيل : سلطتي، أنا أشك...

لوسيو : شكوكنا بنفسنا تجعلنا كالخونة نخسر الانتصار الذي نستطيع أن نحرزه، ونخشى هكذا أن نقوم بأية محاولة. إذهبي وأقنعي السيد أنجلو بأن الفتيات عندما يصمّمن على نيل شيء لا يسع الرجال إلّا أن يكونوا كرماء في تلبية طلباتهن وإرضاء رغباتهن.

ايزابيل : سأرى ما يمكنني فعله.

لوسيو : المسألة تقتضي العجلة.

ايزابيل : سأهتمّ بالأمر حالاً، بعد أن أعلم الرئيسة بالمشكلة. أشكرك بتواضع على هذه الخدمة. فسلّم لي على أخي. وهذا المساء آمل أن أخبره بنجاح مسعاي.

لوسيو : أستأذنك بالانصراف.

ايزابيل : وداعاً أيها الصديق الوفي.

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في قاعة محكمة الجنايات

يدخل أنجلو واسكالوس ثم القاضي الجنائي وضابط الشرطة،
ورجال القضاء والموظفون، فيما أنجلو واسكالوس يتحدّثان

أنجلو : من واجبي أن لا أدع القانون يصير خيالاً جامداً، ننصبه لترويع العصافير الجارحة، فإذا به يظل بدون مفعول ويمسي لها محطاً بدلاً من أن يكون ارهاباً.

اسكالوس : أنا من رأيك. فلنشحذ إذاً خناجرنا، لكن لنستأصل شأفة الشرّ برفق، لا لنطعن غدراً ونميت. آسف أن يكون، لهذا الوجيه الذي أريد تخليصه، والد في غاية النبل. فألتمس العون من سعادتك، وأنا واثق من تمسّكك بأهداب الفضيلة فإذا كنت في فورة عواطفك وجدت الزمان يناسب المكان، والمكان يوافق رغبتك، وإذا كان اتجاه إحساسك قد أدرك غاية أفكارك، ألا تكون مرّةً في حياتك قد ارتكبت الخطأ الذي تعاقب لأجله، واستهدفت العقاب بسببه.

أنجلو : التعرّض للتجربة يا اسكالوس، لا يعني السقوط فيها حتماً. أنا لا أنكر أن بين المحلّفين الذين يتحكّمون بحياة المجرمين يوجد لص أو اثنان، ذنبهم أكبر من ذنب المتّهم. ولربّما اعتمدت المحكمة على ما توصّلت اليه من أدلّة، لاصدار قرارها، فما ذنب القانون، إذا حاكم اللصوص لصوصاً ؟ ببساطة، إذا وجدنا جوهرة على الأرض التقطناها، وإذا لم نشاهدها دسناها بدون أن ندري بوجودها. هكذا لا يسعك أن تعفو عن المجرم لمجرّد كونك أنت ذاتك ارتكبت عين جرمه. إنما قل لي بصراحة، إن ارتكبت هذا الجرم، أنا الذي أحاكمه، هل يتحتّم على حكمي ذاته أن يكون سابقة لادانتي وإعدامي، بدون أن يكون للانحياز دخل في هذه القضية ؟ يا سيدي، لا بدّ لهذا المجرم من أن يموت.

اسكالوس : تصرّف حسب ما تمليه عليك حكمتك.

انجلو : (يرفع صوته) أين ضابط الشرطة؟

ضابط الشرطة : انا هنا انتظر اوامر سعادتك.

أنجلو : اعمل على تنفيذ الحكم بكلوديو غداً في الساعة التاسعة صباحاً. جيئوه بمَن يهوّن عليه ويهيّئه، لأنه وصل إلى آخر طريقه في الحياة.

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس : هيا بنا. سامحه الله وسامحنا جميعاً. البعض يرتفع بالخطيئة، والبعض الآخر يسقط بالفضيلة. البعض يخلص من مجموعة جرائم بدون أن يكون مسؤولاً عن واحدة منها، والبعض الآخر يُحكم عليه بسبب ذنب طفيف واحد فقط.

يدخل كود والمعلم رغوة وبومبي وبعض رجال الشرطة

كود : (للشرطيين) هيا خذوه. فإن ظل الناس في هذه الجمهورية، حتى الصالحون منهم، يعيشون فساداً في البيوت العامة، أكون أول مَن يتجاهل القوانين... خذوه.

أنجلو : (لكود) ما اسمك يا سيدي، وما حاجتك ؟

كود : أنا، يا صاحب السعادة، حارس الدوق وأسمّي كود. واستناداً الى

العدالة يا سيدي، آتي إلى سيادتك بمحسنين تقيّين.

(يشير الى المعلم رغوة وبومبي)

أنجلو : محسنين ؟ محسنين من أي نوع ؟ ألا يكونان من المفسدين ؟

كود : لا أعلم يا سيدي، مَن هما. لكني على يقين بأنهما نذلان لا غشّ فيهما، وبعيدان عن أي عمل خيّر يصدر عن رجل صالح.

اسكالوس : هذه مقدّمة ممتازة تأتي من شرطي قدير.

أنجلو : هيا قل لي ما هي أوصافهما ؟ أأنت تُدعى كود ؟ لماذا لا تتكلم يا كود ؟

بومبي : هو لا يستطيع يا سيدي، لأنه شخص مشبوه.

أنجلو : (لبومبي) مَن أنت إذاً، يا هذا ؟

كود : هو، يا سيدي، أجير حانة، نصف قوّاد. هو فتى مفتول السواعد في خدمة امرأة متهتّكة من أحد البيوت العامّة، وقد سقطت في إحدى الضواحي كما يُقال، وهي الآن تتعاطى مهنة الدعارة في أكره بيت على ما أظن.

اسكالوس : كيف عرفت ذلك ؟

كود : هي زوجتي، يا مولاي. وأنا أكرهها أمام الله وأمام سيادتك...

اسكالوس : ماذا تقول ؟ أهي زوجتك ؟

كود : نعم، يا مولاي. هي، والحمد لله، من أشرف النساء.

اسكالوس : أكذلك أنت تكرهها ؟

كود : أجل، يا مولاي. أكرهها أنا وزوجتي أيضاً. ولو لم يكن ذاك البيت وكراً للدعارة لكان لا بأس به. على كل حال هو بيت فساد.

اسكالوس : كيف عرفت ذلك، أيها الشرطي ؟

كود : بواسطة السيدة المرهقة، يا مولاي. وقد بصقت في وجهه الوقح لأنه عاندها.

بومبي : هذا غير صحيح، يا سيدي.

كود : (يشير الى أنجلو، ويشير اسكالوس إلى بومبي) أثبت قولك أمام هذين الشاهدين أيها الشريف المتطاول، أثبت قولك.

اسكالوس : (لأنجلو) هل سمعت كيف غيّر كلامه ؟

بومبي : كانت زوجته حبلى حين دخلت، يا سيدي، وكانت تشتهي الخوخ المطبوخ، ولم يكن لدينا منه في تلك الأيام البعيدة سوى حبّتين مصفوفتين في صحن حلوى، كل واحدة منهما ثمنها ستة فلوس. لا بدّ لسيادتك من أن تكون أبصرت مثل هذه الحصون، فهي ليست من النوع الصيني، لكنها مع ذلك جميلة.

اسكالوس : هيّا أكمل، فالصحن لا أهمية له، يا صديقي.

بومبي : كلا، بالفعل، يا سيدي، نظير أي وعاء آخر. أنت على صواب. لكن في الحقيقة كما قلت لك، هذه السيدة كود كانت حبلى وبطنها كثير الانتفاخ، وكانت كما قلت تشتهي الخوخ جداً. وكما قلت أيضاً لم يكن في الصحن سوى حبتين. وكان المعلم رغوة الحاضر هاهنا قد أكل القطع الأخرى، كما قلت، وقد دفع ثمنها كما قلت بصدق. بالفعل كما تعرف، أيها المعلم رغوة لم أستطع أن أردّ لك الفلوس الستة.

المعلم رغوة : كلا، فعلاً.

بومبي : حسناً. كنت إذاً على وشك أن أكسر بزرة الخوختين المذكورتين.

المعلم رغوة : نعم، فعلاً.

بومبي : حسناً، كنت أقول لك إذا تذكرت، ان فلاناً أو فلاناً لن يشفى أبداً من هذه العلة إلّا إذا أتبع نظام حمية معينة في الأكل، كما قلت لك.

المعلم رغوة : كل هذا صحيح.

بومبي : إذاً، كما قلت لك.

اسكالوس : أنت غبي مملّ. أسألك أن تعلمني بما جرى لامرأة كود موضوع هذه الشكوى ؟ أخبرني ماذا جرى لها ؟

بومبي : لا يمكنك يا صاحب السعادة أن تدرك ذلك.

اسكالوس : يا سيدي، أنا لا أنوي إدراكه.

بومبي : مع ذلك يا مولاي ستدركه إذا شئت يا صاحب السعادة. فأستحلفك أن تنظر بعين الاعتبار إلى المعلم رغوة الحاضر ها هنا لأنه رجل يربح ثمانين ليرة في السنة، مات أبوه في يوم عيد، أوليس كذلك أيها المعلم رغوة ؟

المعلم رغوة : أجل في مساء العيد.

بومبي : حسناً حسناً. أعتقد بأن هذه حقائق هامّة. هو، يا سيدي، كان جالساً، كما قلت، على كرسي غير عالٍ، يا مولاي. وكان ذلك في قاعة « العنقود » حيث بالفعل (يلتفت إلى المعلم رغوة) كنت تحب أن تجلس أيها المعلم رغوة، أليس كذلك ؟

المعلم رغوة : نعم أحبها، لأنها غرفة مفتوحة وصالحة للتسلية.

بومبي : حسناً حسناً، هذه حقائق هامّة.

أنجلو : (لأسكالوس) وهي طويلة كأنها ليلة من ليالي الشتاء، بل من أطول الليالي. أستأذنك بالانصراف، وسأعلمك بالسبب فيما بعد، آملاً أن تجده صالحاً لتضربهم جميعاً.

اسكالوس : كنت أترقّب ذلك. السلام على صاحب السيادة (يخرج أنجلو) والآن يا سيدي أكمل. ماذا جرى لامرأة كود ؟ أكرّر عليك السؤال مرة أخرى.

بومبي : مرة أخرى ؟ يا سيدي، لم يفعل لها أحد شيئاً إلّا مرة واحدة.

كود : (لأسكالوس) أستحلفك، يا سيدي. اسأله، ماذا فعل هذا الرجل لزوجتي ؟

بومبي : أستحلفك، يا صاحب السيادة، أن تسألني ذلك.

اسكالوس : إذاً، ماذا فعل هذا السيد لزوجته ؟

بومبي : (يشير الى المعلم رغوة) أستحلفك يا مولاي أن تتأمّل في محيا هذا الوجيه. يا عزيزي المعلم رغوة، أنظر الى صاحب السعادة. هذا لخيرك. هل تلاحظ وجهه يا مولاي ؟

اسكالوس : نعم، يا سيدي، ألاحظه جيداً.

بومبي : أستحلفك بأن تلاحظه جيداً جيداً.

اسكالوس : طبعاً هذا ما أفعله.

بومبي : ألا ترى شيئاً سيّئاً في محيّاه، يا سيدي ؟

اسكالوس : كلا، كلا.

بومبي : أنا أفترض، ويدي على الكتاب الكريم، ان وجهه أبشع ما فيه. فكيف أمكن المعلم رغوة أن يُلحق شراً بزوجة الشرطي.

كود : أولاً، البيت محترم. ثم، هذا الفتى محترم، وأخيراً عشيقته امرأة محترمة.

بومبي : بذمّتي، يا مولاي، أؤكّد لك ان زوجته أشرف منا جميعاً.

كود : أنت تكذب أيها الحقير، أنت تكذب. سيأتي يوم لن تكون فيه محترمة أبداً بين الرجال والنساء والأولاد.

بومبي : لقد كانت محترمة، يا سيدي، قبل أن يتزوجها.

اسكالوس : (ينظر إلى كود، ثم الى بومبي) ما هو المعقول أكثر من سواه هنا، أكلام القاضي أم المذنب ؟ (لكود) ما قولك أنت ؟

كود : (لبومبي) يا شقيّ، يا حقير، يا مجرم. أنا محترم قبل أن أتزوجها. وكم كنا نتبادل الاحترام معاً ! أرجو أن تنظر اليّ يا صاحب السعادة كشرطي أمين في خدمة الدوق. أثبت ذلك أيها المحتال، أو أرفع عليك دعوى استرداد شرف.

اسكالوس : إذا صفعك على خدّك، يمكنك أن ترفع عليه دعوى تحقير.

كود : أشكرك يا صاحب السعادة. أمّا أنت أيها الوقح، ألا ترى ماذا سيحل بك ؟ أكمل يا حقير، أكمل.

اسكالوس : (للمعلم رغوة) أين وُلدت يا صديقي ؟

المعلم رغوة : هنا في فينّا، يا مولاي.

اسكالوس : هل يبلغ دخلك ثمانين ليرة في السنة ؟

المعلم رغوة : أجل يا سيدي.

اسكالوس : هذا يكفي. (لبومبي) ما هي صنعتك يا سيدي ؟

بومبي : أجير حانة، وأنا ابن أرملة بائسة.

اسكالوس : وما هو اسم عشيقتك ؟

بومبي : السيدة المرهقة.

اسكالوس : هل كان لها أكثر من زوج واحد ؟

بومبي : تسعة، يا سيدي، والاخير دعاها المرهقة.

اسكالوس : تسعة أزواج ؟ اقترب أيها المعلم رغوة. أنا لا أنصحك بأن تعتاد على أصحاب الحانات، لأنهم سيسلخون جلدك. وأنت تذهب بهم

إلى المشنقة. هرول الآن ولا تدعني أسمع بذكرك بعد اليوم.

المعلم رغوة : أشكرك يا صاحب السعادة. من جهتي أنا، لن أدخل بعد الآن إلى أية حانة كي لا يسلخ أحد جلدي.

اسكالوس : حسناً. هذا يكفي، أيها المعلم رغوة. الوداع (يخرج المعلم رغوة لبومبي) تعال إلى هنا يا صاحب الحانة، اقترب. ما اسمك ؟

بومبي : اسمي بومبي.

اسكالوس : وأيضاً.

بومبي : ذو المؤخرة.

اسكالوس : أجل، مؤخرتك أكبر ما فيك، وبالمعنى الحيواني، أنت بومبي الكبير، أنت بومبي القوّاد، وإن ادّعيت انك صاحب حانة، أليس كذلك ؟ هيا قل لي الحقيقة، لأن هذا أوفق بالنسبة اليك.

بومبي : بالله عليك، يا سيدي، أنا رجل مسكين، أريد أن أعيش.

اسكالوس : كيف تريد أن تعيش يا بومبي. بأن تكون قوّاداً ؟ كيف ترى هذه المهنة يا بومبي ؟ هل هي عمل شريف ؟

بومبي : نعم، يا سيدي، إذا سمح بها القانون.

اسكالوس : القانون لا يسعه أن يسمح بها يا بومبي، ولن يسمح بها أبداً في فينّا.

بومبي : هل سعادتك مصمّم على تشويه شبان المدينة بخصيهم ؟

اسكالوس : لا، يا بومبي.

بومبي : في هذه الحالة، يا سيدي، وحسب رأيي المتواضع، لا بدَّ من أن يصلوا إلى غايتهم. فإذا أردت يا صاحب السعادة أن تتخذ التدابير اللازمة بحق المومسات الفاجرات الجسورات، فلا مجال لأن تخشى القوّادين.

اسكالوس : أؤكّد لك انني اتخذت التدابير اللازمة ومن جملة ما تنطوي عليه قطع الرأس والشنق إذا اقتضى الأمر.

بومبي : إذا قطعت الرؤوس أو شنقت فقط مدة عشر سنين، فإن معالجة هذا المشكل ستحتاج إلى دفع عمولة للحصول على رؤوس جديدة. أمّا إذا غابت هذه التدابير عشر سنين عن فينّا، استأجرت أنا أجمل منزل في

المدينة لسكني بمعدل ستة فلوس عن كل قدم من الأرض، وإذا عشت كفاية لترى ذلك تذكّر ما أتنبّأ به الآن أنا بومبي.

اسكالوس : شكراً، يا بومبي الخبير. فمقابل نبوءتك إسمع النصيحة التي أسديها اليك : لا ترني وجهك، ولا تظل هنا مهما كان السبب وجيهاً، ولا تسكن حتى حيث أنت مقيم في الوقت الحاضر. وإلّا لاحقتك، يا بومبي، إلى كوخك، وكنتُ بالنسبة اليك كقيصر الرهيب، ولنتكلم بصراحة يا بومبي، لجلدتك جلداً. سأغضّ النظر عن دناءتك هذه المرة، فالوداع.

بومبي : أشكر سيادتك على نصيحتك الغالية. ولكن إلى أي مدى سأتبعها، هذا تحدّده الأجساد والخطوط والرغبات.

« لا يمكن أن تجلدني، ان على سائق العربة أن يجلد حصانه بالسوط لأن السوط لن يطرد، من القلب المحبّ، ميلاً متأصلاً وبمهنته مربوط ».

(يخرج)

اسكالوس : تعال الى هنا أيها الشرطي كود، اقترب أيها المغفّل. كم مضى عليك من الوقت وأنت تمارس مهنتك كرجل أمن ؟

كود : سبعة أعوام ونصف، يا سيدي.

اسكالوس : لقد حكمت عليك من جرّاء راحتك في هذه الوظيفة، بأنك تمّمت واجباتك فترة من الزمن، تقول أنت انها تناهز سبعة أعوام متوالية.

كود : ونصف، يا سيدي.

اسكالوس : يا للأسف، كم أتعبك هذا العمل ! فمن غير المعقول أن يفرض عليك هذا الواجب هكذا طويلاً، وأن لا يوجد رجال غيرك أهل للقيام به.

كود : والله يا سيدي قليلون هم الذين لديهم الكفاءة في هذا المجال. ومَن يقع عليهم الاختيار سيسرّهم أن يراجعوني لأقوم مقامهم. وأنا مستعد لان أفعل ذلك لقاء بعض المال، وأن أتكفّل بكل شيء.

اسكالوس : اسمع. عليك أن تقدّم لي أسماء الستة أو السبعة القادرين على ذلك، في جوارك.

كود : أقدّمها لسعادتك ؟

اسكالوس : أجل، لي أنا. الوداع. (يخرج كود، للقاضي) كم هي الساعة الآن ؟

القاضي : الحادية عشرة، يا سيدي.

اسكالوس : أدعوك الى العشاء عندي.

القاضي : أشكرك بتواضع.

اسكالوس : موت كلوديو. يحزنني. لكن لا حيلة لي بمنعه.

القاضي : السيد أنجلو صارم جداً.

اسكالوس : هذا ضروري. لأن الرفق غاب عن الوجود، وإن بدا الأمر عكس ذلك في أغلب الأحيان. فالعفو دائماً، كما يُقال، يولّد التكرار. مع ذلك، مسكين كلوديو لا سبيل لانقاذه. هيّا بنا، يا سيدي.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في قصر أنجلو

يدخل ضابط الشرطة وأحد الخدم

الخادم : لقد ذهب ليستمع الى قضية، وسيعود في الحال، فأخبره بمجيئك.

ضابط الشرطة : أرجو منك أن لا تنسى (يخرج الخادم) أريد أن أعرف قراره، فلربما لأن. يا للأسف، هو لم يعترف إلّا بغلطة مشؤومة واحدة. فكل الطبقات وجميع الأعمار سرت اليها العدوى من هذه الرذيلة، ولا بدَّ إذاً لاستئصالها خوفاً من أن يموت.

(يدخل أنجلو)

أنجلو : ماذا تريد، يا ضابط الشرطة ؟

ضابط الشرطة : هل هي مشيئتك أن يُعدم كلوديو غداً ؟

أنجلو : ألم أؤكّد لك ذلك ؟ أوَليس في حوزتك الأمر اللازم ؟ فلماذا هذا السؤال مجدّداً ؟

ضابط الشرطة : أخشى أن أستعجل الأمور. لقد رأيت القضاء مراراً يندم على ما ينفّذ من قراراته.

أنجلو : هيّا، أنا آخذ كل المسؤولية على عاتقي. فقم بواجبك، أو إستقل من هذه الوظيفة، وأنا مستعد للاستغناء عنك واستبدالك.

ضابط الشرطة : ألتمس عفوك يا صاحب السيادة. ماذا تريد أن أفعل بالمنتحبة جولييت ؟ وقد أشرفت على آخر أيامها لتلد.

أنجلو : خذها الى مكان أنسب من هنا، وبدون إمهال.

(يعود الخادم)

الخادم : جاءت شقيقة المحكوم عليه تطلب مقابلتك.

أنجلو : هل له أخت ؟

ضابط الشرطة : أجل يا مولاي الكريم. وهي صبيّة متمسّكة بأهداب التقوى، تنوي دخول الدير قريباً، إن لم تكن قد دخلته.

أنجلو : (للخادم) دعها تدخل الى الدير (يخرج الخادم. لضابط الشرطة) إسهر أنت على أخذ المتهتّكة من هنا. أعطوها كل ما يلزمها، لكن بدون إكثار. وسأصدر الأوامر بهذا المعنى.

(يدخل لوسيو ومعه ايزابيل)

ضابط الشرطة : (يحيّي بابتسام) حفظك الله يا صاحب السيادة.

أنجلو : ابقَ برهة. (لايزابيل) أهلاً ومرحباً بك. ماذا تريدين ؟

ايزابيل : جئت أتوسّل اليك يا صاحب السعادة، وأرجو منك أن تستمع اليّ.

أنجلو : وما هي قضيتك ؟

ايزابيل : أنا آبى أن أتدخّل في مسألة أكره وقوعها في قبضة العدالة، وما كنت أتوسّط لأجلها لو لم أكن مضطرّة، ولو لم تتنازع في رأسي رغبتي في انتصار الحق واحتقاري فوز الرذيلة.

أنجلو : قولي لي، ما هي ظلامتك ؟

ايزابيل : لي أخ محكوم عليه بالاعدام. فجئت أستحلفك بأن تنفّذ الحكم بالجرم لا بأخي.

ضابط الشرطة : (على حدة) كان الله في عونك لتحرّكي عواطفه الجامدة.

أنجلو : وكيف تزيدينني أن أحكم على الجرم لا على مرتكبه ؟ إن كل جرم مرذول حتى إن لم يُرتكب، ومنصبي لا يبقى له معنى إذا لم يقمع الجرم الذي يعاقب عليه القانون، وتُرك مرتكبوه أحراراً يسرحون ويمرحون.

ايزابيل : يا للقوانين العادلة والمنصفة ! لقد منّ الله عليَّ بأخ... حفظك الله يا صاحب السعادة... (تستعد للانسحاب).

لوسيو : (لايزابيل بصوت خافت) لا تنسحبي هكذا عودي إلى حملتك. توسّلي إليه، اركعي أمامه وتعلّقي بأذيال ثوبه. أنتِ باردة جداً. لا بدَّ لك من الحماسة، وعليك أن لا تتوسّلي باسترخاء. أقول لك، عودي إلى مطلبك بإلحاح.

ايزابيل : هل يجب عليه أن يموت ؟

أنجلو : لا بدَّ من معاقبته، يا ابنتي.

ايزابيل : أعتقد بأنك قادر على مسامحته بدون أن تُغضب بعفوك هذا، لا أهل السماء ولا أهل الأرض.

أنجلو : أنا لا أريد العفو.

ايزابيل : أنت تستطيع الصفح إن أردت.

أنجلو : اعلمي ان لا طاقة لي على ما لا أريده.

ايزابيل : لكن، ألا تريد أن تفعل ذلك بدون أن تضرَّ بأحد من الناس، لا سيّما إذا كان قلبك يختلج بأقل شفقة عليه مما أشعر أنا به ؟

أنجلو : صدر الحكم عليه وفات الأوان.

لوسيو : (لايزابيل بصوت خافت) أنتِ باردة جداً. تحمّسي وألحّي.

ايزابيل : لماذا فات الأوان ؟ لا، لا. أنا إذا قلت كلمة أستطيع أن أسحبها. صدّقني. لا شيء كالرفق يزيد هيبة تصرّفات الكبار، لا تاج الملك ولا خنجر نائب الدوق ولا عصا الماريشال ولا ثوب القاضي. لو كان المحكوم في محلّك وكنت أنت في مكانه لكنت ضعفت مثله وزلّت قدمك، ولظل هو متصلّباً متشبّثاً نظيرك.

أنجلو : أرجو منك أن تنسحبي.

ايزابيل : لو شاءت السماء أن تمنحني جبروتك وأن تكون أنت المتوسّل

عوضاً عني، هل تريد أن تجري الأمور هكذا ؟ لا، لكنت رأيت كيف يتعنّت القاضي وكيف يتذلّل المسجون.

لوسيو : (على حدة) هكذا تتوصّلين إلى هزّ عواطفه. لأنك نقرت الوتر الحسّاس.

أنجلو : أخوك حكم عليه القانون، وأنت تضيّعين وقتك في ثرثرة عقيمة.

ايزابيل : يا للأسف. في الماضي كانت جميع النفوس المريضة محكوم عليها، فوجد الطبيب الدواء لمعالجة الداء الذي تشكو منه. لكن ماذا يحلّ بك اليوم إذا حكم عليك مصدر كل عدالة لتصلّبك هذا ؟ أرجو أن تفكر بذلك فتشعر حينذاك بعامل الشفقة يهزّ نياط فؤادك كأنك رجل جديد حسّاس.

أنجلو : ما عليك إلّا الاذعان، يا ابنتي الجميلة. فالقانون لا أنا، الحاكم على أخيك. ولو كان نسيبي أو أخي أو ابني لما تغيّر شيء بالنسبة اليه. لا بدَّ له من أن يموت غداً ليكفّر عن ذنبه.

ايزابيل : غداً ؟ هكذا بسرعة ؟ أستحلفك أن تنقذه، لأنه غير متأهّب للموت. نحن حتى لأجل غذائنا لا نقتل العصفور إلّا في موسم الصيد. فهل تسنّى لنا أن نخدم الخير بخشونة تصرّفنا ؟ يا مولاي الكريم القادر، أرجو منك أن تتأمّل في الأمر وتتساءل عمّن سواه نفّذ فيه حكم الاعدام لأجل هذه الزلّة التي يرتكبها الكثيرون ؟

لوسيو : (على حدة) هذا كلام مقنع، ثابري على هذه الوتيرة.

أنجلو : مهما غفا القانون فإنه لا يموت. وكل هؤلاء المجرمين ما كانوا ارتكبوا ذنوبهم لو نال كل منهم نصيبه من العقوبة التي ينصّ عليها القانون. من الآن وصاعداً ستسهر العدالة وتقاصص جميع المخالفين. إذ بسبب التهاون والتسامح تفاقمت الجرائم، وفي المستقبل لن يتسنّى للناس أن يعيشوا بأمان إذا لم يوضَع حدّ للشر.

ايزابيل : مع ذلك ألتمس منك أن ترأف بحال أخي.

أنجلو : ان تطبيقي القانون هو في حدّ ذاته عمل رحمة، لأني أشفق على مَن لا أعرفهم. أمّا التساهل فيمهّد السبيل لتفشّي الفساد والاجرام. ومَن يكفّر عن ذنبه لا يسعه أن يعاود الكرّة ويرتكب إثماً جديداً. وأنتِ يجب أن

تكوني أول المقتنعين بما أقول. فأخوك يجب أن يموت غداً، وعليك أن تذعني للواقع.

ايزابيل : هكذا تعتبر نفسك أول مَن يطبّق الحكم، وهو أول مَن يزهق روحه. جميل جداً أن يتحلّى الانسان بقوة جبّارة إنما كل الظلم في التذرّع باستخدام هذه القوة كجبار عنيد.

لوسيو : (على حدة) هذا قول سديد.

ايزابيل : لو كان عظماء هذا العالم قادرين نظير يهوا ذاته لما ارتاح يهوا أبداً. لأن أضعف رجال الدين يملأون سماءه بالرعود ولا شيء سوى الرعود. فيا سماء الرحمة متى ترسلين بروقك الساطعة لتحرقي السنديانة المعقّدة، المتمرّدة بدل الشهيد المسكين. فالويل للانسان العنيد المسلح بسلطته الهزيلة والعارف أقل من سواه بضعف كيانه، ويتصرّف كقرد غاضب يملأ الأرض والسماء بمهازله السمجة، ويُبكي الملائكة الأطهار، ويكتسب احتقارنا ويثير ضحك أهل الأرض الهالكين.

لوسيو : (على حدة) كوني صامدة ولا تليني. فأنا أرى أن لا بدّ له من تراجعه.

ضابط الشرطة : أتمنى أن تلهمها السماء ما تؤثر به على فؤاده.

ايزابيل : أنا لا أعرف كيف أقيّم أعمال أخٍ كشقيقي. فالكبار يمكنهم أن يسخروا من الأبرار، وتُعتبر جسارتهم دليلاً على ذكائهم. إنما مَن يمالئ شخصاً دونه مقدرة يدنّس حقوق غيره من البشر.

لوسيو : (على حدة) أنتِ على صواب أيتها الفتاة الذكية فثابري على إلحاحك.

ايزابيل : ان ما يعتبره الضابط كلمة غضب مني، هو على لسان الجندي مثلاً إهانة فظيعة.

لوسيو : (على حدة) كيف عرفت كل هذا ؟ أكرّر عليكِ، ثابري على إصرارك.

أنجلو : لماذا تلاحقينني بهذه الحِكَم ؟

ايزابيل : لأن السلطة، مع انها غير معصومة عن الغلط نظيرنا، تحمل في

ذاتها نوعاً من الدواء الذي يشفي من داء العظمة وصغائرها. حاسب نفسك واقرع صدرك واسأل قلبك إن كان لا يعترف بما يشبه جريرة أخي. وإذا أحسّ بضعف مماثل، فامنعه عن رشق أخي من خلال شفتيك بحرمانه الحياة بحكم الاعدام الذي تصرّ سيادتك على تنفيذه.

أنجلو : (على حدة) هي تتكلم بمنطق سليم يؤثر على تفكيري المتردّد (لايزابيل بصوت مرتفع) الوداع (يبادر الى الانسحاب)

ايزابيل : يا مولاي الكريم، أسألك أن تعود.

أنجلو : دعيني أفكر، وعودي غداً.

ايزابيل : اسمع ما أريد أن أستميلك به، يا مولاي الكريم. إلتفت اليّ.

أنجلو : كيف تستميلينني ؟

ايزابيل : يمنحك هبات تتقاسمها أنت والسماء.

لوسيو : (على حدة) لولا هذا القول، لأفسدتِ كل ما قلته الى الآن.

ايزابيل : بإهدائك، لا قِطَع عملة ذهبية، أو أحجاراً كريمة يُقدَّر ثمنها حسب الأهواء، بل صلوات حارّة تصعد إلى السماء وتتغلغل إلى الأعماق قبل الشمس المشرقة، صلوات نفوس طاهرة تتلوها عند الفجر عذارى نذرن صيام الأفكار التي لا تشغلها أية متعة زمنية.

أنجلو : حسناً تعالي غداً لمقابلتي.

لوسيو : (لايزابيل بصوت خافت) هيا نذهب، هيا بنا.

ايزابيل : حفظك الله، يا صاحب السعادة.

أنجلو : (على حدة) آمين. لأني على شفير هاوية التجربة التي تمنع عني حتى الصلاة النيّرة.

ايزابيل : في أية ساعة تريد أن آتي اليك غداً، يا صاحب السعادة؟

أنجلو : في أي وقت شئت، قبل الظهر.

ايزابيل : حرسك الله، يا صاحب السيادة (تخرج بصحبة لوسيو وضابط الشرطة).

أنجلو : أجل، ما أكرمك وأكرم فضيلتك. ما هذا ؟ ما هذا؟ هل الذنب ذنبه أو ذنبي ؟ مَن الجاني ؟ أهي المغرية، أم أنا ضحيّة الاغراء ؟ طبعاً ليست

هي، لأنها لا تنوي أن تغريني، بل أنا المعرَّض للشمس المشرقة على البنفسجة التي تفوح منها رائحة الزهرة، وعلى نتانة الجيفة التي تزكم برائحتها الأنوف. أيتسنّى للعفة أن تروي حواسنا أكثر من أنوثة المرأة ؟ عندما يكون لدينا كذا مساحات من الحدائق الغناء، هل نرغب في هدم معبد الطبيعة لنقيم مكانه مباذلنا ؟ تبًّا لك إذاً. ماذا عليك أن تفعل يا أنجلو ؟ هل تشتهيها في الاثم لأجل ذات العوامل التي تجعل منها صبيّة فاضلة ؟ ليعشْ أخوها. فاللصوص مسموح لهم بالسرقة عندما لا يتورّع القضاة أنفسهم عن السلب والنهب. ماذا جرى لي ؟ هل تدلّهت بحبها إذاً، واشتهيت أن أطرب بصوتها، وأن أشبع نظري من مفاتنها ؟ هل أنا في حلم ؟ تبًّا للضجر الغاشم الذي يهاجم القديس ويحاصره فيتشبّث هذا بالقدّيسة كطعم لذيذ. التجربة أخطر المغريات التي تهيج إحساساتنا لنضعف ونسقط صرعى الهوى مضحّين بالفضيلة. لم تتوصّل الدعارة بإغراءاتها المتعدّدة ولا بجاذبها الطبيعي إلى تحريك عواطفي مرة واحدة، لكن هذه العذراء الفاضلة الخاشعة سيطرت على كل كياني، وحتى الآن رغم كل ما بلغني عن جنون رجال يعشقون لم يصدر عني حيالها سوى الابتسام والتعجّب.

(يخرج)

المشهد الثالث

في السجن

يدخل الدوق بلباس راهب، ويتبعه ضابط الشرطة

الدوق : أحييك أيها الضابط. أعتقد ان هذه هي رتبتك.
ضابط الشرطة : أجل أنا ضابط الشرطة. ماذا تريد أيها الأخ الفاضل.
الدوق : أنا رهينة محبتي للناس، وقد نذرت حياتي لخدمتهم. لذا جئت

أزور النفوس المنكوبة في هذا السجن. فأرجو أن تسمح لي بمقابلة نزلائه ومساعدتهم على تحمّل بلواهم، وأحرضهم على التوبة وأرعاهم بمقتضى رسالتي السماوية.

ضابط الشرطة : طبعاً أريد أن أسهّل لك مهمّتك على قدر الإمكان.

(تدخل جولييت)

ها هي إحدى ضيفات هذا السجن، الآنسة التي سقطت في اللهيب وهي تحوم كالفراشة حول النار، وقد سبّبت لها زلّتها انتفاخاً في البطن غير مستور. هي حامل، وشريكها المحكوم عليه شاب يبدو انه مستعد لتكرار ما أقدم عليه أكثر من تأهّبه للموت تكفيراً عن زلّته.

الدوق : ومتى عليه أن يموت ؟

ضابط الشرطة : غداً صباحاً على ما أعتقد (لجولييت) لقد هيّأت كل شيء. فانتظري قليلاً، ليؤتى به إليك.

الدوق : هل أنت نادمة يا ابنتي، على الخطيئة التي تحملين ثمرتها ؟

جولييت : أجل، وأنا أواجه عارها بخضوع تامّ.

الدوق : سأعلّمك كيف تحاسبين ضعفك، لتعرفي إن كانت ندامتك متينة أو هزيلة.

جولييت : سأتعلم راضية.

الدوق : أتحبين الرجل الذي سبّب لك شقاءك ؟

جولييت : نعم كما أحبَّ المرأة التي سبّبت له تعاسته ونفّرته منها.

الدوق : هكذا يظهر انكما ارتكبتما هذا العمل المشين باتفاق متبادل.

جولييت : طبعاً يا سيدي.

الدوق : اذاً خطيئتك أفظع من خطيئته.

جولييت : أنا أعترف بذلك آسفة، يا أبتِ.

الدوق : حسناً يا بنيّتي. لكن إحذري من أن يكون سبب ندامتك خجلك من العار الذي جرّته عليك خطيئتك. يجب أن تكون ندامتنا نابعة من أعماقنا لا طمعاً بأية مصلحة. إذ في هذه الحالة لا تكون توبتنا حباً بالسماء بل خوفاً من ...

جولييت : أنا نادمة على خطيئتي لأنها شرّ، وأتقبّل عارها متذلّلة.
الدوق : ثابري على هذه النيّة. لأن رفيقك على ما علمت لا مناص له من الموت غداً.وسأذهب إليه لأزوّده بنصائحي. فليكن الله في عونك.

(يباركها ويخرج)

جولييت : سيموت غداً ! تبًّا للقوانين الجائرة التي تبقيني على قيد الحياة وقد أضحى تمتّعي بها نزاعاً فظيعاً في أعماق كياني.
ضابط الشرطة : كم أرثي لحالها !

(يخرجون)

المشهد الرابع

في قصر أنجلو

يدخل أنجلو

أنجلو : عندما أريد أن أصلّي وأفكّر، تتيه خواطري وابتهالاتي بين غرض وآخر. ولا يصل الى السماء من كلماتي إلاّ الجوفاء. بينما مخيّلتي التي لا تسمع ما يلهج به لساني، أراها مستقرّة على ايزابيل. وعلى شفتي وأنا أتمتم اسمها أحسّ في قلبي بوطأة الشرّ المتأصل في أعماقي وبرغباتي المتزايدة. أمّا القانون الذي حصرت فيه كل دراساتي، فأجده ككتاب مفتوح بات في نظري لكثرة تكرار تلاوته، باهت الكلمات معقّد المعاني. ورصانتي التي كانت ينبوع فخري ومجدي لا أريد أن يسمعني أحد حين أعترف في قرارة نفسي بأنها تهلهلت وأضحت كريشة في مهب الرياح. يا لكرامتي المهدورة، يا لمظهري الخدّاع ! كم مرة بفضل تستّري وتبرقعي قد أثرت خوف المجانين وكبّلت وعي العقلاء بسلاسل صلاحي الكاذب تبًّا لهذا الجسد الذي يظل دائماً ممرّغاً في التراب. ولو كتبت كلمة ملاك على قرن الشيطان، لن

يغترّ بها انسان نزيه ويحسبها ريشة طاووس تزيّن قبعة ابليس اللعين.

(يدخل أحد الخدم)

مَن الآتي الى هنا ؟

الخادم : راهبة صبيّة تُدعى ايزابيل، تطلب مقابلتك.

أنجلو : أدخلها إليَّ (يخرج الخادم) يا إلهي! لماذا يخفق قلبي هكذا، ويسرع دمي في عروقي وأرتخي في مكاني كأني مخلّع، فتتوقف سائر أجهزة بدني عن الحركة ؟ هكذا يتحكّم الجمهور برجل مُغمى عليه، ويبادر إلى إغاثته ويؤمّن له الهواء المنعش الذي يعيد اليه الحياة. وهكذا رعايا الملك المحبوب يغادرون مشاغلهم بدافع المودّة الكئيبة ويتقاطرون عليه حتى يكاد ما يبذلونه في سبيله من إخلاص مصطنع يجعله منبوذاً كالأجرب.

تدخل ايزابيل

يا لها من فتاة رائعة !

ايزابيل : جئت لأتطلّع على ما قرّ عليه رأيك يا مولاي.

أنجلو : وددت أن تعرفيه بدون أن تسأليني. لأن أخاك لا يمكنه أن يعيش.

ايزابيل : هكذا إذاً حكمك لم يتبدّل. حفظك الله على كل حال، يا صاحب السيادة (تتأهّب للانسحاب).

أنجلو : على كل حال، يستطيع أن يظل حياً بعض الوقت بقدر ما يتسنّى لي ولك. مع ذلك، لا بدَّ من أن يموت.

ايزابيل : بموجب حكمك طبعاً.

أنجلو : أجل.

ايزابيل : متى ؟ أستحلفك أن تقول لي، كي أتيح له في هذه الأثناء مهما بلغت المهلة من طول أو قصر، أن يتدبّر أمر نفسه ويصونها من الضياع.

أنجلو : تبًّا لرذائله المنحطة ! يجمل بي أن أعفو عمّن سلب حياة إنسان غدراً، ولا أن أغضّ الطرف عن الغرق في مثل هذه الملذّات المعيبة التي تشوّه الصورة الالهية وتقلبها الى أشكال شيطانية محرّمة. كم يسهل على المرء أن يهدم بطريقة غير شرعية وجوداً شرعياً، أكثر من أن يصهر المعادن في بوتقة محرّمة لصنع أصناف غير قانونية.

ايزابيل : هكذا كُتب في السماء وعلى الأرض.
أنجلو : أهذا رأيك ؟ إذاً دعيني أعانقك بسرعة. ماذا تفضّلين ؟ أن تزهق الشرائع العادلة روح أخيك، أو أن تفتديه أنت بتسليمي جسمك في متعة غير طاهرة نظير امرأة لوّث العار شرفها ؟
ايزابيل : صدّقني، يا مولاي، أنا أفضّل أن أضحّي بجسدي للمحافظة على نفسي.
أنجلو : أنا لا أتكلم عن روحك. فالخطايا المرتكبة عنوةً غير مقصودة وليس لها أي حساب.
ايزابيل : ماذا تقول ؟
أنجلو : لا، أنا لا أضمن لك ذلك. لأني قادر على إنكار ما قلته الآن. أجيبيني على هذا السؤال : أنا اليوم أنفّذ القانون المكتوب، وأصدر حكماً بالاعدام على أخيك. أوَليس الأهون ارتكاب خطيئة بغية إنقاذ حياة هذا الأخ ؟
ايزابيل : اقبل أنت العفو عنه، وأنا أغامر بنفسي. فيأتي عملي رحمة لا خطيئة.
أنجلو : اذا رضيت فعلاً بأن تغامري بنفسك، فالرحمة تغفر الخطيئة.
ايزابيل : ان ارتكبت الخطيئة لأدعه يعيش أتحمّل أنا عقابها، وإن ارتكبت أنت الخطيئة باستجابتك طلبي، سأصلي كل صباح ومساء لكي يُضاف ذنبك الى خطيئتي، ولا تُحاسب عليه مطلقاً.
أنجلو : لا، لا. اصغي اليَّ. فكرك لا يتبع فكري، لأنك جاهلة، أو انك تتظاهرين بالغباء، وهذا ليس بحلٍّ صالح.
ايزابيل : دعني أظهر جاهلة سيئة التصرّف، فأحصل على نعمة الاقرار بعدم كفاءتي.
أنجلو : هكذا تحاول الحكمة أن تبدو أكثر عدلاً باتهام ذاتها. كما ان القناع الأسود يبعث على تصوّر الجمال عشر مرات أروع من الجمال المكشوف. لكن، اصغي اليَّ لكي تفهميني جيداً أكرّر عليك بجلاء أوضح : لا بدَّ لشقيقك من أن يموت.
ايزابيل : هذا فهمته تماماً.
أنجلو : وذنبه يستحق بكل تأكيد هذا الحكم الذي فرضه عليه القانون.

ايزابيل : وهذا فهمته أيضاً جيداً.

أنجلو : أظن ان انقاذ حياته يمكن بوسيلة واحدة فقط لا غير... وأنا أقترح هذا الحل دون سواه. أنا أتكلم عن احتمال.. افترضي انك أنت اخته، يشتهيك أحد أصحاب المناصب العالية، وان هذا الأخير له دالّة على القاضي، وبواسطة نفوذه يستطيع أن يفكّ قيود القانون الذي يرسله الى الاعدام، وان لا وسيلة على الأرض لخلاصه إلّا بتسليم كنوز جسدك الى هذا الرجل، وإلّا تحتّم عليك أن تدعي أخاك يُعدم، فماذا تفعلين ؟

ايزابيل : أفعل لانقاذ أخي ما أفعله لتخليص نفسي. واذا تعرّضت لخطر الموت سأقبل بأوجاع السوط الذي يمزّق ضلوعي وأعتبرها بلسماً، وأتعرّى لمواراتي في ظلمة القبر، كأني أتعرّى للتمدّد على فراش دافئ من الأشواق، وأرفض المتاجرة بجسدي في سوق الدعارة والفسق.

أنجلو : لا بدَّ اذاً من أن يموت أخوك.

ايزابيل : هكذا، يكون مصيري الخاسر الأصغر. فالأولى بأخي أن يموت مرة خلال لحظة، ولا أن تشتريه أخته بهلاكها الأبدي بعد أن تموت على الأرض ألف مرة.

أنجلو : ألا تكونين هكذا قاسية كالحكم الذي تعترضين عليه بشدّة ؟

ايزابيل : ان الجزية المخزية والعفو بسماحة نبيلة، لا يتساويان بتاتاً، والرحمة الشرعية بعيدة كل البعد عن الفداء المشين.

أنجلو : كنت منذ برهة تعتبرين القانون ظالماً مستبداً لا يرحم، وكنت تنظرين إلى جناية أخيك كأنها هفوة طفيفة لا كجرم فظيع.

ايزابيل : سامحني، يا مولاي. يتفق لنا غالباً، للحصول على ما نريد، أن لا نقول ما نفكر به. وأنا أغضّ الطرف قليلاً عمّا أكرهه لصالح ما أحبه كثيراً.

أنجلو : لكن لا تنسي اننا من لحم ودم.

ايزابيل : ليمتْ أخي إذاً، اذا كان يتحمّل وحده مسؤولية الشرّ في الدنيا، وإذا كان هو وحده وريث الضعف البشري بين كل الرجال.

أنجلو : النساء كذلك ضعيفات عاجزات عن المقاومة.

ايزابيل : أجل، كالمرآة التي ترينا صورتنا، وتنكسر بسهولة لأنها من زجاج.

حمى الله النساء من الرجال الذين يفسدون طبيعتهن لاستغلالهن. لا يهم ان نُعتنا بأننا عشر مرات ضعيفات، لأننا نحيفات نظير بشرتنا ونصدّق بسهولة كل ما نسمعه من مبالغات خاطئة لا سيّما في الثناء على أنوثتنا.

أنجلو : لا أنكر ذلك. وبما ان جنسك مفطور على هذا، حسب شهادتك، وبما إني حسب افتراضي، لست أقوى منك بنية لأقاوم الأخطاء، فدعيني أتكلم بمنتهى الصراحة، وأنا متمسّك بكلامك حرفياً : كوني كما أنت أي بنت حواء، وإن كنت أكثر أو أقل من ذلك فلست اذاً امرأة. واذا كنت كما يدلّ عليه مظهرك الخارجي، فاثبتيه بارتدائك اللبوس المعدّ لك سلفاً.

ايزابيل : أنا لا أفهم إلّا لغة واحدة، يا مولاي الكريم. وأستحلفك بأن تعود حيالي الى لهجتك الأولى الرضيّة.

أنجلو : لا تنسي اني أحبك.

ايزابيل : لقد أحب أخي جولييت، وأنت تؤكّد لي انه سيموت من جرّاء ذلك.

أنجلو : لن يموت أخوك، يا ايزابيل، إذا منحتني حبك.

ايزابيل : أنا أعرف ان فضيلتك تتيح لك التظاهر بالرذيلة لكي تجرّبني كغيري.

أنجلو : صدّقيني، أقسم لك بشرفي، ان أقوالي تعبّر عمّا أفكّر به فعلاً.

ايزابيل : لكي يقدم المرء على مثل هذا التصريح، لا بدَّ من أن يكون له قليل من الشرف وكثير من سوء النيّة والخساسة والمحاباة. سأفضحك يا أنجلو، فاحذر لنفسك. وقِّع لي حالاً قرار العفو عن أخي، أو ارفع صوتي وأعلن للناس أي نوع من الرجال أنت.

أنجلو : ومَن يصدّقك يا ايزابيل ؟ أنا اسمي نظيف، ورزانة عيشي وشهادتي تدحض ادّعاءك، ومرتبتي الرفيعة في الدولة ترجح أكيداً بطلان اتهامك وافترائك عليَّ، إلى حدّ أن تختنق أقوالك بما يفوح منها من رائحة النميمة والكذب. لقد بدأت الآن أرخي العنان لحواسي الجامحة، فسايري أشواقي الحارّة، واطرحي عنك حياءك المستعار واحمرار وجهك الذي ينبذ ظاهراً ما ألتمسه منك. يمكنك أن تشتري حياة أخيك بتسليم جسدك الناعم إلى أهواء مشاعري، وإلّا لما حلّت به عقوبة الموت فقط، بل أطالت صلابة عنادك عذابه الأليم ونزاعه البطيء. أجيبيني غداً أو تندمين بسبب الرغبة الشديدة التي تتملّكني

وتدفعني الى الظهور في نظرك كطاغية لا يرحم. أمّا أنت فقولي ما تشائين لأن خطيئتي تعادل حقيقتك.

(يخرج)

ايزابيل : لمَن أشكو أمري ؟ وإذا رويت قصتي هذه، مَن يصدّقني ؟ تبًّا لهذه الشفاه الرهيبة التي تتلفّظ بالحكم على الانسان بالهلاك أو الافراج عنه حسب هوسها والتي يُخضع صاحبها القانون العادل لأهوائه الفاسدة، ويربط دوره المحقّ أو غير المحقّ بشهواته المنحطّة كأنها حجّة لا تقبل النقاش والجدل. أنا ذاهبة لمقابلة أخي الذي رغم انه سقط بدافع حواسّه، فإن نفسه لا تزال شريفة. لو كان له عشرة رؤوس ليسندها على عشرة جذوع أشجار دامية، فإنه لن يتردّد عن بذلها كلها والتضحية بها كي لا يدع شقيقته تستسلم إلى شخص يفيض جرمه بالفسق والفساد. إذاً عليَّ أن أظل عفيفة. وأنت يا أخي لا يسعك إلّا أن تموت. لأن عفّتي أغلى من حياتك. سأخبره بما يعرضه عليَّ أنجلو وأعدّ أفكاره لتقبّل الموت راضياً لأجل راحة نفسه.

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

في السجن

(يدخل الدوق لابساً ثوب راهب، وكلوديو وضابط الشرطة)

الدوق : هكذا كنت تأمل عفو السيد انجلو.

كلوديو : لا صديق للبؤساء سوى الرجاء. أنا آمل بأن احيا مع اني أستعد للموت.

الدوق : إقبل مفارقة الحياة، وهكذا ترى الموت والحياة أحلى وأشهى على السواء. حكم عقلك في أهداف الوجود، فإذا طاش سنهمك فقدت جوهرة غالية لا يزدري بها الا المجانين وحدهم. انت نفس تتلاعب بك كل المؤثرات المناخية التي تزيد حزنك حيثما أقمت. انت لست سوى لعبة في أيدي شبح الموت تجتهد ان تتحاشاه بالهرب منه، بينما أنت في الواقع تسرع اليه. أنت لست نبيلاً لأن جميع المتع التي ابتدعتها اساسها الانحراف. كذلك لست شهماً لأنك تخشى لدغة الثعبان الهزيل الذي يزحف اليك. النوم أفضل وسيلة لراحتك وأنت تحبه وتتمناه، وتخاف الموت كثيراً متناسياً ان النوم موت موقت. انت لست سعيداً لأنك تسعى الى الحصول على ما لا تملكه وتستخف بما أنت حاصل عليه. أنت لست مستقرًا لأن طبيعتك تتبع تجوال القمر التائه. ولو كنت غنياً لظللت مع ذلك فقيراً، نظير الحمار الذي يحمل

على ظهره سبائك الذهب، وأنت لا تحمل ثروتك الا مدى مرحلة واحدة فقط. أنت لا أصدقاء لك لأن أحشاءك التي تدعوك أباً والخليقة التي تنبثق من صلبك تلعن الأوبئة والاسقام التي لا تقضي عليك سريعاً. أنت لا تملك الشباب ولا الشيخوخة، انما نظير غفوة القيلولة بعد الظهر تمثل الرؤيا بين يديك، لأنك رغم كل بهجة شبابك تهرول مسرعاً نحو هرم الشيخوخة وتستعطي شفقة المقعد المشلول. وعندما تصبح غنياً عجوزاً تفقد العطف والمودَّة والقوة والجمال فلا تتمتع بثرائك. فعلى ماذا تنطوي ما تدعوه العامة حياة سعيدة ؟ آهٍ من هذه الحياة التي تتفتق عن آلاف من الميتات. ومع ذلك نخشى الموت الذي يناقشنا الحساب في آخر المطاف.

كلوديو : أشكرك بتواضع لأني ألاحظ، اذ أطلب أن أعيش، اني على وشك أن أموت، واذ أسعى الى الموت، أتمتع عندئذٍ بأمل الحياة. فإليَّ بالمنية اذا.

ايزابيل : (من الخارج) يا أصحاب، أرجو أن تتمتعوا بالسلام مع نعمة الطمأنينة رفيقته الحبيبة.

ضابط الشرطة : من الآتي الى هنا ؟ ادخل. فكل التمنيات تستحق حسن الاستقبال.

تدخل ايزابيل

الدوق : (لكلوديو) يا سيدي، سآتي لأشاهدك بعد برهة قصيرة.

كلوديو : أشكرك يا مولاي الوقور.

ايزابيل : لديَّ كم كلمة أقولها لكلوديو.

ضابط الشرطة : أهلاً ومرحباً بك. (لكلوديو) أنظر يا سيدي، أنظر إلى شقيقتك.

الدوق : اسمح لي بكلمة يا ضابط الشرطة.

ضابط الشرطة : كما تشاء.

الدوق : (لضابط الشرطة بصوت خافت) دعني أسمعها بدون أن تراني.

(يخرج الدوق والضابط معاً)

كلوديو : والآن، يا أختاه، بأية تعزية تأتيني ؟

ايزابيل : بتعزية ممتازة تفوق كل متعة. السيد أنجلو له قضية في السماء

وقد اختارك مندوباً عنه للصعود اليها من قبله كي تمثّله هناك الى الأبد. لذا عليك أن تتمّ استعداداتك بسرعة، لأنك ذاهب غداً.

كلوديو : أليس من دواء لهذه العلّة ؟

ايزابيل : كلا. لأن هذا الدواء اذا أنقذ الرأس حطّم القلب.

كلوديو : هذا يعني ان هناك دواء.

ايزابيل : أجل يا أخي. أنت تستطيع أن تحيا. لأن في صدر قاضيك حلم شيطاني، اذا التمست منه الرحمة يدعك تعيش، إنما يكبّلك بالسلاسل حتى الممات.

كلوديو : وما هي هذه الوسيلة ؟

ايزابيل : هذه الوسيلة، اذا قبلتها، تنتزع عنك حلّة الشرف وتتركك عارياً موصوماً بالخجل طوال عمرك.

كلوديو : لم أفهم، اشرحي لي قولك.

ايزابيل : أنا أستحي منك يا كلوديو، وأرتجف من أن تحملك فكرة حب الحياة المحمومة على تفضيل ستة أو سبعة أعوام من العيش في المذلّة بدلاً من التكفير عن ذنبك. هل لديك الشجاعة لمواجهة الموت برباطة جأش. ان ألم المنية كامن في الخوف من شرب كأسها، والخنفس الذي ندوسه يتحمّل عذاباً يشبه ما يعانيه الجبار عند مفارقته هذه الدنيا.

كلوديو : لماذا تُسمعيني هذا الحديث الفارغ. أتعتقدينَ بأني أستمدّ قراري من رقّة الزهور وبلاغتها ؟ اذا كان لا بدَّ من موتي فأنا مستعد لاستقباله كما تستقبل الخطيبة حبيبها وتضمّه الى صدرها.

ايزابيل : هل حقاً أسمع أخي يتكلم بهذه اللهجة ؟ هل حقاً ينبعث هذا الصوت من فم شقيقي ؟ نعم، لا بدَّ من موتك لأنك أنبل من أن تتمسّك بحياة فاسدة حقيرة. هذا الرجل الطاهر الذيل ظاهراً، صاحب الوجه المتجهّم والكلام الصارم يجمّد فيَّ حماس الشباب ويلجم طموحي، كما يسيطر الصقر على العصفور، هذا الرجل المتسربل بالصلاح ليس سوى شيطان رجيم. اذا جرّدته مما يتستّر به من رجاسة تنكشف الهوة الجهنمية التي يتردّى في أعماقها باطناً.

كلوديو : أهو أنجلو المحترم ؟

ايزابيل : أجل، هو لابس ثوب الخداع الذي يخفي به قباحة وقاره المزيّف. هل تصدّق يا كلوديو أنه عرض عليَّ أن أستسلم اليه لقاء انقاذه حياتك من براثن الموت.

كلوديو : يا الهي، هل هذا ممكن ؟

ايزابيل : نعم، بهذا الثمن الخسيس المشين يسمح لك أن تحيا، وعليَّ أن أنفّذ هذه الليلة ما ذكرته لك الآن، وإلاّ كان نصيبك غداً أن تشرب كأس المنون.

كلوديو : لن تسايري رغبته الدنيئة أبداً.

ايزابيل : إذا كانت المسألة متعلقة بحياتي، فأنا مستعدّة للتضحية بها في سبيل خلاصك من قبضة إبليس.

كلوديو : أشكرك، يا عزيزتي ايزابيل.

ايزابيل : إذاً، استعد لتموت غداً يا كلوديو.

كلوديو : أرى ان لشهواته أنياباً تضطرّه إلى نهش القوانين حين يجب عليه أن يصونها ويفرض احترامها. هذه حقاً ليست زلّةً طفيفة بل أفظع الذنوب كلها.

ايزابيل : وما هو هذا الجرم الفظيع ؟

كلوديو : هو نحر الفضيلة وطعن ضميره حتى اني أستغرب كيف يغامر هذا العاقل الرزين بجرّ العذاب الدائم على نفسه.

ايزابيل : ماذا تقول، يا أخي ؟

كلوديو : الموت معضلة رهيبة.

ايزابيل : والحياة الذليلة هي أفظع وأمرّ منه بما لا يُقاس.

كلوديو : لكني لا أفهم كيف أموت بدون أن أعلم إلى أين أذهب. ان رقادي في حفرة باردة وتعرّضي للنتانة والتفسّخ يمهّد اضمحلال هذا الجسم الحسّاس الذي يفيض حرارة وحركة ويحوّله تراباً عفناً، بينما الروح المحروم من النور والدفء يغرق في ظلمات الغموض، ويندثر في طيّات العدم ويتناثر في مهب الرياح العاتية بعنف ويتبعثر في ابعاد الكون المترامي الأطراف ضمن

فضاء شاسع ليس له قرار، بعد أن يرسف في أغلال البؤس والهوان وقد حكمت عليه بالهلاك زمجرات أفكار شرّيرة مشوّهة غير شرعية. آه، ثم آه ! هذا هائل رهيب لا يسعني أن أستوعبه وأتحمّله. فالحياة على هذه الأرض قاسية، وشقاء العمر والمرض والحرمان والسجن، وإن كانت أحطّ ما يمكن أن يُفرض على البشر، هو جنّة بالنسبة إلى هلعنا من شبح الموت.

ايزابيل : أنا آسفة، وليس باليد من حيلة.

كلوديو : يا أختي العزيزة، ابقيني على قيد الحياة. فالخطيئة التي ترتكبينها لإنقاذ أخيك من الموت تسمح بها الطبيعة بل تعتبرها فضيلة.

ايزابيل : يا لك من فظّ جبان، يا لك من خسيس عديم الشرف. أتريد أن تحتفظ بحياتك على حساب خطيئتي وهلاكي ؟ أوَليس نوع من الزنى أن يعيش المرء على حساب تلطيخ جبين شقيقته بالعار والهوان. ما هذا التفكير الشاذّ ؟ سامحني، يا الهي. هل كانت أمي تخدع أبي ؟ أنا لا أتصوّر أن سفالة أوقح من انحطاط كهذا يمكنها أن تنبثق من دمه. أنا أرفض ما تطلبه مني. عليك أن تهلك وتموت. عندما أنحدر إلى مستوى ما سبّب لك هذا المصير، سأدع الأمور تأخذ مجراها، وسأتلو ألف صلاة على قبرك، لكني لن أنبس ببنت شفّة لأنقذ حياتك بتضحية كرامتي.

كلوديو : أرجو منك أن تصغي اليَّ، يا ايزابيل.

ايزابيل : سحقاً لك. لأن الرذيلة عندك ليست عارضاً طارئاً بل ممارسة مألوفة. وأرى أنك لن تتورّع عن تسخير شفقتي لأغراضك الخبيثة. فالأفضل لك إذاً أن تموت.

(تتأهّب للخروج)

كلوديو : أتوسّل إليكِ أن تصغي اليَّ، يا ايزابيل.

(يدخل الدوق ويتبعه ضابط الشرطة)

الدوق : لديَّ كلمة، أيتها الصبية، كلمة واحدة أقولها لك.

ايزابيل : ماذا تريد ؟

الدوق : إن كان لديكِ وقت فراغ، أودّ أن أتحدّث إليك الآن قليلاً. والمسألة التي سأفاتحك بها هي حتماً لصالحك.

ايزابيل : ليس لديَّ وقت فراغ زائد. فالدقائق التي أخصّك بها سآخذها من مسائل أخرى. لكني أريد أن أستمع إليك هنيهة.

الدوق : (لكلوديو بصوت خافت) : يا بنيّ، لقد سمعت ما دار بينك وبين أختك من نقاش. فإن أنجلو لم يخطر بباله أبداً أن يغويها، بل شاء أن يمتحن فضيلتها ليوقن من حكمه في درس الطبيعة البشرية. هو يعتصم بمشاعر الشرف الأصيل وهي من جهتها رفضت مطلبه، فقدّر اقتناعها ونظر إليها بعين الاعتبار. أنا أعرف أنجلو وأثق بإدراكك هذه الحقيقة الساطعة. فاستعدّ أنت للموت، ولا تخدع ذاتك بأمل خلاب. غداً عليك أن تموت، فاركع لأمنحك البركة.

كلوديو : دع أختي تسامحني، فأنا مللت من الحياة إلى درجة إني بتّ أتمنى الخلاص منها.

الدوق : ثابر على هذا التفكير. الوداع (يخرج كلوديو) أيها الضابط، كلمة من فضلك.

ضابط الشرطة : ماذا تريد مني، يا محترم.

الدوق : أن تنسحب حالما تصل هذه العذراء. دعني أنفرد بها. فإن طبيعة رسالتي الدينية كما يدل ثوبي، لا يدع مجالاً لأن ينوبها بصحبتي أي أذى.

ضابط الشرطة : لحسن الحظ.

(يخرج)

الدوق : ان اليد التي منحتك هذا الجمال زوّدتك بالفضيلة التي تنسجم وهذه الروعة جاعلةً سحر الجمال عابراً. إنما جمال النفس الذي يحلّي شخصيّتك يزيّن أيضاً جسدك باستمرار لقد شاءت الظروف أن أطّلع على ما قابلك به أنجلو من مضايقات، ولو لم يقدم الضعف الانساني عدة أمثلة في الماضي على ما يشبه هذا الانحطاط، لأدهشني حتماً وضع أنجلو الشاذّ. فكيف تستطيعين أن تتصرّفي بشكل يرضي هذا المسؤول وينقذ حياة أخيك ؟

ايزابيل : سأعلمك في الحال. أفضّل لأخي موتاً قانونياً على أن ألد ابناً غير شرعي. لكن يؤسفني أن أقول ان دوقنا الكريم مخدوع في تقديره انجلو كل هذا التقدير ومنحه الثقة الغالية. فإن عاد، وتمكّنت من محادثته،

فإمّا أن يذهب كلامي أدراج الرياح، أو أن أنتزع القناع عن وجه هذا المستبدّ اللئيم.

الدوق : لن يكون سعيك باطلاً. إنما حيث هي الأمور حالياً أرى أنجلو بعيداً عن أن تناله اتهاماتك، لأنه يستطيع أن يدّعي انه كان يجرّبك. لذا يجملِ بك أن تصغي لرأيي. أنا أرغب في عمل الخير، فخطر ببالي هذا الحلّ. أعتقد بأنكِ مستعدة لصنع معروف مشكور تستحقّه كل امرأة مظلومة، ويساعدك على إنقاذ حياة أخيك من غضبة القانون، ويقي شخصك من كل عار ويرضي الدوق الغائب إذا علم عند رجوعه بتفاصيل قضيتك.

ايزابيل : اشرح لي المسألة. فأنا مستعدّة لعمل كل ما بوسعي بشكل لا يسيء الى طهارة نفسي.

الدوق : الفضيلة جريئة والشرف لا يهاب المنايا. ألم تسمعي أحداً يتكلم عن مريان أخت الربان فريدريك الذي ابتلعته أمواج البحر.

ايزابيل : لقد بلغتني أخبار هذه السيدة التي ترفع الرأس.

الدوق : كان أنجلو مزمعاً أن يتزوجها، بعد أن خطبها وعيّن يوم الزفاف. في تلك الأثناء غرق فريدريك، وبائنة أخته التي كانت في حوزته غاصت في اللجّة مع السفينة. فلك أن تتصوّري كم شقيت هذه الآنسة على أثر الحادث الأليم، إذ فقدت أخاً نبيلاً لامعاً كانت تحبه كثيراً وكان يحيطها بكل عطف وحنان، ومعه خسرت بائنتها التي تؤلف كل ثروتها، وانهار الزواج الذي أوشكت أن تعقده، لأن خطيبها اللئيم الغادر تخلّى عنها.

ايزابيل : هل من المعقول أن يتخلى عنها أنجلو هكذا ؟

الدوق : أجل، تركها تستسلم إلى دموعها بدون أن يوجّه اليها أية كلمة، عزاء، وحنث بوعده بحجّة أنه اكتشف خفايا غير مشرّفة في سلوكها. بالاختصار هجرها فاستولى عليها الحزن والأسى الذي لا تزال تئنّ تحت وقره بسبب ما كانت تكنّه له من الحب بصفته خطيبها، وظل قلبه كالصخر الأصم لا يلين أمام نحيبها ولا يشفق على مصيرها البائس.

ايزابيل : ما أكرم الموت الذي يخلص مثل هذه الفتاة المسكينة من مصابها، وما أقسى الحياة التي تسمح لمثل هذا الرجل الجائر أن يعيش خالياً من

الهموم. لكن أية عبرة وأية فائدة يسعها أن تستخلص من هذه المأساة ؟
الدوق : هذا السلوك، معالجته ممكنة. وهذا الدواء ينقذ أخاك، ويقيك شرّ العار.
ايزابيل : أرني كيف يتمّ ذلك يا أبتِ.
الدوق : ان الفتاة التي حدّثتك عنها قد احتفظت في أعماق قلبها بمودّتها الأولى. مع ان هذه الخطّة العسيرة المؤلمة، حسب المنطق السليم، تستوجب نضوب حبها وتقلّص اخلاصها، لم تزده كالصخرة القائمة سدًّا أمام السيل، إلّا عنفاً وشراسة أطارت صوابه. اذهبي وقابلي أنجلو، واستجيبي توسّلاته بإذعان مموّه، واقبلي بتلبية رغبته حتى النهاية. وكضمانة لكي تنيليه مبتغاه، إفرضي عليه هذه الشروط : أن لا يطول انفراده بك، وأن يكون الموعد سرًّا بعيداً عن كل ضجّة، وأن يحدّد المكان المناسب من كل الوجوه. فعندما تكتمل هذه العناصر تتبعها بقيّة التفاصيل. أنا أنصح هذه الفتاة المظلومة بأن تحصل على الموعد وتذهب عوضاً عنك. فإذا افتضح سرّ هذه المقابلة فيما بعد، اضطرّ أنجلو إلى التعويض عليها، وبهذه الطريقة يخلص شقيقك ويُصان شرفك وتكون مريان راضية وينتزع القناع أخيراً عن وجه هذا الرجل المفسد المضلّل. سأعلم الصبية بذلك وسأهيّئها لهذه المحاولة. وإذا عرفت كيف تصلين بالقضية الى النهاية المرجوّة ينجم عنها غفران مزدوج لهذه الدناءة والحقارة. فما رأيك بذلك ؟
ايزابيل : الفكرة تعجبني كثيراً. ولا أشك بأنها ستفضي الى الغاية المنشودة بنجاح.
الدوق : معظم تنفيذ العملية بين يديك. اسرعي الى أنجلو. فإذا التمس موافاتك إلى سريره هذه الليلة، يمكنكِ أن تعديه بتلبية طلبه. أنا ذاهب إلى مدينة « سان لوك » حيث يقوم قصر منفرد تقطنه مريان. فوافيني إلى هناك بعد أن تعجلي في الانتهاء من لعبة أنجلو بسرعة.
ايزابيل : أشكرك على هذا التدبير المنقذ. الوداع يا أبتِ الجليل.
(يخرج كل واحد من ناحية)

المشهد الثاني

أمام السجن

الدوق المتخفّي بثوب راهب يلتقي بكود وبومبي وبعض أفراد الشرطة

كود : لا سبيل إلى منعك من شراء الرجال والنساء وبيعهم كالبهائم. لأن كل الناس يشربون النبيذ الأحمر أو الأبيض.

الدوق : يا إلهي! ما هذا الخليط؟

بومبي : لم يعد الاهتمام بالناس يسلّي منذ أن لحقت الخسارة بأحد المرابيَيْن الاثنين نظراً لكون المرابي الثاني المؤذي قد سمح له القانون بأن يلبس ثوباً مبطناً بفراء الثعلب والخروف، لتأمين دفأ أكثر. وهذا يعني ان للاختلاس، وهو أطول باعاً من البراءة، حقاً مضموناً باتخاذ الشعارات.

كود : تقدم يا سيدي. بارك الله همّتك يا أبتِ.

الدوق : وبارك الله همّتك أيضاً يا أخي. أية إهانة وجّهها إليك هذا الرجل الشرّير ؟

كود : يا سيدي، يكفي أنه داس القانون. ويُخيَّل اليَّ أنه سرق أيضاً، لأننا لقيناه برفقة لصّ، ووجدنا معه مفتاحاً غريباً غير مألوف أرسلناه الى ضابط الشرطة.

الدوق : تبًّا لك من غبي مغفّل دنيء. أرى أن الشرّ الذي تنوي عمله هو مصدر رزقك. هل تفكر كيف يتسنّى لمحصول هذه الرذيلة الذميمة أن يملأ البطن ويكسو البدن ؟ ستقول لي : من الملامسات البهيمية البغيضة، آكل وأشرب وألبس وأعيش. أوَتظن أن الانسان يحيا عندما يؤمّن هذه الضرورات البذيئة ؟ هيا أصلح نفسك، أقول لك أصلح نفسك.

بومبي : في الواقع يا سيدي، هي تحطّ القدر قليلاً. لكني سأثبت لك...

الدوق : إذا كان الشيطان يمدّك بالبراهين للقبول بالخطيئة فهو أكبر دليل على أنك ستكون من زبانيته. أيها الشرطي خذه الى السجن. فالتأديب والتحقيق

لا بدّ من أن يقوما على قدم وساق قبل أن يتمّ أي إصلاح.
كود : عليه أن يمثل أمام نائب الدوق الذي وجّه اليه انذاراً. ونائب الدوق هذا لا يتساهل ازاء نذل نظيره. فإذا كان قوّاداً يحمي العاهرات ويمثل أمامه، يحسن به أن يقوم بعمله غير الشريف على بعد أميال من هنا.
الدوق : أتمنى أن تكون كما يودّ البعض، خالين من النقائص، على الأقل بدون رياء.

(يدخل لوسيو)

كود : سيُعلّق حبل المشنقة في عنقه كما يطوّق هذا الحبل خصرك يا سيدي.
بومبي : (يتعرّف على لوسيو) ها أنا أبصر بأم عيني مَن يساعدني على محنتي، وألتمس منه العون. فهذا الوجيه من أصدقائي.
لوسيو : هيا يا بومبي الكريم، أخبرني ماذا جرى لك ؟ هل حالفك الحظ لتتهادى هكذا بخيلاء ؟ أوَلم يبقَ من ديّان للحرباء بكماليون التي أصبحت منذ هنيهة امرأة يحصل الرجل عليها بمجرّد وضع يده في جيبه وسحبها بتشنّج ليرنّ فلوسه. ما هو ردّك يا هذا ؟ ما رأيك بهذه اللهجة المتحدّية وبهذه الخيانة، وبهذا الكيل الطافح ؟ هل اختنق صوتك عند هبوب العاصفة مؤخراً ؟ ما قولك أيها المحتال ؟ ألا يزال العالم اليوم كما كان في الماضي مراوغاً ؟ ما هذا التفكير الذي يجعل المرء حاقداً مناوئاً ؟ أطلعني على الاتجاه السائد في هذه الآونة.
الدوق : هو، هو، كما كان على الدوام، بل ينتقل اليوم من سيّء الى أسوأ.
لوسيو : كيف حال عشيقتك يا عزيزي. ألا تزال مفتوحة الشهيّة ؟
بومبي : صدّقني، يا سيدي، لقد التهمت فخذاً بكامله. لكنها ما عتمت أن لجأت الى الحمية.
لوسيو : هذا صحيح، لا مناص منها، ولا بدّ من اللجوء إلى مكرها. هي عاهرة متأنّقة وقوّادة متبرّجة معطّرة، لذا ترى النتيجة باهرة، لا ريب فيها. ستدخل السجن إذاً يا بومبي ؟
بومبي : أجل يا سيدي.
لوسيو : لا بأس عليك. الوداع، يا بومبي. إذهب وقل لها إني أرسلك اليها،

ربما لأجل وفاء ديونك. هل تعرف هي في الحقيقة، لماذا ؟

كود : لأجل تشجيع مسعاها وتسهيل الدعارة مهنتها الرابحة.

لوسيو : في هذه الحالة، اسجنوه. فإذا كان السجن أجرة القوّاد، فهو يستحقّها بدون مناقشة. لا شك في أنه قوّاد عتيق في مهنته أي منذ ولادته. الوداع يا بومبي الماكر. تهانيّ بسجنك الذي ستلازمه زمناً طويلاً.

بومبي : آمل أن تكفلني يا صاحب السيادة وتساعدني على مغادرته قريباً.

لوسيو : لا، حقاً يا بومبي. ليس من المألوف أن يطول حجزك هنا إذا تصرّفت طبعاً برويّة. لأنك حادّ الطبع. فالوداع يا بومبي المسكين. (للدوق) الله معك أيها الأخ.

الدوق : ومعك أيضاً.

لوسيو : ألا تزال بريجيت تداري نفسها، يا بومبي؟

كود : (لبومبي) سرْ في سبيلك، يا سيدي، سرْ.

بومبي : (للوسيو) أنت لا تريد إذاً أن تكفلني، يا سيدي ؟

لوسيو : والآن يا بومبي، ألا تزال على موقفك ؟ (للدوق) ما هي أخبارك عن هذا العالم يا أخي ؟ ماذا في الدنيا من جديد ؟

كود : (لبومبي) سرْ يا سيدي، قلت لك سرْ في سبيلك.

لوسيو : إذهب يا بومبي البطيء (يخرج بومبي وكود وجال الشرطة) ما هي أنباء الدوق أيها الأخ ؟

الدوق : لست أدري. ألديك أنت من أخبار عنه لتعلمني بها ؟

لوسيو : يقول البعض أنه ذهب الى قيصر روسيا والبعض الآخر إلى روما. لكن إلى أين تظنّه أنت قد مضى ؟

الدوق : لست أدري. فأينما كان أتمنى له النجاح والانشراح.

لوسيو : أيّ هوس، وأية غاية في النفس حملته على الهرب من منصبه ودولته وعلى تركها لمغتصب شرّير ليس الحكم مهنته ولم يُخلق له. لقد تسلّط السيد أنجلو كما يحلو له في غيابه وتعدّى جميع حدود صلاحياته.

الدوق : أوَلا يحكم بعدل ودراية ؟

لوسيو : لا، ما دام لا يسؤوه أبداً أن يظهر كل التساهل في قضايا الدعارة.

فهو كثير التشدّد في غير هذا الموضوع بنوع خاص، يا أخي.
الدوق : هذه آفة عامّة ولا بدّ من معالجتها بصرامة وحزم.
لوسيو : نعم، هي رذيلة لها عدد وافر من الأنصار والمجنّدين، ويستحيل استئصالها تماماً، أيها الأخ، بدون تحريم الشرب والأكل. وكأن أنجلو ليس ابن رجل وامرأة، جاء هذا العالم خلافاً للطرق العادية. هل تصدّق كلاماً كهذا ؟
الدوق : كيف إذا جاء إلى هذه الدنيا ؟
لوسيو : يقول البعض ان عروس بحر قد أتت به مثل السمك، والبعض الآخر أنه انبثق من حوت ناشف اللحم. لكن الأكيد هو أنه جاف الطبع محدود النظر، وأنا أعرفه حق المعرفة. ثم هو رجل غير نافع، لا سبيل إلى نكران عقمه.
الدوق : أنت مضحك، يا سيدي، وكأنك تتحدّث عن اقتناع.
لوسيو : هو شرس، ولأجل قضاء حاجة طبيعية حكم على إنسان بالاعدام. فهل كان الدوق الغائب الآن، يتصرف هكذا ؟ عوضاً عن معاقبة رجل تسبّب في مولد مئة لقيط، كان دفع أجرة رضاعة ألف لا مئة. وهو خبير في هذه الأمور ويعرف ما تقتضيه من مسؤولية، وكان عنوان التساهل والسماح.
الدوق : لم أسمع في حياتي ان الدوق الغائب كان هكذا مشبوهاً في موضوع النساء إذ كان ذوقه بعيداً عن أن يحفظ لهنّ أي استلطاف.
لوسيو : أنت مخطئ يا سيدي.
الدوق : لم يكن أبداً على هذا الحال.
لوسيو : من تعني ؟ الدوق ؟ حتى متسوّلة في الخمسين من عمرها لم تنجُ من شرّه. وكان من عادته أن يضع لها ليرة ذهبية في كشكولها المفتوح حسب العادة. صدّقني. كان للدوق ميل جارف... وكان يسكر غالباً أرجو أن تصدّقني لأني عالم بجميع أحواله.
الدوق : أنت تهينه هكذا.
لوسيو : كنت صديقه الحميم، وكان رجلاً خبيثاً وأنا أعرف سبب اختفائه.
الدوق : أرجو منك أن تعلمني بما عسى أن يكون السبب.

لوسيو : لا، العفو. هذا سرّ عليَّ أن أصونه في صدري. إنما أسألك أن تجيبني بصراحة : هل ان معظم رعايا الدوق حقاً يعتبرونه رجلاً حكيماً ؟
الدوق : حكيماً. طبعاً كان كذلك، بدون شك.
لوسيو : بل هو رجل سطحي، جاهل، غبي، بعيد كل البعد عن التبصّر والرزانة.
الدوق : رأيك هذا ناجم عن حسد وحماقة وكراهية. لأن أسلوب حياته وطريقة حكمه لا بدّ من أن تضفي على شخصه صيتاً أفضل مما تنعته أنت به. يجب أن نحكم عليه من خلال أعماله، ونقرّ بأنه عالم فاضل ورجل دولة أصيل وجندي شجاع. أمّا كلامك عنه فهو أكبر دليل على جهلك، وإن كنت عارفاً حقاً بجوهر الأمور، فسوء النيّة يعمي بصرك وبصيرتك.
لوسيو : أنا أعرف الدوق وأحبه، يا سيدي.
الدوق : الصداقة تتحدّث بمعرفة مخلصة، والمعرفة النزيهة الأمينة كلها صداقة ووفاء.
لوسيو : يا سيدي، أنا أعرف تماماً ما أعرف.
الدوق : أكاد لا أصدّق قولك هذا، لأنك لا تدرك ما تقول. ولكن عند عودة الدوق قريباً، كما نطلب ذلك في صلواتنا، كنّ على يقين بأنك ستكون مسؤولاً أمامه عن كل ادّعاءاتك. فإذا كنت تنطق بالصواب فستؤكّد كلامك بشجاعة، لأني سأجبرك على ترديد أقوالك. فهل لي أن أعرف اسمك ؟
لوسيو : أنا أدعى لوسيو. والدوق يعرفني جيداً.
الدوق : سيعرفك أحسن يا سيدي، إذا أمدّ الله عمري لأعرض أمرك عليه قريباً.
لوسيو : أنا لا أخشاه مطلقاً.
الدوق : أنت تأمل بأن لا يعود الدوق، أو أنك لا تحذره كخصم قوي. في الواقع، أنا لا أستطيع أن ألحق بك أي أذى، لأنك ستحلف بأنك لم تنبس ببنت شفّة.
لوسيو : فلأشنق إذا أقسمت على ما تدّعي. أنت واهم في ظنّك بي أيها الراهب. لكن دعنا من هذا الحديث. هل لك أن تؤكّد لي ان كلوديو سيُعدم غداً أم لا ؟

الدوق : لماذا يُعدم يا سيدي ؟
لوسيو : لماذا ؟ لأنه ملأ قنينة بواسطة قمع. أودّ أن يكون الدوق قد عاد. لأن هذا الحاكم العاجز، سيمحق سكان المنطقة لشدّة ما يفرضه عليهم من العفّة المتزمّتة. هو لا يريد أن تملأ العصافير أعشاشها فراخاً بحجّة ان ضجّة الطيور مزعجة. على الأقل سيلاحق الدوق علانية ما يتمّ عادة في الظلمة من قبائح، وحتماً يسلّط عليها الأنوار. حقاً أود أن يكون الدوق قد عاد. لهفي على كلوديو، فقد حكم عليه لأنه أراد أن ينال نصيبه من المتعة. وداعاً أيها الراهب. أرجو منك أن تصلّي لأجلي. أكرّر عليك أن الدوق كان يأكل لحم الخروف يوم الجمعة. وقد مضت أيامه الآن. مع ذلك أصرّح لك انه لن يتورّع عن الاتصال بأية امرأة مستهترة، إن فاحت منها رائحة الثوم أو الخمّة والعفن. قل إني رويت لك كل ذلك. الوداع.

(يخرج)

يدخل اسكالوس وضابط الشرطة والسيدة
المرهقة وبعض رجال الشرطة.

اسكالوس : هيا خذوها إلى السجن.
السيدة المرهقة : يا مولاي الكريم، إليك أتوسّل أن تكون طيّب القلب نحوي، يبدو عليك انك رحوم يا صاحب السعادة، يا مولاي الكريم.
اسكالوس : بعد التحذير مرتين أو ثلاث مرات أجدك قد عدت الى ارتكاب الذنب عينه. وهذا يكفي لجعل الشفقة تكفر وتصبح طاغية بحقّ أمثالك.
ضابط الشرطة : هي قوّادة تمارس مهنتها منذ إحدى عشرة سنة.
السيدة المرهقة : يا مولاي، هذه نميمة يلصقها بي شخص اسمه لوسيو. فالسيدة الولّادة، كانت حُبلى منه منذ عهد الدوق لأنه وعدها بالزواج وأخلف بعهده. وأنا آويتها في بيتي على الرحب والسعة. فانظر كيف تقع عليَّ التهم وتُلصق بي أشنع النعوت.
اسكالوس : جيئوني بهذا الولد الطائش المحتال. وخذوا هذه المرأة إلى السجن. هيا اخرجي بدون أن تلفظي كلمة واحدة. (يخرج رجال الشرطة ومعهم السيدة المرهقة) يا ضابط الشرطة، زميلي أنجلو لا يلين، وسيموت

كلوديو غداً. اجلبوا له مَن يعّده للموت ويقدّم له كل النصائح التقوية. فلو اقتدى زميلي بشفقتي على كلوديو، لما كان هكذا حال هذا الاخير.
ضابط الشرطة : (يشير الى الدوق) هاهوذا الراهب الذي زاره وواساه وهيّأه لاقتبال الموت.
اسكالوس : (للدوق) مساؤك سعيد، يا أبتِ.
الدوق : منَّ الله عليك بالرعاية والبركة.
اسكالوس : من أين أنت ؟
الدوق : أنا لست من هذه الديار، مع ان نصيبي يدعوني إلى السكن هنا بعض الوقت. فأنا عضو في رهبنة كبيرة وقد قدمت حديثاًمن روما بمهمّة خاصة كلّفني بها قداسته.
اسكالوس : في هذه الأيام ذهبت الفضيلة ضحية العنف وأمست أسيرة الانحطاط فصار المستجدّ من الأخلاق شغلي الشاغل، لأن هناك خطراً يهيمن على المرء من جرّاء عادات بعيدة عن سمو الأهداف الانسانية تجعله غير مستقرّ في أي عمل وأي حال. أمّا المروءة فأضحت نادرة وبات من الصعب على المجتمع أن يعيش بأمان واطمئنان. كما ان هناك عوامل تدفع المرء إلى الضياع وإلى الابتعاد عن الالفة والتضامن. والعلم في أيامنا الحاضرة انصبّ على معالجة هذه المسائل الحيوية المتداعية، وقد بات عاجزاً عن معالجتها بفعالية لمنع تفاقمها. أخبرني كيف كانت طبيعة الدوق ؟
اسكالوس : كان رجلاً يحاول، بنوع خاص وقبل كل شيء، أن يترفّع فوق أمور الدنيا.
الدوق : وما كانت أهدافه ؟
اسكالوس : أن يرى الناس سعداء. وكان هذا يسرّه أكثر مما كانت تطربه الملاهي المبتكرة لارضائه. كان نبيلاً متّزن المزاج. لكن، لندعه وشأنه، متمنّين له الهناء، واسمح لي بأن أسألك كيف وجدت أحوال كلوديو ؟ قيل لي انك سمحت له بزيارة.
الدوق : لقد اعتبر حكم القاضي غير جائر، فرضخ بكل تواضع للعدالة، مع انه بإيحاء نزقه، إنساق وراء أوهام عديدة جعلته يأمل بأن يعيش. فتمكّنت

من إقناعه بالعكس، بفضل إلحاحي عليه للتكفير عن آثامه، فرضي بتقبّل الموت عقاباً على ما جنت يداه.

اسكالوس : أنت أتممت رسالتك حيال الخالق وقمت بواجب وظيفتك نحو المسجون. فتشفّعت بالوجيه المسكين حتى آخر امكاناتك المعتدلة. لكني وجدت القاضي قاسياً جداً، يا صديقي، فاضطررت إلى الثناء عليه قائلاً انه عنوان العدالة والنزاهة.

الدوق : إذا كانت حياته تنطبق على مقتضيات وظيفته، يجدر به أن يكون صارماً. لكنه متى أدرك ضعفه، حكم على نفسه بالهلاك.

اسكالوس : أنا ذاهب لأزور المسجون... فالوداع.

الدوق : رافقتك السلامة (يخرج اسكالوس وضابط الشرطة) مَن أراد أن يضرب بسيف العدل عليه أن يكون مثالياً بقدر ما هو منصف، وعليه أن يجد في ضميره روح العصمة والفضيلة كي يتمكّن من اداء رسالته على أكمل وجه. وعليه أيضاً أن ينظر إلى استحقاق الآخرين ليتبيّن الحق من خلال ضعفه هو. وليعاقب جدياً بإنزاله عقوبات صارمة بمرتكبي الذنوب التي يعفّ هو عنها. أرجو أن يلحق عار مثلّث بأنجلو هذا الذي يغربل معايبي ومعايب الناس، ويدع نقائصه تصول وتجول على هواها. كيف يسع هذا الرجل الشرّير أن يخفي قبائحه خلف مظاهر الملاك الطاهر. فكما يتوصّل الرياء الغائص في لجّة الاجرام إلى خداع العالم يتسنّى له أن يوقع في حبائله الشبيهة بخيوط العنكبوت أسمى المبادئ والمقاصد الخيّرة. ولكي نحارب الرذيلة، لا بدّ لنا من أن نلجأ الى الحيلة. سينام أنجلو هذه الليلة عند خطيبته القديمة. لكنه بسبب ما يغلي في صدره من مراجل الغيظ، راح يفضّل هذا التفكير، وأخذ طيشه يحالف الخباثة المعشعشة في صدره، ولؤمه يطغى على ارتباطاته القديمة.

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

عند مريان

مريان جالسة، وغلام ينشد الى جانبها

الغلام : أطبق هذه الشفاه وعِدْها
وابحث عن نفسك تجدها.
هذه أشعة الفجر تطلّ عليك
وأنوار الشمس تملأ عينيك.
لكن ردّ لي قبلاتي
رد لي أحلى سنواتي.
ان أجنحة الهوى مكسورة
ألا أنعش نفسي المقهورة.

مريان : كفّ عن غنائك يا هذا، وانسحب سريعاً. فقد أقبل مَن يعزّيني ويكفكف دموعي ويخفّف آلامي.

(يدخل الدوق بلباس راهب)

أنا ألتمس غفرانك يا مولاي. كنت أتمنى أن لا تجدني منشغلة بالموسيقى والغناء. دعني أعتذر لك وأعترف بأن مرحي يجتاحه الحزن كلما حاولت كآبتي أن تبتهج.

الدوق : حب الموسيقى من أروع التسليات، وإن تكن الأنغام أحياناً عاملاً فعّالاً على تغيير الخير إلى شرّ، وتحريض الخير على الشرّ أحياناً أخرى. أرجو منك أن تخبرني هل أتى اليوم أحد يسأل عني ؟ هذا هو الموعد الذي حدّدته تقريباً.

مريان : لم يسأل أحد عنك اليوم، وقد مكثت هنا طوال النهار.

(تدخل ايزابيل)

الدوق : أنا أصدّقك، أيتها الفتاة الوفية. ها هوذا الوقت قد حان. أستحلفك بكل عزيز أن تنسحبي لحظة، إذ ربما أستدعيك بعد برهة لأمر يهمّك كثيراً.

مريان : أنا شاكرة أفضالك على الدوام.

(تخرج)

الدوق : (لايزابيل) ها قد اجتمعنا في الوقت المناسب، فأهلاً بك. ما وراءك من الأخبار عن نائب الدوق هذا ؟

ايزابيل : (في يدها مفتاحان) حديقته مسوّرة بالقرميد، وجانبها الغربي يطلّ على كرم عنب، فيه عريشة من قضبان حديدية يفتح بابها هذا المفتاح. أمّا المفتاح الثاني فيخصّ باباً صغيراً يفصل بين الكرم والحديقة. فإلى هنا وعدته بأن أوافيه عند منتصف الليل الحالك السواد.

الدوق : وهل ستهتدين بسهولة إلى الطريق ؟

ايزابيل : لقد تفحّصت الدرب بدقّة بعد أن دلّني مرتين، متمتماً بلهجة عابثة وحركة واضحة المعاني والمرامي، على الطريق الذي عليَّ أن أسلكه لأصل اليه.

الدوق : أوَليس من اشارات خاصة جرى عليها الاتفاق بينكما لتتقيّد بها مريان ؟

ايزابيل : كلا، لا يوجد، إلّا الاتفاق على إتمام المقابلة في عتمة الليل، وعلى اختصار اجتماعنا، حسب إلحاحي، بأقصر مدى، لأني نبّهته إلى ان خادمةً سترافقني في مجيئي إليه وستنتظرني لتعود بي، وقد أقنعتها بأني آتي لمقابلته بحجّة إنقاذ أخي.

الدوق : هذا تدبير محكم. أنا لم أُعلم مريان بشيء من ذلك. (ينادي) يا أصحاب، هل تسمعونني، هيا عودوا اليَّ.

(تدخل مريان)

الدوق : (يقدم ايزابيل لمريان) أرجو أن تربط الصداقة بينكما، لأن هذه الفتاة تأتي لفائدتك.

ايزابيل : مودّتها من أحلى أمنياتي.

الدوق : (لمريان) هل أنت مقتنعة بأني لا أريد إلّا صالحك ؟

مريان : أجل، أيها الأخ الوقور. أنا واثقة وخبرتي في الحياة تؤكّد لي ذلك.

الدوق : أمسكي إذاً بيد هذه الرفيقة فهي مزمعة أن تهمس في أذنك كلاماً يعجبك ويفرحك. سأنتظرك على مقربة من هذا المكان إنما اسرعي في موافاتي، لأن الليل يوشك أن يولّي.

مريان : (لايزابيل) هل لكِ أن تقومي بدور ما ؟

(تخرج مريان ومعها ايزابيل)

الدوق : يا إلهي، ان ملايين العيون ترمقني وهناك تقارير عديدة تملأ مجلّدات تتضمّن تعليقات خاطئة متناقضة تدور على أحداث جسيمة وألوف الأهواء تدّعي أنك مصدر أحلامها الباطلة وتحوّر أفكارك كما يحلو لها.

(تعود مريان ومعها ايزابيل)

أهلاً ومرحباً بكما. ماذا قرّرتما ؟

ايزابيل : لقد تعهّدت بإنجاز المهمة، يا أبتِ، إذا كنت تشجّعها على القيام بها.

الدوق : أنا لا أحرّضها فقط، بل ألتمسها منها التماساً.

ايزابيل : عليك أن تقلّلي معه كلامك. إنما عندما تغادرينه أسمعيه هذه العبارة برقةٍ وصوت خافت حنون : « والآن تذكّر أخي ».

مريان : لا تخافي ولا تقلقي، فكل شيء يسير على ما يرام.

الدوق : وأنت أيضاً يا ابنتي اللطيفة، لا تخشي أي شرّ. هو زوجك بموجب عقد قانوني. فإذا مسّكِ، فلن ترتكبي أية خطيئة أو ذنب، لأن حقوقك عليه

تبرّر تماديه معك. هيا نذهب ونحصد غلّة جهودنا، إنما علينا أولاً أن نلقي بذورها.

(يخرجون)

المشهد الثاني

في داخل السجن

يخيّم الليل، يدخل ضابط الشرطة وبومبي

ضابط الشرطة : تعال الى هنا، أيها الغبي. هل أنت قادر على قطع رأس رجل ؟

بومبي : نعم يا سيدي. إذا كان الرجل عازباً. أمّا إذا كان متزوجاً فهو رأس امرأته، وأنا غير قادر على قطع رأس امرأة.

ضابط الشرطة : هيا، يا سيدي، كفّ عن نكاتك، واعطني جواباً سديداً. غداً صباحاً لا بدَّ لكلوديو وبرنردان من أن يموتا. لدينا في السجن هنا منذ عام، جلّاد يحتاج للقيام بوظيفته إلى مساعد. فإذا كنت مستعداً لأن تمدّ له يد العون، فعملك هذا يسهّل لك التخلّص من قيودك، وإلّا أكملت مدة سجنك حتى آخر يوم، ولن يفرج عنك إلّا بعد أن تنال نصيبك من الجلد بالسوط، لأنك في الواقع قوّاد ماكر خطر.

بومبي : أنا تعاطيت هذا العمل، يا سيدي، بصورة غير شرعية منذ زمن بعيد. ولن يضيرني أبداً أن أوافق على استخدامي كجلّاد شرعي. ويسرّني أن يزوّدني زميلي بالتعليمات اللازمة.

ضابط الشرطة : (ينادي) تعالَ يا ابورسون. أين ابورسون ؟ هل أنت هنا ؟

(يدخل ابورسون)

ابورسون : أتناديني، يا سيدي ؟

ضابط الشرطة : أجل يا مغفّل. هذا الشقي سيساعدك في تنفيذ أحكام الاعدام غداً. فإذا وجدته مناسباً اتّفقت معه على الأجر السنوي، وأسكنته هنا معك. وإلّا استخدمته هذه المرّة ثم صرفته. وهو لن يناقشك في فظاعة عملك لأنه كان قوّاداً.

ابورسون : قوّاداً، يا سيدي ؟ سحقاً له سينجّس فنّي.

بومبي : يا سيدي، لديَّ سؤال وجيه أطرحه على شخصك الكريم، لأنك رغم كل ما يبدو عليك من سحنة مقلقة أرى ان لك شخصية مميّزة. هل تسمّي مهنتك فناً ؟

ابورسون : نعم يا سيدي، هي فنّ.

بومبي : لقد سمعت، يا سيدي، ان الرسم فنّ. لكن عاهراتك ينتمين الى مهنتي أنا. وبما انهن يمارسن الرسم، فهذا أقوى دليل على ان مهنتي فنّ لكن أين الفن في تعاطي إعدام الناس ؟ لأشنق أنا، إذا كان كلامي غير معقول.

ابورسون : أجل يا سيدي، هو فنّ.

بومبي : وما هو برهانك على ذلك ؟

ابورسون : ثوب الراهب المطرود يلائم دائماً براعة السارق.

بومبي : فعلاً، مهما كان الثوب ضيّقاً على السارق، يكفي أن يكون إنساناً شريفاً كي يجده واسعاً عليه. ومهما كان الثوب كبيراً على السارق فهذا الأخير يجده صغيراً على جسمه. وهكذا يليق ثوب الراهب المطرود بالسارق الماهر.

(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة : هل تمَّ الاتفاق بينكما ؟

بومبي : أريد من كل قلبي أن أكون في خدمتك. لأني أجد مهنة الجلّاد أجدر من مهنة القوّاد. فهي تتطلّب الحزم في أغلب الأحيان.

ضابط الشرطة : أيها الغبي، أعدّ جزع الشجرة والفأس، وكن جاهزاً في الساعة الرابعة من فجر الغد.

ابورسون : تعال، يا محتال، لأعلّمك مهنتي، هيا اتبعني.

بومبي : يسرّني أن أتعلّمها، يا سيدي، لأني آمل أن تشغّلني معك لحسابك

الخاص، فالعمل سيتمّ على أكمل وجه، وأنا مدين لأفضالك بهذا التغيير.

ضابط الشرطة : جيئوني إلى هنا ببرنردان وكلوديو (يخرج بومبي وابورسون) فالواحد يحظى بشفقتي والآخر لا أجد له باباً للرحمة عندي حتى إن كان أخي لأنه في الحقيقة مجرم.

(يدخل كلوديو)

ضابط الشرطة : (يريه ورقة) خذ يا كلوديو، هذا أمر بإعدامك. الساعة تشير الآن إلى منتصف الليل، وغداً صباحاً في الساعة الثامنة تنتقل من هذه الدنيا الى العالم الآخر. أين برنردان ؟

كلوديو : يغطّ في النوم العميق وينعم براحة المسافر بعد قطعه مسافة طويلة شاقة، ولا يريد أن يستيقظ.

ضابط الشرطة : أية خدمة يمكننا أن نسديها اليه ؟ إذهب واستعدّ. (يسمع طرق على الباب) اسكت. ما هذا الضجيج ؟ (لكلوديو) أعطاك الله القوة (يخرج كلوديو. تسمع طرقات جديدة) انتظر قليلاً. أظن ان ذلك أمر بالعفو عن كلوديو أو بتأجيل تنفيذ حكم إعدامه. أهلاً ومرحباً بك، يا أبتِ.

(يدخل الدوق بثياب راهب)

الدوق : الله معك، أيها الضابط. هل جاء أحد إلى هنا منذ قليل ؟

ضابط الشرطة : كلا. منذ أن أعطيت اشارة منع التجوّل.

الدوق : ألم تأتي ايزابيل ؟

ضابط الشرطة : لا.

الدوق : ستأتي مع صديقتها حتماً بعد قليل من الوقت.

ضابط الشرطة : ما وراءك من أخبار سارة بخصوص كلوديو؟

الدوق : أملي بأن لا تتأخر أخباره.

ضابط الشرطة : نائب الدوق هذا صارم جداً.

الدوق : لا، لا. ان حياته تطابق عدالته المشكورة. وبامتناعه عن الموبقات، يصون نفسه ويحاول أن يجعل الاعتدال يشمل الآخرين. لو كان يشكو مما يجدّ في اصلاحه لأمسى طاغية. لكن الأمور كما هي الآن تثبت صلاحه

وعدله (يطرق الباب) ها هما (يخرج ضابط الشرطة) هذا ضابط انساني. إذْ من النادر أن يكون الجلّاد الفولاذي الأعصاب صديق الناس. (تسمع طرقات جديدة) ما هذه الضجة ؟ ما هذا الحماس ؟ لا بدَّ من أن يكون الطارق مهووساً حتى يرتجّ لضرباته خشب هذا الباب.

(يدخل ضابط الشرطة وهو يكلم شخصاً واقفاً بالباب)

ضابط الشرطة : لا بدَّ من بقائه هنا إلى أن يقف السيد أنجلو فيدخله. ها قد استدعاه.

الدوق : أليس لديك أوامر عكسيّة تخصّ كلوديو ؟ هل يتحتّم عليه أن يموت غداً ؟

ضابط الشرطة : لا أمر عكسياً، يا سيدي.

الدوق : مهما دنا الفجر، أيها الضابط، ستصلك الأنباء قبل الصباح.

ضابط الشرطة : ربما تعرف أنت شيئاً. مع ذلك أعتقد أن ليس من أمر عكسيّ. إذ لم يسبق لي أن تلقّيت مثله قبلاً. على كل حال من منصّة قاعة المحكمة، أعلن السيد أنجلو خلاف ما ترجوه.

(يدخل رسول)

هذا الرجل يريد مقابلتي.

الدوق : لا بدَّ من أن يكون هذا هو العفو عن كلوديو.

الرسول : (يسلّم الضابط ورقة) مولاي يرسل لك هذه التعليمات، ويوصيك بواسطتي أن لا تحيد أبداً عنها سواءً من قبيل الوقت أو من قبيل الغاية، أو من قبيل أية تفاصيل أخرى.

ضابط الشرطة : أنا طوع أوامره.

(يخرج الرسول، يجيل الضابط نظره في الورقة التي استلمها)

الدوق : (على حدة) هذا حتماً هو العفو عن كلوديو، وقد كلّف جرماً جديداً قائماً على الصفح الممنوح. فالشرّ يتقدّم بخطوات حثيثة، عندما يصدر عن سلطة عليا. وحين ينجم الرفق عن الرذيلة فإنه يمعن في التغاضي عن المجرم والتعاطف مع الإثم. فماذا تلقّيت من أنباء، يا سيدي الضابط ؟

ضابط الشرطة : (.وقد أتمّ قراءة الورقة) كما قلت لك منذ هنيهة. ها

هو السيد أنجلو يخشى أن أتساهل في وظيفتي، ويحرّضني على استعجال التنفيذ بطريقة غير مألوفة. ومما يزيد عجبي، ان هذا التصرّف لم يصدر عنه مطلقاً في ما مضى.

الدوق : أرجو منك أن تقرأ لي، وكلّي آذان صاغية.

ضابط الشرطة : (يقرأ) « مهما وصلك من تعليمات عكسيّة، عليك أن تنفّذ حكم الاعدام بكلوديو عند الساعة الرابعة فجراً، وببرنردان بعد الظهر. وتزيدني سروراً إذا أرسلت لي رأس كلوديو باكراً عند الساعة الخامسة. إذاً لا بدَّ من تنفيذ هذه الأوامر حتماً، لأن استعجالها يهمّني، أكرّر عليك، يهمّني أكثر مما تتصوّره. فلا تتهاون في القيام بوظيفتك، وإلّا كان رأسك ثمناً لتماهلك ». فما قولك بهذا التشديد، يا سيدي ؟

الدوق : مَن هو برنردان هذا الذي سينفّذ الحكم فيه بعد الظهر ؟

ضابط الشرطة : رجل غجريّ المولد، نشأ ورُبّي في فينّا، وهو سجين هنا منذ تسع سنوات.

الدوق : لماذا لم يتمّ، أثناء غياب الدوق، اطلاق سراح هذا الشخص أو تنفيذ الحكم فيه ؟ أنا لا أفهم هذه الطريقة في تصريف الأمور.

ضابط الشرطة : لقد توصّل أصحاب السجين الى الحصول له على التأجيل باستمرار. حقاً، في المدة الأخيرة تحت حكم السيد أنجلو، لاحظت التساهل بصورة لا تقبل الشك.

الدوق : وهل تعتقد بأن أمره انكشف الآن ؟

ضابط الشرطة : بكل وضوح. وهو ذاته لا ينكر ذلك.

الدوق : هل أعلن المجرم توبته في السجن ؟ وإلى أي مدى هو نادم ؟

ضابط الشرطة : هو رجل جسور لا يهاب الموت، يكثر من النوم وهو سكران. فلم يعد يأبه لشيء من شدّة خموله ولم يعد يهمّه ماضيه ولا حاضره ولا مستقبله. حتى انه لم يعد يشعر بأن له ضميراً لشدّة ما استولى عليه من يأس قاتل.

الدوق : هو بحاجة الى النصح.

ضابط الشرطة : لا يريد أن يصغي إلى أي إرشاد، ما دام قد اعتاد حياة

السجن في هذه الأثناء. حتى لو تسنّى له الهرب من هنا، لن يغتنم الفرصة السانحة ولن يفكّر في الفرار، لأنه غارق في السكر طوال اليوم لا سيّما في مدة الأسابيع الأخيرة. لقد أيقظناه مراراً بحجّة اننا نقوده إلى تنفيذ الحكم فيه وأريناه مذكّرة تنفيذ شكلية، لكنه لم يأبه لها، كأن الأمر لا يعنيه.

الدوق : سنعود إلى التحدّث عنه بعد هنيهة. أيها الضابط، مكتوب على جبينك انك أمين وحازم. فإن أسأت أنا التفسير فلا بدَّ لخبرتي وبصيرتي من أن تكونا قد خدعتاني. لكني لن أتردّد في التراجع عن خطأ تقديري، لأن كلوديو الذي بُلِّغْتَ التشدّد في تنفيذ حكم إعدامه، لم يخالف القانون أكثر من أنجلو الذي أصدر هذا الحكم عليه. ولكي تدرك ما جرى بصورة لا تقبل الشك، لا أطلب منك سوى مهلة أربعة أيام. وأنا أسألك أن تمنحني أيضاً منّة فوريّة خطيرة.

ضابط الشرطة : تفضّل وقل لي ما هي.

الدوق : تأجيل التنفيذ.

ضابط الشرطة : يؤسفني أن لا أستطيع ذلك. بما ان لديَّ ساعة محدّدة وأمراً معيّناً مشدّداً يضعني تحت طائلة أقسى العقوبات، إن لم أرسل رأس كلوديو إلى أنجلو. فأية مخالفة، تضعني في موقف كلوديو بالذات.

الدوق : بحق قدسيّة رسالتي السماوية، أضمن لك سلامتك من كل عقوبة تتعرّض لها، إذا اتبعت تعليماتي بتنفيذ حكم الاعدام ببرنردان صباحاً لا بعد الظهر وبإرسال رأسه إلى أنجلو، بدلاً من كلوديو.

ضابط الشرطة : أنجلو رأى الاثنين، وسيلاحظ تبدّل وجه القتيل حتماً.

الدوق : الموت يغيّر الملامح كثيراً. ولكي تزيد ايهام أنجلو، أحلق الرأس واعقد شعر اللحية مدّعياً أن المحكوم أراد إظهار توبته فطلب حلق شعر رأسه قبل أن يموت. أنت تعرف ان هذا يحدث غالباً. وأنا واثق بأن التشكّرات والانعامات ستنهال عليك كالمطر. كن على ثقة بأني أضمن لك حماية حياتك من كل خطر وأذى.

ضابط الشرطة : العفو، يا أبتِ الوقور. هذا يخالف ما أقسمت المحافظة عليه.

الدوق : أنت أقسمت أن تكون أميناً للدوق أو لنائبه ؟

ضابط الشرطة : له ولنائبه على السواء.

الدوق : كن على يقين بأن الدوق لن يعاقبك على تصرّفك، إذا فعلت ما أطلبه منك.

ضابط الشرطة : ما هي ترجيحات حمايتي في هذه القضية ؟

الدوق : ليس من ترجيحات، بل لديَّ ضمانات. وبما انك خائف هكذا، ربما لا ثوبي ولا جرأتي ولا حججي تطمئنك كفاية. فسأذهب معك إلى أبعد منها لأبدّد عنك مخاوفك (يسحب ورقة ممهورة بخاتم ويعرضها على الضابط) أنظر يا سيدي. هذا خاتم الدوق، وأنت تعرفه وتعرف خطّه بدون شك.

ضابط الشرطة : (يتفحّص الورقة) إني أتعرّف عليهما جيداً.

الدوق : محتوى هذه الورقة ينبئ بعودة الدوق قريباً. ستقرأ نصّها على مهل وسترى انه سيعود بعد يومين. هذا ما لا يعلم به أنجلو بعد، لأنه اليوم سيستلم رسالة غريبة الفحوى ربما تعني ان الدوق مات، أو دخل أحد الأديرة، وربما لا صحّة لكل هذه التأويلات. أنظر، ها هي نجمة الرعاة تدعوك الى الاطمئنان. فلا تتعجّب من إمكان حصول هذه الأمور الغريبة لأن جميع المشاكل تهون عندما نعرف خفاياها. أطلب مجيء الجلاّد، ولا تتردّد في أن تفرض عليه قطع رأس برنردان الذي أنا ذاهب لأعدّه حالاً على أفضل وجه. أراك لا تزال مشدوهاً. إنما هذا سيجعلك تحزم أمرك نهائياً. (يريه الورقة) هيا، يكاد النهار أن يطلع وشيكاً.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في قاعة أخرى من السجن

يدخل بومبي

بومبي : هناك لي معارف عديدون، كما لو كنت في محل تجاري، أو كأني في منزل السيدة المرهقة لكثرة ما شاهدت من هذه الممارسات المألوفة. أولاً هناك السيد الطائش الذي جاء لتسليم ورقة صفراء وزنجبيل عتيق يقدّر ثمنه بمئة وسبعة وتسعين ليرة، بعد أن سحب منه خمس أواق وباعها نقداً. يا إلهي ! هذا الزنجبيل لم يكن مطلوباً في الأساس، لأن النساء جميعهن كن غائبات. ثم هناك السارق الذي جاء في طلب السيد ذي « الشعرات الثلاث » وقد أوصاه على أربعة أثواب من الحرير بلون الدرّاق من الممنوع دفع قيمتها. ثم هناك الأبله الشاب والسيد الماكر والسيد الخيّال والسيد الخفيف، رجل امتشاق الحسام وانتضاء الخنجر، والشاب الأصلع الذي قتل البدين « حلاوة ». وهناك المعلم الغشّاش والمقاتل الباسل السيد النعّال والرحّالة، وهذا الساقي العجيب الذي طعن بسكينه السيد الماجن المتهتّك. يُخيَّل إليَّ ان هناك أيضاً أربعين آخرين جميعهم من رعايا الدولة الذين يمكثون هناك على بركة الله.

(يدخل ابورسون)

ابورسون : أيها الغبي، أجلب لي برنردان حالاً الى هنا.

بومبي : (ينادي) يا معلم برنردان، استيقظ لكي نشنقك، يا معلم برنردان.

ابورسون : هيا، يا برنردان.

برنردان : (من الداخل) : قضى عليكم الطاعون. مَن يحدث كل هذه الضجة ؟ مَن أنتم ؟

بومبي : نحن أصدقاؤك، يا سيدي. أنا الجلاّد. تفضّل استيقظ لننفّذ فيك حكم الاعدام.

برنردان : (من الداخل) إذهب الى الجحيم يا دجّال، إذهب الى الجحيم. أريد أن أنام.
ابورسون : (لبومبي) قل له أن ينهض عاجلاً.
بومبي : هيا، يا معلم برنردان، أفق لننفّذ فيك حكم الاعدام، وبعدئذ تنام.
ابورسون : ادخلْ واجلبه.
بومبي : هو آت، يا سيدي، هو آتٍ. إني أسمع وقع أقدامه على القش.

(يدخل برنردان)

ابورسون : (لبومبي) هل الفأس على جذع الشجرة، يا منافق ؟
بومبي : والرأس جاهز، يا سيدي.
برنردان : ما وراءك من أخبار، يا أبورسون ؟
ابورسون : تفضّل يا سيدي، أنا أدعوك الى الركوع للصلاة، لأن الأوامر قد وصلت، كما ترى.
برنردان : يا غبي، لقد شربت طوال الليل، وأنا على أتمّ الاستعداد.
بومبي : من حسن حظّك يا سيدي. فمَن يشرب طوال الليل يضيع منذ الصباح الباكر، ويغرق في نوم عميق طوال النهار.

(يدخل الدوق بثياب راهب)

ابورسون : (يشير لبرنردان الى الدوق) ها هوذا يا سيدي أبوك الروحي قد أتى. هل ظننت اننا نمازحك ؟
الدوق : (لبرنردان) يا سيدي، لقد تأثّرت من شدّة عطفي، لدى إبلاغي النبأ بأنك سترحل عاجلاً عن هذه الدنيا، فجئت أزوّدك بالنصائح، وأهوّن عليك، وأصلّي معك.
برنردان : أنا ؟ تبًّا للرهبان أمثالك. لقد شربت كثيراً طوال الليل، ولديَّ الوقت الكافي لأفكر بالرحيل. هل يحتاج الأمر إلى قطع رأسي وهدر دمي بضربة قوية كأنه حطبة، لأني غير مستعد لأن أموت اليوم ؟ ما رأيك أنت في الموضوع ؟
الدوق : يا سيدي، لا بدَّ من ذلك. أستحلفك أن تقبل بالأمر وتنوي على الرحيل.

برنردان : أقسم لك بأن لا أحد في الدنيا يستطيع إجباري على أن أموت اليوم.
الدوق : لكن، اسمع ...
برنردان : لا أريد أن أسمع كلمة واحدة. فإن كان لديك ما تقوله لي. تعال إلى زنزانتي لأني لا أودّ الخروج منها في هذا النهار.

(يخرج)

الدوق : مسكين، هو غير قادر على أن يعيش ولا على أن يموت. تبًّا لقلبه المتحجّر العنيد. رافقوه يا أصحاب، وأوصلوه إلى مكان الإعدام.

(يخرج أبورسون وبومبي)
(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة : كيف تجد هذا السجين، يا سيدي.
الدوق : غير مستعد على الاطلاق، وغير راضٍ بأن يموت. فإذا فارق الحياة على هذه الصورة نكون قد أضفنا إلى عذابه أقسى العذاب.
ضابط الشرطة : في السجن، يا أبتِ، مات هذا الصباح بحمى خبيثة، شخص يُدعى راكوزان، وهو قرصان خطير، بعمر كلوديو، وله لحية وشعر طويل. فما رأيك في أن نترك هذا المسكين جانباً، حتى يتأهّب كما يلزم، وأن نرسل الى نائب الدوق رأس راكوزان الذي يشبه كثيراً سحنة كلود.
الدوق : هذا حادث طارئ دبّرته العناية الالهية. عجّل في الأمر، فقد دنت الساعة التي حدّدها أنجلو للتنفيذ. إعمل على ترتيب الأمر حالاً حسب التعليمات، ريثما أقنع هذا الغبي باقتبال الموت.
ضابط الشرطة : سأنفّذ هذا في الحال، يا أبتِ الجليل. لكن برنردان محكوم عليه بالاعدام بعد ظهر اليوم. فماذا أفعل بكلوديو لكي أضمن نفسي من العقاب الذي أتعرّض اليه إذا اكتُشف انه لا يزال حيًّا ؟
الدوق : إليك ما يجب عمله : أرسل برنردان وكلوديو الى سراديب السجن الخفيّة. وقبل أن تدور الشمس دورتها اليوميّة وتشرق مرتين على أهل الأرض سترى حياتك في مأمن بعيداً عن كل شرّ.
ضابط الشرطة : إني أضع ذاتي راضياً مطمئناً في حمايتك.
الدوق : هيّا عجّل إذاً في إرسال الرأس الى أنجلو (يخرج ضابط الشرطة)

والآن سأكتب اليه رسالة يسلّمه اياها الضابط، وسيؤكّد له مضمونها إني على وشك الرجوع، وإني لاعتبارات خطيرة مضطرّ للدخول في موكب كبير، وأسأله أن يأتي لاستقبالي عند العين المباركة، على بعد ميل من المدينة، ومن هناك يتحرّك الموكب الرسمي حسب المراسم القانونية بصحبة أنجلو.

(يدخل ضابط الشرطة حاملاً رأس راكوزان)

ضابط الشرطة : ها هوذا الرأس، سآخذه اليه بنفسي.
الدَوق : حسناً تفعل. وعد بدون إبطاء. لأبلغك ما لا يجوز قوله إلّا همساً في أذنك.
ضابط الشرطة : سأبذل قصارى جهدي.

(يخرج)

ايزابيل : (من الداخل) السلام على الجميع.
الدوق : هذا صوت ايزابيل. وهي آتية لتعرف ما إذا كان العفو عن أخيها قد وصل إلى هنا. لكنني سأكتم عنها حقيقة سعادتها لكي أحوّل يأسها إلى فرح عظيم حين يكون أملها أضعف ما يكون.

(تدخل ايزابيل)

ايزابيل : هل صدر العفو ؟
الدوق : نهارك سعيد، أيتها الصبيّة اللطيفة.
ايزابيل : نهاري حقاً سيكون سعيداً ما دام رجل صالح مثلك يتمنّاه. أرجو أن يكون نائب الدوق قد أرسل العفو عن أخي.
الدوق : لقد أفرج عنه من هذا العالم يا ايزابيل، وتدحرج رأسه وأرسل إلى أنجلو.
ايزابيل : لا، لا. هذا لم يتمّ.
الدوق : أجل، أؤكّد لك أنه قد تمّ. كوني عاقلة وحكيمة أيتها الصبيّة وتذرّعي بالصبر الجميل.
ايزابيل : سأذهب اليه وأقتلع له عينيه.
الدوق : لن يستقبلك أبداً.

ايزابيل : مسكين كلوديو. ومسكينة أنا شقيقته ايزابيل. سحقاً لهذا العالم الظالم وسحقاً لأنجلو السفّاك.

(تبكي)

الدوق : كل هذا الكلام لن يمسّه ولن يفيدك. فكفّي عنه واتكلي على الله. اسمعي ما أقول لك : أريد أن أعرف مفصّلاً كل الحقيقة. فالدوق يعود غداً. هيّا امسحي دموعك. أخبرني أحد رهبان الدير، وأبلغ ذلك أسكالوس وأنجلو اللذين يتأهّبان لاستقباله غداً عند أبواب المدينة، كي يردّا له سلطته علناً. فإذا استطعت إتباع تعليماتي ستكونين سعيدة جداً بالنتيجة وتقتصّين من هذا الشقي، وتنالين نِعَم الدوق وشكره، والانتقام لقلبك المجروح، ثم ثناء الجميع.

ايزابيل : أنا متّكلة عليك وسأتبع نصائحك حرفياً.

الدوق : (يعطيها مغلفاً) سلّمي هذا المغلّف للأخ بطرس، فالرسالة تنبئ بعودة الدوق. قولي له إني أنتظر حضوره إلى بيت مريان هذا المساء، وسأشرح له قضيتك وقضية صديقتك أمام الدوق كي يتّهم أنجلو وجهاً لوجه. أمّا أنا الراهب المسكين فمرتبط بموعد هامّ جداً ولن أكون حاضراً إذهبي أنتِ وأوصلي هذه الرسالة إلى صاحبها. كفكفي دموعك التي تحرق أجفانك، وليكن قلبك قوياً مطمئناً، ولا تتكلي على أوامري اذا كنتِ لا تثقين بتوجيهاتي. مَن الآتي ؟

(يدخل لوسيو)

لوسيو : نهارك سعيد أيها الراهب. أين ضابط الشرطة ؟

الدوق : خرج منذ برهة يا سيدي.

لوسيو : يا ايزابيل الحلوة، قلبي متلهّف لرؤيتك، وأنا أعجب لعينيك الحمراوين، تصبّري. إني أكتفي بشرب الماء وأكل النخالة ظهراً ومساءً، ولأحفظ رأسي لا أجسر على ملء بطني، لأن دسم الطعام يهيّج معدتي. يُقال ان الدوق يصل غداً. صدّقيني يا ايزابيل، كنت أحب شقيقك، ولو

كان الدوق الشيخ العجيب صاحب الزوايا المظلمة هنا لكان أخوكِ لا يزال على قيد الحياة.

(تخرج ايزابيل)

الدوق : أعتقد، يا سيدي، ان الدوق ليس مسروراً من تقاريرك. ولحسن حظّك انه لا يتأثّر بها كثيراً.

لوسيو : أنت لا تعرف الدوق أيها الراهب الغريب، كما أعرفه أنا. هو يحب المجون أكثر مما تتصوّر.

الدوق : ستدفع ثمن كلامك المتهوّر هذا غالياً في يوم قريب. الوداع.

لوسيو : لا، لا، انتظر. سأجتاز الطريق بصحبتك وسأروي لك قصصاً مسلية عن الدوق.

الدوق : لقد حكيت لي ما فيه الكفاية يا سيدي. سواء كنت صادقاً أو كاذباً فقصة واحدة تكفيني.

لوسيو : لقد مثلْتُ أمامه مرةً حين نفختُ بطن آنسة.

الدوق : هل حقاً فعلت ذلك ؟

لوسيو : إي وربي. لكني أنكرت الأمر وأقسمت اليمين زوراً. وإلّا لكان أرغمني على الاقتران بتلك الغبية المتهتّكة.

الدوق : أتدري، يا سيدي، بأن رفيقتك بلهاء أكثر مما هي مستهترة. وداعاً.

لوسيو : لعمري، سأكمل طريقي معك الى نهاية الشارع. فإذا كانت القصص الماجنة تزعجك سأقلع عنها، أيها الأخ الجزيل الوقار. فأنا من فصيلة الزفت وألصق بكل ما يحيط بي.

(يخرجان)

المشهد الرابع

عند أنجلو

يدخل أنجلو واسكالوس

اسكالوس : كل واحدة من الرسائل التي كتبها تناقض الأخرى.
أنجلو : بشكل متنافر غريب غير متماسك. فتبدو أعماله كأنها صادرة عن مجنون. لنطلب من الله أن لا يكون عقله قد تغيّر. لماذا يطلب منا استقباله عند أبواب المدينة، حيث يريد أن نعيد اليه سلطاته.
اسكالوس : أنا لم أتوصّل إلى أي تفسير.
أنجلو : ولماذا علينا أن نعلن قبل وصوله بساعة من الزمان، إن كان أحد من الأهالي يريد أن يرفع شكوى فليقدّمها في الشارع.
اسكالوس : السبب واضح وهو التخلّص من جميع الشكاوى ومن التجنّيات التي سبقت وصوله كي لا نظلّ نحن بعد تلك اللحظة مسؤولين عنها.
أنجلو : أرجو منك أن تقوم بهذا الاعلام. وغداً صباحاً أزورك في بيتك، فعجّل وبلّغ جميع ذوي المناصب العالية أن يبادروا إلى استقباله.
اسكالوس : نعم يا سيدي، الوداع.
أنجلو : ليلتك سعيدة (يخرج اسكالوس) هذا العمل يضايقني ويقلقني، ويشلّ يدي، حتى صرت لا أستطيع القيام بأية حركة. هناك عذراء لم تعد بكراً، والجاني عليها شخصية بارزة، خالف القوانين بارتكاب جرمه الفظيع. ولو حال قليل من الحياء دون اعلانه عن هذه الجناية العذرية لكان الواقع ألبسني أنا هذه التهمة الدنيئة. لكن التعقّل اضطرّه الى السكوت. لأن سلطتي تدعمها كرامة يقدّرها الجميع، قبل أن تحرمني منها فضيحة كهذه تلطخ شرفي بالعار وتخلط بيني وبين المسؤول الحقيقي عنها، وكان كلوديو ظلّ على قيد الحياة لو ان شبابه الصاخب لا يدفعه خطر الكراهية ولم يبحث

عن الانتقام لشرفه الذي باعه بأبخس الأسعار كأنه سلعة بذيئة. اسأل الله أن يظل حياً. فمن المؤسف، عندما عرّضت كرامتي للاهانة، لم يعد هناك أمر يسير سيراً حسناً، بينما أنا أتردّد في الاقدام على الاصلاح.

(يخرج)

المشهد الخامس

في ضواحي فينّا

يدخل الدوق بلباسه الأميري الرسمي ومعه الأخ بطرس

الدوق : (يسلّم الراهب أوراقاً) سلّمني هذه الرسائل في الوقت المناسب. فضابط الشرطة مطّلع على مشروعي وخطتي. ومتى أُثيرت القضية، نفّذ حالاً ما زوّدتك به من تعليماتي، وتابع سعيك لتحقيق هدفي الأسمى، ولو حدْتَ قليلاً عن بعض التفاصيل حسب مقتضى الظروف. إذهب إلى فلافيوس وأخبره أين أنا. أعلم أيضاً فلنتينوس وورولان وكراسوس، وقل لهم أن يجيئوا بالأبواق إلى أبواب المدينة. لكن أرسل لي أولاً بطلب فلافيوس.

الأخ بطرس : سأنفّذ أوامرك بأسرع ما يمكن.

(يدخل فاريوس)

الدوق : أشكرك يا فاريوس. فقد بذلت جهداً تُحمد عليه. سنمشي معاً، وسيمشي برفقتنا أصحابنا الآخرون، ويأتون للسلام عليك بعد هنيهة يا عزيزي فاريوس.

(يخرجان)

المشهد السادس

في ضواحي فينّا

تدخل ايزابيل ومريان

ايزابيل : أنا أكره أن أتكلم عن جميع هذه المواربات، وأودّ أن أصدّقك الحقيقة. لكنك أنت ستتولّج بتوجيه الاتهام إليه. على كل حال، هو نصحني بأن أتصرّف بهذه الطريقة كي نخفي غايتنا بصورة أفضل.

مريان : دعيه يرشد خطواتك.

ايزابيل : من جهة ثانية يحذّرني، إذا غامرت، بأنه سيتكلم بحقّي إلى خصمي، ولا أجد ذلك غريباً منه لأن طعم ردّة فعله مرّ كالعلقم.

مريان : أود أن يكون الأخ بطرس...

ايزابيل : اصمتي، ها هو قادم.

(يدخل الأخ بطرس)

الأخ بطرس : تعالي، لأني وجدت لك مكاناً ملائماً تحت نظر الدوق بدون أن يراك هو. فقد دقّ النفير مرتين، وأكبر النبلاء وأبرز المواطنين قد شغلوا أمكنتهم. وبعد لحظة سيدخل الدوق. فهيا بنا نذهب نحن أيضاً.

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

في ساحة واسعة أمام مدخل فينّا

مريان مبرقعة وإيزابيل والأخ بطرس يقفون على بعد مسافة. يدخل من النواحي المتقابلة الدوق وفاريوس والوجهاء وأنجلو واسكالوس ولوسيو وضابط الشرطة والرسميون والمواطنون.

الدوق : (لأنجلو) يسعدني أن أراك، يا نسيبي العزيز (لأسكالوس) أنا مسرور جداً بلقائك، يا صديقي المخلص.

أنجلو واسكالوس : ابتهجنا كثيراً بعودتك، يا صاحب السعادة.

الدوق : ألف شكر لكما من أعماق قلبي. لقد افتقدت شخصكما وسمعت الكثير عن عدلك يا أنجلو، فطابت نفسي بأخبارك السارّة وعزمت على التنويه بها أمام شعبنا الذي يقدّر صفاتك ومساعيك كمقدّمة لما أنوي أن أمنحك إيّاه من مكافآت.

أنجلو : هكذا تضاعف واجباتي نحوك، يا مولاي.

الدوق : ان مكانتك تزداد رفعة في نظري، وإن أخفيتها. في أعماق صدري أكون قد غمطتك ما تستحقه من إكرام، بينما أنت أهل لأن أشيّد لك صرحاً لا تناله عوادي الزمان ولا ينهار ويضيع في طيّات النسيان. هاتِ يدك أصافحها

أمام أعين رعاياي حتى يعلم الجميع ان هذا الاعتبار العلني هو تعبير صادق عن تقديري مزاياك الحميدة. تعال أنت أيضاً يا اسكالوس، وسِرْ إلى جانبي من الجهة الأخرى، فإني أجد فيكما سندين أمينين أتوكّأ عليكما.

(يدخل الأخ بطرس وتتبعه ايزابيل)

الأخ بطرس : جاء دورك. ارفعي صوتك واركعي أمامي.

ايزابيل : ألتمس منك العدل، أيها الدوق المنصف. ألقِ نظرة عليَّ أنا الفتاة المظلومة والعذراء المغدورة. أيها الأمير العادل أتوسّل إليك أن لا تغض الطرف ولا تشيح بوجهك عني قبل أن تسمع شكواي المحقّة وتنصفني. ألتمس منك العدل، فالعدل، ثم العدل.

الدوق : اعرضي لي ظلامتك. لماذا أنتِ مغدورة، ومَن ظلمك ؟ تكلمي باختصار. ها هوذا السيد أنجلو الذي سينظر في مشكلتك، فاحكي له ما تشكين منه.

ايزابيل : أيها الدوق العادل. أنت تطلب مني أن ألتمس الخلاص من ابليس مصدر بلواي. أريد أن تسمعني أنت بنفسك أولاً، لأن ما سأرويه سيجرّ عليّ، اما العقاب الصارم، إن لم تصدقني، أو انتزاع التعويض عمّا نابني من بؤس وشقاء. فأرجو منك أن تصغي إليَّ وتنصفني فوراً.

أنجلو : أخشى أن يكون مطلبها غير محقّ يا مولاي. فقد التمست مني العفو عن شقيقها الذي أنزلت به حكم العدالة.

ايزابيل : حكم العدالة أم ظلم الطغيان.

أنجلو : وستسرد قصّة مرّة اللهجة غريبة الموضوع.

ايزابيل : قصة غريبة، لكن حقيقية. أوَليس غريباً أن يكون أنجلو مشبوهاً وقاتلاً وفاسقاً من أحقر الزناة والمجرمين الخدّاعين، سالبي عفّة العذارى. أوَليس هذا غريباً بل في غاية الغرابة ؟

الدوق : هذا أمر عجيب لا يُصدَّق.

ايزابيل : هو صحيح، كحضور أنجلو في هذا المكان أمامنا جميعاً، صحيح، بقدر ما هي كل هذه الانحرافات حقيقية. أجل هي صحيحة وإن كانت لا تُصدَّق. لأنها الحقيقة الأكيدة التي لا تتغير ولا تتبدّل.

الدوق : خذوها. مسكينة هذه الفتاة، فإن هزال عقلها يدعها تهذي هكذا.
ايزابيل : أيها الأمير، أستحلفك بكل عزيز، إن كنت تؤمن بأن في الوجود ما يُسمَّى عدالة، أن لا ترفض سماعي على اعتبار أني مهووسة. لا تحكم بأن ما أقوله مستحيل حدوثه، بينما هو واقع مرير خطير يهزّ أعماق الضمير، وقد جرى على يد أنجلو. هكذا أمكن نائب الدوق، بما يزدان به من مظاهر وشهادات وألقاب وأوسمة، أن يكون محتالاً دنيئاً. صدّقني أيها الأمير الكريم، إن لم يكن ما أقوله حقيقياً، فلا حقيقة على وجه البسيطة، ولا سبيل إلى وصف أو إثبات ما يجري في الوجود.
الدوق : بشرفي، إن كنت مجنونة، كما أظن، فجنونك يدل على منطق سليم، وعلى تتابع وتماسك في الخواطر، لا يمكن أن يصدران عن مجنون.
ايزابيل : أيها الدوق الحكيم، أسألك أن تبعد عنك هذه الفكرة الخاطئة، وأن لا تصمّ أذنيك عن سماع شكواي بحجة اني مهووسة. ألتمس من حكمتك أن تستخلص العبرة من الواقع الأليم، كما يبدّد النور حجب الظلام، وكما يهزم الصدق فلول الكذب وينكشف النفاق المتستّر بظواهر الأمانة والوفاء.
الدوق : لا أنكر ان عدداً كبيراً من الناس، وإن كانوا شبه مجانين، ليسوا بعيدين عن الحق. فماذا تريدين أن تقولي ؟
ايزابيل : أنا شقيقة المدعو كلوديو الذي حكم عليه أنجلو بالاعدام بسبب عمل فاسق يضعضع العقل، وقد استنجد بي أخي، وأنا في أحد الأديرة بواسطة المدعو لوسيو لأنقذ حياته.
لوسيو : (يقاطعها) نعم أنا، يا صاحب السعادة، ذهبت لمقابلتها بناء على طلب كلوديو وسألتها على لسانه أن تحاول انتشاله من الموت، بتأثيرها اللطيف على السيد أنجلو والحصول منه على العفو عن أخيها المسكين.
ايزابيل : أجل هو بذاته، يا مولاي.
الدوق : (للوسيو) لم يطلب منك أحد أن تتكلم.
لوسيو : كلا، يا مولاي الكريم. ولم يطلب أحد مني أن أسكت أيضاً.
الدوق : أنا أسألك الآن ذلك. وأرجو أن لا تجيب عند اللزوم إلّا

عن نفسك، وأتمنى لك حينذاك أن لا تنوء تحت وقر المسؤولية.

لوسيو : أؤكّد لك ذلك يا صاحب السيادة.

الدوق : اجتهد أن تصون نفسك. اسمعني جيداً ولا تنس ما أوصيك به.

ايزابيل : (تشير الى لوسيو) هذا الرجل روى جزءاً من قصتي.

لوسيو : وبصورة ملائمة.

الدوق : بصورة ملائمة، هذا ممكن جداً. لكنك تسيء عندما تتكلم قبل أن يأتي دورك (لايزابيل) تابعي قولك :

ايزابيل : (مشيرة الى أنجلو) ذهبت إلى مقابلة هذا الخسيس نائب الدوق.

الدوق : هذا حديث يدلّ نوعاً ما على الجنون.

ايزابيل : سامحني على هذه النعوت التي أراها في محلّها.

الدوق : لماذا هي في محلها ؟ على كل حال، أكملي.

ايزابيل : بالاختصار... لا داعي لأن أروي لك كيف رفض طلبي، وبماذا أجبته. لأن كل هذا يقتضي شرحاً طويلاً. أصل سريعاً الى النهاية الفظيعة التي لمجرّد ذكرها يتمزّق قلبي ألماً وخجلاً. لم يشأ أن يطلق سراح أخي إلّا إذا سلّمته نفسي وضحّيت لارضائه بكرامتي وسايرت شهواته الجامحة وعاشرته معاشرة غير لائقة. وبعد أخذ وردّ، تغلّبت عليَّ شفقتي على أخي فأخرست ضميري وشرفي وطاوعته. إنما في اليوم التالي بعد ارتواء أهوائه، بدلاً عن العفو، أرسل الأمر بقطع رأس أخي المسكين للتنفيذ.

الدوق : (باستهزاء) قصتك معقولة.

ايزابيل : انها حقيقية أكثر مما هي معقولة.

الدوق : أقسم بشرفي، أيتها المهووسة المسكينة، إمّا أن تكوني لا تدركين ما تقولين، أو أن تكوني مدفوعة إلى تحقيري من قبل متآمر حاقد عليَّ. أولاً هذه الاتهامات ممكنة، إنما لا يُعقل أن يرتكب أي أحمق مثل هذه الذنوب بحق ذاته. فإذا زلّت به القدم هكذا حقاً، لَقاس جرم أخيك بنفسه وما حُكم عليه بالاعدام. هل حرّضك أحد على تمثيل هذه الرواية أمامي ؟ اعترفي بالحقيقة واذكري لي اسم مَن دفعك إلى رفع هذه الشكوى إليَّ هنا علناً في مثل هذه المناسبة الرسمية.

ايزابيل : هل هذا كل ما لديك لانصافي ؟ هنيئاً لك أيها الموظف الكبير. امنحني الأمان وفي أقرب فرصة أكشف لك عن جريمتك البشعة المغلفة بالرياء. حفظك الله من كل شرّ. سأبتعد عن هذا المكان إنما سأظل ضحية كغيري من الأبرياء الذين لم يرحمهم حظّهم العاثر.

الدوق : أنا أعرف أنكِ تنوين الانسحاب. أيها الشرطي خذ هذه المرأة إلى السجن. معاذ الله أن أدع النميمة تنتصر وتنهش شخصاً مقرّباً عزيزاً عليَّ. لا بدَّ من أن يكون في الأمر محنة ومكيدة. مَن كان مطلعاً على ما حدث لك ؟

ايزابيل : شخص أود أن يكون حاضراً ها هنا، هو الأخ لودوفيك.

الدوق : أنه راهب جليل بدون شك. مَن يعرف الأخ لودوفيك ؟

لوسيو : أنا أعرفه يا مولاي. أنه راهب دسّاس، لا أحبه. ولو كان علمانياً لكنت هشمت عظامه بسبب الكلام البذيء الذي قاله بحق سيادتك في أثناء غيابك.

الدوق : كلام بذيء بحقي ؟ مع أنه راهب رصين المظاهر. إنما تحريضه هذه المرأة الحاضرة هنا على نائب الدوق، لا يمكنني أن أرضى به أبداً. ابحثوا عن هذا الراهب وأحضروه اليَّ.

لوسيو : مساء أمس بالذات، يا مولاي، رأيتهما معاً في السجن، هي وهذا الراهب القليل الحياء، المغامر المستهتر.

الأخ بطرس : (يتقدّم) حفظك الله يا مولاي الوقور. لقد كنتُ هنا وسمعتُ ما يخدش الأذن. فهذه المرأة تتهم زوراً نائبك البريء من كل علاقة تلصقها به هذه المجرمة التي تدّعي أنها ستنجب طفلاً من صلبه.

الدوق : أمر مستبعد. هل تعرف الأخ لودوفيك الذي تحدّثت هي عنه؟

الأخ بطرس : أعرف أنه راهب تقي وليس بائساً شقياً ذا علاقات غرامية ومشاكل دنيئة كما يصفه هذا الرجل (يشير إلى لوسيو). هو إنسان أجزم بأنه لم يتكلم عن سعادتك بأي سوء كما يؤكّد ذلك هو بالذات.

لوسيو : صدّقني، يا مولاي، انه تكلم عنك بشكل مريب مخجل.

الأخ بطرس : لنفرض أنه تكلم هكذا، سيأتي يوم يبرّر فيه نفسه. لكن في الوقت الحاضر يا مولاي، هو مُصاب بحمّى غريبة. وهو الذي علم

بأن شكوى ستُقدَّم بحق السيد أنجلو، فطلب مني أن آتي إلى هنا وأن أشهد باسمه هذه الشهادة المخزية التي يعرف هو جيداً إن كانت صادقة أو كاذبة، شهادة هو مستعد لاثباتها بقسم اليمين قانونياً حالما يطلب منه ذلك رسمياً، أولاً لتبرئة هذا السيد الكريم المتهم هكذا شخصياً وعلناً، وستستمع إلى التكذيب المباشر الصريح الذي سيفحم هذه المدّعية ويجعلها تندم على ما افترت به عليه جزافاً.

الدوق : أيها الأخ الوقور، أنا كلّي آذان صاغية.

يجلب بعض الحرّاس ايزابيل. فتتقدّم مريان وعلى وجهها برقع. ألا يجعلك كل هذا تبتسم يا مولاي أنجلو ؟ تبًّا لوقاحة هؤلاء المهووسين الأشقياء. هاتوا بعض المقاعد. تعال، يا نسيبي أنجلو. أريد في هذه القضية حسب عادتي، أن أكون حيادياً. فكن أنت القاضي في دعواك الشخصية (يشير الراهب إلى مريان) هل هذه هي الشاهدة، أيها الأخ. دعها تكشف لنا عن وجهها، وبعدئذ تتكلم.

مريان : العفو، يا مولاي. أنا لا أريد أن يرى أحد وجهي إلّا إذا سمح لي زوجي بذلك.

الدوق : ماذا تقولين ؟ هل أنتِ متزوجة ؟

مريان : كلا، يا مولاي.

الدوق : هل أنتِ آنسة ؟

مريان : كلا، يا مولاي.

الدوق : إذاً أنتِ أرملة ؟

مريان : لستُ أرملة، يا سيدي.

الدوق : مَن أنتِ إذاً، إن لم تكوني آنسة ولا زوجة ولا أرملة ؟

لوسيو : ربما هي مومس، يا مولاي. لأن عدداً كبيراً من بنات الهوى لسن أوانس ولا زوجات ولا أرامل.

الدوق : أسكتوا هذا الفتى المغرور. أود أن يكون له دعوى لكي يثرثر عن مشاكله.

لوسيو : أمرك مُطاع، يا مولاي.

مريان : أنا أعلن، يا سيدي، بأني غير متزوجة. وأصرّح أيضاً بأني لست آنسة. فقد عرفت زوجي. إنما زوجي لا يعلم بأنه يعرفني كزوجته.
لوسيو : كان السكر يعميه حين تزوّجك، وليس من تفسير آخر لما تدّعينه.
الدوق : كم أتمنّى أن تكون مثله لتتحفنا بصمتك.
لوسيو : كما تشاء، يا مولاي.
الدوق : (يشير الى مريان) أوَليست هذه شاهدة لصالح السيد أنجلو ؟
مريان : أنا آتية فعلاً لأجل ذلك، يا مولاي. ان مَن تتهم أنجلو بالفسق تتهم زوجي بهذا الجرم. وأنا يا مولاي مستعدّة لأن أشهد بأنه كان بين ذراعيّ، ولم يبخل عليَّ بتصريحاته الغرامية.
أنجلو : هي إذاً تتهم رجلاً غيري.
مريان : لا ليس أحداً غيرك، على ما أعلم.
الدوق : أتقولين أنه زوجك.
مريان : بكل تأكيد، يا مولاي. زوجي هذا، هو أنجلو الذي يعتقد تماماً أنه لم يمتلكني والذي يوقن، على ما أرى، بأنه امتلك ايزابيل.
أنجلو : هذا خلط غريب. اكشفي إذاً عن محيّاك.
مريان : لأن زوجي سمح لي، ارفع الحجاب عن وجهي. (تكشف عن وجهها) هذا هو وجهي أيها الخبيث أنجلو. لقد أكّدت سابقاً انك جدير بالثقة، وهذه هي اليد التي ارتبطت بيدك بموجب عقد مقدّس. وهذا هو الشخص الذي تعهّد بأن يمهر وثيقة زواج ايزابيل، والذي قام بدوري في عقر دارك.
الدوق : (لأنجلو) هل تعرف هذه المرأة ؟
لوسيو : بالجسم طبعاً، كما قالت هي.
الدوق : أمر غريب جداً.
لوسيو : هذا يكفي، يا مولاي.
أنجلو : يجب أن أقرّ، يا مولاي، بأني أعرف هذه المرأة. فمنذ خمس سنوات ورد على بساط البحث بيني وبينها مشروع زواج لم يتحقّق لأسباب منها فقدان بائنة تتعدّى استرجاعها نطاق ارادتنا، ثم ان سمعتها كان يشوبها

قليل من خفّة السلوك. ومنذ ذلك الحين أي منذ خمسة أعوام لم أكلّمها ولم أشاهدها ولم أسمع أخبارها. أقسم على ذلك بشرفي.

مريان : (ترتمي عند أقدام الدوق) أيها الأمير النبيل لا شك في أن الأنوار تأتينا من العلاء، والكلام ينبع من القلب. كما ان العقل يكشف عن الحقيقة، والحقيقة تنبثق من الفضيلة. فأنا خطيبة هذا الرجل، وبه يربطني وثاق الزواج المقدّس. أجل يا مولاي الكريم، في مساء الأربعاء الماضي عرفني في بيته كزوجة. وإذا بحث بالحقيقة فلأتملّص من هذه الورطة الغامضة سليمة، وإلاّ فلأثبت هنا إلى الأبد جامدة كتمثال من الملح.

(تنهض)

أنجلو : لقد ابتسمت حتى الآن. ولكن، امنحني يا مولاي الكريم، ملء السلطة لأفرض العدل بعد أن كاد يفقد هيبته، وأنا أرى ان هؤلاء المهووسين أداة متآمر لئيم يدفعهم بدهاء إلى النيل مني. اسمح لي، يا مولاي، بأن ألقي الضوء على هذه الدسيسة.

الدوق : من كل قلبي أمنحك هذه السلطة، وأطلب منك أن تنزل بالجاني كل ما يستحقّه من عقاب صارم. هناك راهب سخيف وامرأة جاحدة شاركا في هذه المؤامرة الحقيرة. أتظن ان قسمك اليمين عندما تستنجد بجميع القديسين يشكّل شهادة على عدم الاستحقاق وخيانة الأمانة الممهورة بخاتم التجربة. وأنت أيها السيد اسكالوس، إجلس بقرب نسيبي، وساعده بمشورتك على الكشف عن الدسائس الماكرة. هناك راهب آخر قد دفعهم وشجّعهم. فاذهبوا وابحثوا عنه وجيئوني به.

الأخ بطرس : كم أتمنى أن يكون هنا، يا مولاي، لأنه هو الذي في الحقيقة دفع هؤلاء النسوة إلى التشكّي هكذا. وضابط الشرطة يعرف مقرّ الراهب المذكور وهو قادر على إحضاره.

الدوق : (لضابط الشرطة) هيا استعجل وائتني به (يخرج الضابط) وأنت يا نسيبي النبيل، البعيد عن كل نقد وشبهة، أنت الذي يهمّك أمر متابعة هذه القضية، ردّ هذا التهجّم عليك بالعقاب المتوجّب. سأتركك بعض الوقت. لكن لا تتحرّك قبل أن تكمل تحقيقك في الاتهامات الواردة.

اسكالوس : سأقوم بذلك يا مولاي بكل دقة (يخرج الدوق) يا سيد لوسيو، ألم تقل انك تعرف الأخ لودوفيك وانه رجل غير شريف.
لوسيو : يُقال ان الثوب لا يصنع الراهب لكن صاحبنا هذا رداؤه أشرف منه. ثم انه نسب كل قباحته الى الدوق.
اسكالوس : أرجو منك أن تظلّ هنا حتى يأتي هذا الراهب فتدلي بشهادتك عليه، وستجد أنه حقاً إنسان غريب الأطوار.
لوسيو : أؤكّد لك انه غير موجود في فينّا.
اسكالوس : (لأحد الحرّاس) أرجع ايزابيل الى هنا (لأنجلو) لأني أريد أن أكلمها. اسمح لي يا مولاي أن أطرح عليها بعض الأسئلة وسترى كيف سأحصرها عن كثب.
لوسيو : (يشير إلى أنجلو) لا عن كثب، ولا عن بعد، إذا صدّقنا ما تنقله الينا من كلام.
اسكالوس : (للوسيو) ماذا تقول ؟
لوسيو : بذمّتي، يا سيدي، أنا أخشى، إن أنت حصرتها عن كثب بنوع خاص، أن تستسلم قبل الأوان، إن لم تستحي أمام الجمهور.

تدخل ايزابيل يحرسها بعض رجال الشرطة
ثم يدخل الدوق بثياب راهب مع ضابط الشرطة

اسكالوس : سأباشر التحقيق معها بنعومة.
لوسيو : هذه هي الوسيلة الفعّالة، لأن النساء يصبحن خفيفات حول منتصف الليل.
اسكالوس : (لايزابيل، وهو يشير الى مريان) تقدّمي يا آنستي، هذه السيدة تدحض كل أقوالك.
لوسيو : ها هوذا الغبي الذي حدّثتك عنه يا مولاي. وهو قادم مع ضابط الشرطة.
اسكالوس : وقد وصل في الوقت المناسب. لا تخاطبه قبل أن أناديك.
لوسيو : سكوت.
اسكالوس : (للدوق) اقترب يا سيدي. هل أنت دفعت هؤلاء النساء إلى

حياكة هذه الدسيسة حول شخص السيد أنجلو ؟ لقد اعترفنَ بذلك.

الدوق : هذا خطأ.

اسكالوس : كيف تعلن ذلك ؟ هل تعرف أين أنت ؟

الدوق : احترام هيئة محكمتكم العليا واجب، كما يجوز إكرام الشيطان أحياناً وهو جالس على عرشه الملتهب. أين الدوق ؟ فهو الذي كان يريد الاستماع اليَّ.

اسكالوس : أنا أمثّل الدوق وأودّ أن أصغي اليك. فاجتهد أن تتكلم بصدق وأمانة.

الدوق : بشجاعة على الأقل. يا لك من مخلوق حقير. هل تأتي إلى هنا لتدافع عن الخروف أم الذئب ؟ الوداع. لا تنسَ التعويض. لقد ذهب الدوق وضاعت حقوقك. لم ينصف الدوق في إحالة طلبك المحقّ، وفي ربط دعواك بقرار هذا المنافق الدجّال الذي جئت تشكوه إلينا.

لوسيو : هذا هو المحتال الذي كلّمتك عنه.

اسكالوس : مَن هو هذا الراهب غير المحترم، ناكر الجميل ؟ ألا يكفيك أن تكون قد أفسحت لهؤلاء النساء سبل الفسق والدعارة حتى تتهم هذا الرجل الفاضل ؟ هل تتجاسر أيضاً على أن تهمس في أذنه رأيك السخيف مع اسم هذا اللص الدجّال، ثم أن تهاجم الدوق نفسه وأن تتهمه بالظلم والاستبداد ؟ جيئوني به. ارفعوا هذا الرجل إلى المنصّة كي أحطّم عظامه أنا مطّلع على تفاصيل هذه المؤامرة. كيف تدّعي ان الدوق غير عادل.

الدوق : لا تحتدّ هكذا، يا صاح، فالدوق لا يقوى على مسّ شعرة من رأسي ولا يجسر على تعذيب أحد من ذويه. أنا لست من رعاياه ولا من مقاطعته. وعلاقتي بهذه المنطقة أتاحت لي العيش في فينّا كمراقب يقظ. ولقد رأيت الفساد متفشياً ومعشعشاً حتى في أعلى المراتب. هناك قوانين لكل الذنوب إنما الجرائم التي يشملها التغاضي هي أكثر عدداً من أقسى القوانين التي تحمي في أرقى المجالس أسخف الأفكار، وهي لا تستحق سوى السخرية والازدراء.

اسكالوس : أرى أنّه سلّط لسانه النمّام حتى على الحكم والحكام ؟ خذوه إلى السجن.

أنجلو : أي مأخذ لك عليه أيها السيد لوسيو ؟ هل هو الرجل الذي أشرت اليه ؟

لوسيو : أجل يا مولاي هو بالذات. تعال إلى هنا، أيها الرجل الأصلع. هل عرفتني ؟

الدوق : نعم عرفتك من نبرة صوتك، وقد شاهدتك في السجن أثناء غياب الدوق.

لوسيو : حقاً، ولا بدَّ من أن تتذكّر ما قلته عن الدوق.

الدوق : بدون شك، يا سيدي.

لوسيو : حسناً، وهل تصرّ على قولك ان الدوق ماجن ومهووس وجبان، كما ادّعيت ؟

الدوق : حتماً، أنت تستبدل الأدوار أمامي، إذ تنسب أقوالك اليَّ، لأنك أنت الذي أغدقت عليه كل هذه النعوت وحقّرته أكثر ما أمكنك أيضاً.

لوسيو : تبًّا لك من منافق محتال. أوَلم أشدّ لك أذنك لأنك ألصقت به هذه الصفات ؟

الدوق : أنا أحتجّ، لأني أحب الدوق كنفسي.

أنجلو : هل تنوي اعتبار القضية منتهية كما فعل الآن هذا الشقي بعد كل ما تلفّظ به من الاهانات البذيئة ؟

اسكالوس : لا داعي للمناقشة حول شخصي هكذا. اطرحوه في السجن. أين ضابط الشرطة ؟ خذه من أمامي وشدّد عليه الحراسة. لا أريد أن أسمع ذكره بعد الآن. خذوا أيضاً هذا الغبي مع شركائه في الجرم.

(يضع الضابط يده على الدوق)

الدوق : إليك عني، يا سيّد، إليك عني.

أنجلو : ما هذا ؟ هل تقاوم ؟ كبّلوه حالاً بالحديد. ساعدهم يا لوسيو.

لوسيو : هيا، يا سيد، هيا. كيف تتصرّف هكذا أيها الأصلع المحتال، أيها الشقي الكذّاب. لا بدَّ من تقييدك بالسلاسل وزجّك في غياهب السجن.

أرني وجهك المشؤوم أيها المفتري المنافق. وليقضِ عليك الطاعون. أرى ان لك أنياب ذئب جائع، يا وجه النحس، ولا بدّ من التخلّص من نجاستك. سترى ما سيؤول اليه مصيرك أيها الشقي.

(ينتزع عنه قبعة الراهب فيظهر الدوق على حقيقته).

الدوق : أنت أول دجّال تصرّفت كأنك دوق. أولاً يا ضابط الشرطة أمّن لي سلامة هؤلاء الأشخاص النبلاء الثلاثة.

(يشير الى الأخ بطرس وإلى ايزابيل ومريان. للوسيو الذي يحاول الفرار).

لا تهرب يا هذا، إذ بينك وبين الراهب نقاش طويل وحساب عسير. أوقفوه حالاً.

لوسيو : هذا قد يؤدّي بي إلى ما هو أفظع من المشنقة.

الدوق : (لاسكالوس) : أنا أسامحك عمّا قلته، فاجلس. (يشير الى أنجلو) سأستعير محله (لأنجلو) عن أذنك أيها السيد (يجلس مكان أنجلو) هل لديك بعد الآن كلام أو حيلة أو وشاية لم تلجأ اليها ؟ في هذه الحالة، أبرزها قبل أن تسمع ما سأعرضه، ويفوت الأوان.

أنجلو : آه يا مولاي القادر، سأضيف جرماً جديداً إلى جرائمي، اذا ظللت أدّعي البراءة، حين ألاحظ ان سعادتك مثل عين الهية قد راقبت بدقّة وسهر كل أفعالي وأقوالي. لذلك لا تؤخّر حكمك علي يا مولاي. أتوسّل اليك أن تعجّل في اصداره لأني أعترف بذنوبي. فالحكم عليّ فوراً والموت العاجل هو كل ما ألتمسه منك كنعمة تريّحني من عذاب ضميري.

الدوق : اقتربي يا مريان (لأنجلو) هل كنت في يوم من الأيام خطيب هذه المرأة ؟

أنجلو : نعم، يا مولاي.

الدوق : انسحب معها وتزوجها بدون إبطاء (للأخ بطرس) أرجو منك يا أبتِ أن تعقد قرانهما عاجلاً وبعد أن تنتهي من مراسم الاحتفال، أن ترجعوا إلى هنا. رافقهم أيها الضابط.

(يخرج أنجلو ومريان والأخ بطرس وضابط الشرطة)

اسكالوس : أنا متعجّب، يا مولاي، من سفالته أكثر من افتضاح أمره الآن.

الدوق : اقتربي يا ايزابيل. ان مَن لجأت اليه في شدّتك أضحى الآن أميرك، والرجل الذي كان غيوراً على مصلحتك لم تغيّر الثياب عواطفه نحوك. سأظل أدافع عنك وأحميك ما دمت حيًّا.

ايزابيل : سامحني، يا مولاي، لأني أسأت الأمانة بحق سعادتك عندما كنت متنكّراً.

الدوق : لقد سامحتك يا ايزابيل. والآن سامحني أنت أيضاً، يا ابنتي، مَن أساء إليك. أنا أعلم أن موت أخيك يمزّق قلبك، ولا بدّ من أن تتساءلي لماذا بقيت متنكّراً أنا الذي سعيت إلى إنقاذ حياته ؟ ولماذا لم أظهر بغتةً حقيقة شخصيتي بدلاً من أن أعرضه هكذا للهلاك ؟ يا بنيّتي الكريمة، ان الإسراع في إعدامه الذي كنت أظنه متأخراً قد شلّ تنفيذ مشروعي. لكن شقيقك الآن في أمان. والحياة التي لم يعد الموت يهدّدها هي أحلى وأفضل من التي قضاها مؤخراً في الخوف والقلق. فابتهجي لأن أخاك ينعم الآن بالأمان والسلام.

ايزابيل : ألف شكر لك يا مولاي.

(يدخل أنجلو، ومريان والأخ بطرس وضابط الشرطة)

الدوق : أمّا هذا العريس الجديد الذي يقترب منا والذي أساء، بانسياقه وراء أهوائه الذميمة إلى شرفك رغم تمسّكك به، فعليك أن تغفري له ذنوبه إكراماً لمريان. وبما أنه حكم على أخيك، هو المجرم مرّتين لأنه عبث بوظيفته وواجبه، وحنث بالعهد الذي قطعه على نفسه بأن ينقذ شقيقك، فان عدل القانون ذاته يصرخ بإلحاح على لساني الجاني نفسه : يجب إبدال كلوديو بأنجلو لينال هذا الأخير ما دبّره ظلماً للمحكوم عليه، أي موتاً بموت، ولنقابل العجلة بعجلة مثلها، والمهلة بمهلة نظيرها، والعدالة بعدالة ذاتها، فيكون قد تساوى كيل بكيل يوازيه. إذاً يا أنجلو، بما أن جريمتك ظهرت بعدما أخفيتها، ولن يفيدك الإنكار بعد الآن، لذا أحكم عليك بقطع رأسك على جذع الشجرة الذي أعددته لقتل كلوديو، وليتمّ التنفيذ فوراً. خذوه.

مريان : يا مولاي الكريم، ألتمس منك أن لا تجعل من زوجي مهزلة.

الدوق : زوجك هو الذي جعل نفسه مهزلة. فلصيانة كرامتك اعتبرت

زواجك ضرورياً، وإلّا تكون معرفته إياك جريمة تلطّخ سمعتك وتقضي على مستقبل هنائك. أمّا أرزاقه، وإن يكن من حقّي أن أصادرها، فأنا أتنازل لك عنها جميعها كميراث لكي تحصلي بواسطتها على زوج أفضل منه.

مريان : مولاي العزيز، أنا لا أريد غيره ولا أفضّل عليه رجلاً آخر.

الدوق : لا تلحّي في التماس العفو عنه، فان قراري مُبرم كي أجعله عبرة لمَن يُعتبر.

مريان : (تركع) : مولاي العطوف...

الدوق : لا تضيّعي جهودك. أنزلوا عقوبة الاعدام بهذا الخسّيس (للوسيو) والآن جاء دورك، يا حقير.

مريان : مولاي الكريم، ويا عزيزتي ايزابيل، إصفحا عنه. ها أنا أجثو على ركبتيَّ متوسّلة، وسأكون في خدمتكم ما حُييت وأظل لكم جميعاً شاكرة فضلكم.

الدوق : التماسك مخالف لكل منطق، فإن تساهلت وسامحت المجرم من قبيل الشفقة فإن شبح أخيك، من مثواه الأخير، سينتقم منه ويقتلعه من هذه الأرض بعنف لم يسبق له مثيل.

مريان : يا ايزابيل، يا عزيزتي ايزابيل، اركعي بجانبي، وارفعي يديك إلى العلاء بدون أن تنبسي ببنت شفّة واصغي إلى توسّلي : يُقال ان أفضل الرجال مجبولون بالعيوب، وفي أغلب الأحيان، بعد أن يعتريهم بعض الضعف ينصرفون إلى إصلاح ذواتهم والتكفير عن زلّاتهم. وأعتقد ان هذا هو حال زوجي أيضاً. فيا ايزابيل، أرجو منك أن تساعديني وتركعي إلى جانبي، ومعي تلتمسي العفو عنه.

الدوق : يجب أن يموت، كما حُكم بالموت على كلوديو.

ايزابيل : (تركع) مولاي الكريم، ما أروع العفو عند المقدرة، ألتمس منك أن تصفح عن المحكوم، ما دام أخي لا يزال على قيد الحياة. أعتقد أن الأمانة ظلّت من صفاته في الحكم إلى أن شاهدني. لذلك أرجو أن لا تدعه يموت. فإن شقيقي قد نال نصيبه من العقاب لأنه ارتكب جرماً استحقّ عليه حكم الإعدام. أمّا من ناحية أنجلو فإن الإجراء لم يتبع سوء نيّته،

لذلك لا بدّ من دفن هذه الكبوة في طيّات النسيان نظير الرغبة الجامحة التي انهارت أثناء مسيرتها الى السيطرة. فالأفكار لا تخضع للمحاكمة، والنيّات ليست سوى أفكار.

مريان : كل ذلك لم يتعدّ، طور الأهواء، يا مولاي.

الدوق : رجاؤك غير مقبول. لذا أسألك أن تكفّي عن الإلحاح. الآن أتذكّر مخالفة أخرى أيها الضابط، كيف جرى قطع رأس كلوديو في ساعة غير مألوفة ؟

ضابط الشرطة : بناءً على أمر مستعجل.

الدوق : هل استلمت مذكّرة خاصة لتنفيذ الحكم ؟

ضابط الشرطة : لا، يا مولاي الكريم، بل طلباً شفهياً بلسان رسول خاص.

الدوق : لذلك أقيلك من وظيفتك. سلّمني مفاتيحك.

ضابط الشرطة : سامحني يا مولاي النبيل. أعترف بأن ذلك كان خطأ مني، ولم أكن على ثقة تامّة من صواب تصرّفي. مع ذلك ندمت بعد التفكير مليًّا. والبرهان هو وجود رجل في السجن كان عليه أن يموت بموجب الأمر الخاص وتركته يعيش الى الآن.

الدوق : مَن هو ؟

ضابط الشرطة : اسمه برنردان.

الدوق : لماذا لم تتمهّل هكذا في إعدام كلوديو ؟ هيا اذهب واحضر لي هذا السجين لأراه.

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس : (لأنجلو) آسف أن يكون رجل مثلك، يا أنجلو، مستنيراً بالعلم ومتبصّراً في العواقب قد وقع في مثل هذا الانحراف وانجرف وراء أهوائه منساقاً أمام ظلم كهذا في إصدار أحكامه الجائرة.

أنجلو : أنا نادم على ارتكابي هذه الأخطاء الجسيمة، وقد انسحق قلبي لأني جلبت على نفسي النقمة بدل النعمة. ومع أني أستحق العقاب، أطلب منك الصفح والغفران.

يدخل ضابط الشرطة ومعه برنردان، ثم كلوديو وقد لفّ رأسه بمعطف، ثم تدخل جولييت.

الدوق : مَن منهما برنردان ؟
ضابط الشرطة : هذا يا مولاي.
الدوق : هناك راهب قد تكلم عن هذا الرجل يا صديقي. يُقال ان ذهنك متحجّر، وانك لا تفهم شيئاً خارجاً عن أمور هذه الدنيا، وانك مستمرّ في حياتك على هذا النمط. أنت في الآخرة لا محالة هالك. أمّا قصاصك على هذه الأرض فأنا أعفيك منه بكامله. فاستفد إذاً من هذه الفرصة لكي تهيّء لنفسك مستقبلاً أفضل. زوّده بالنصح يا أبتِ، فأنا أتركه بين يديك. والآن مَن هو هذا الفتى الملفوف الرأس ؟
ضابط الشرطة : هذا سجين آخر أنقذته وكان عليه أيضاً أن يموت مقطوع الرأس في نفس الوقت مع كلوديو. وهو يشبه هذا الأخير حتى أنه يبدو لكأنه هو ذاته.

(يكشف وجه كلوديو)

الدوق (لايزابيل) : هذا شقيقك على ما يبدو، فإكراماً لمودّتك أعفو عنه. وإكراماً لي أيتها الحسناء، اسمحي لي بيدك، وقولي لي انك ترضين بأن تكوني لي زوجة، فيصبح هذا أخي أيضاً (يشير إلى كلوديو) وكل ذلك يتسنّى تفسيره في الوقت المناسب. أمّا الآن فالسيد أنجلو يعلم أنه قد نجا، ويخيّل إليَّ اني أرى بريقاً في عينيه. ها أنت، يا أنجلو، تحصد خيراً من الشرّ الذي زرعته، فعليك أن تحب زوجتك، لأنها لا تقلّ عنك مكانة. وأنا أشعر في نفسي استعداداً لمسامحتك. مع ذلك يوجد شخص هنا لا يستحق العفو. (للوسيو) أنت يا هذا، تظنني رجلاً فاسداً جباناً فاسقاً حماراً غبياً، لكني لا أدري لماذا تتكرّم عليّ بكل هذه الألقاب البليغة.
لوسيو : يا مولاي، كنت أمزح كما هو الزي الرائج في هذه الأيام. فإن شئت أن تحاسبني على كلامي هذا، فأنت قادر أيضاً على مسامحتي. إنما أفضّل أن تأمر على الأقل بجَلدي لأني أستحقه.
الدوق : أجل ستُجلد بالسوط أولاً، ثم يُعلّق في عنقك حبل المشنقة. يا ضابط الشرطة أذعْ في كل أنحاء المدينة أن هناك امرأة ظلمها هذا المستهتر، لأني سمعته يقسم بأنه جعل إحدى الفتيات أماً، فما عليها إلاّ أن تتقدّم

لكي يتزوجها، وحالما ينتهي العرس يُجلد ثم يُشنق.

لوسيو : أستحلفك يا صاحب السعادة، أن لا تزوّجني عاهرة. لقد قلت سيادتك الآن أنك ستجعل منها زوجتي، فأرجو منك يا مولاي أن لا تكافئني بأن تجعل مني زوجاً مخدوعاً.

الدوق : أقسم لك بأنك ستتزوجها. وهذا هو شرطي لأعفو عن طيشك ونميمتك وعن الاهانات التي وجّهتها اليَّ. خذوه الى السجن ونفّذوا مشيئتي فوراً.

لوسيو : تريدني أن أتزوج غبية يا مولاي، فكأنك تحكم علي بالجلد وبالموت شنقاً كل يوم من أيام حياتي.

الدوق : هذا جزاء النميمة وتحقير الأمير (يشير الى جولييت وكلوديو) فكّر يا كلوديو بأن تعوّض على مَن سبّبت لها الأذى. ابتهجي يا مريان، وأنت يا أنجلو، أخلص لها الحب، فأنا أعرفها جيداً وأقدّر فضائلها. شكراً لك يا صديقي اسكالوس على طيبة قلبك. فالمستقبل يخبّئ لك مكافأة ثمينة تستحقها. وشكراً لك يا ضابط الشرطة على غيرتك وعلى كتمانك سرّي. سأرقّيك إلى منصب أعلى. سامحه يا أنجلو على تقديمه لك رأس راكوزان بدلاً مِن رأس كلوديو، فهذه غلطة تستحق الصفح. وأنت يا ايزابيل العزيزة لديّ عرض أقدّمه لك لتحقيق سعادتك، اللهمّ اذا أصغيت اليّ ورضيت به ويختصر بأن كل ما هو لي سيكون لك أيضاً، وكل ما هو لك سيصبح ملكي الخاص. وعلى هذا الأساس أرجو أن تسيروا بنا إلى قصري حيث أكشف لكم عمّا بقي من المشاكل التي أرى من الضروري أن أطلعكم عليها.

(يخرجون)



مَهزلة الأخطاء

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

صولينوس	:	دوق أفسس.
اجايون	:	تاجر من سرقوسه.
انطيفولوس أفسس انطيفولوس سرقوسه		توأمان ابنا أجايون وإميلينا.
دروميون أفسس دروميون سرقوسه		توأمان في خدمة الشقيقين انطيفولوس.
بلطزار	:	تاجر.
انجلو	:	صائغ.
تاجر	:	صديق انطيفولوس سرقوسه.
تاجر آخر	:	دائن انجلو.
بنش	:	مدرّس ودكتور محضر ارواح.
إميليا	:	زوجة أجايون، كاهنة أفسس.
ادريانا	:	زوجة انطيفولوس أفسس.
لوسيانا	:	أختها.
لوسي	:	خادمتها.
غانية		

سجّانون، ضباط أمن، رجال حاشية.

الأحداث تجري في مدينة أفسس.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر دوق افسس

(يدخل دوق أفسس وحاشيته، ثم اجايون وسجان وحرس)

اجايون : تابع انجاز تحطيمي، يا صولينوس، وبالحكم عليّ بالاعدام خلِّصني من عذابي، واقطع كل ما يصلني بالحياة.

الدوق : كفّ عن هذه المرافعة، يا تاجر سرقوسه. انا لا أميل الى دروس شرائعنا. فما يثيره اميركم الشرس من الحقد والشقاق على التجار مهروا بدمائهم هذه القرارات الجائرة، يزيل كل شفقة عن نظراتنا المتوعدة. فمنذ قيام الأحداث الدامية بيننا وبين هؤلاء الثوار في الجلسات العلنية بسببنا وبسبب اهالي سرقوسه، قد منع التعاطي فيما بين مدينتينا المتعاديتين. فكل رجل مولود في أفسس يظهر في طرقات سرقوسه وأسواقها، وكل رجل من هذه المدينة الاخيرة يتجاوز خليج أفسس يكون نصيبه الموت الزؤام، ومصادرة أرزاقه لصالح الدوق، الا اذا قدّم الف دينار فدية لاعفائه من العقاب. وبما ان جميع ما تمتلكه، مهما غلا ثمنه لا يساوي مئة دينار، فبالتالي، انت بموجب هذا القانون محكوم عليك بالاعدام لا محالة.

اجايون : في هذه الحالة، عند صدور قرارك، ستكون تعزيتي في زوال آلامي مع غياب الشمس.

الدوق : هيا ايها السرقوسي، قل لي بايجاز، لماذا غادرت مسقط رأسك، وما الغاية من مجيئك الى أفسس ؟
اجايون : لم يكن بالامكان ان تفرض عليّ مهمة اصعب من البوح بمصائبي التي لا توصف. مع ذلك، لكي يدري العالم بأني اموت عقابا على جرمي الوحيد في استجابتي نداء الواجب، سأصرح بما يسمح لي به عذابي من القول : انا من مواليد سرقوسه، وقد اقترنت بزوجة بارّة أسعدتني كما أسعدتها بدون أي خلاف، وابتهجنا في عيشنا، ونمَت ثروتي بفضل أسفار موفقة قمت بها بتواتر الى مدينة ابيدفنوم. واذا بمساعدي يقضي نحبه، ويضطرني السهر على اعمالي لئلا تبقى سائبة، الى حرمان نفسي من عناية زوجتي. وكنت غائبا منذ ستة اشهر عندما حزمَت أمرها على أثر ما انتابها مما فُرض على النساء من أوجاع المخاض المستحبة، فصممت على اللحاق بي، وما عتمت ان وصلت اليّ سالمة معافاة. ولم يمض بعض الوقت حتى اسعدها الحظ وأصبحت أم توأمين جميلين متشابهين بصورة غريبة الى حد عدم امكان تمييز التوأم عن اخيه الا بصعوبة، ومن اسم كل منهما. في ذات الوقت، وفي عين المكان ولدت امرأة مسكينة توأمين وسيمين ايضا متشابهين للغاية. ولما كان أبواهما في حالة بؤس وفاقة يرثى لها اشتريت منه هذين التوأمين وربيتهما ليخدما ولديّ. أما زوجتي المعتزة بابنيها فكانت تلحّ عليّ كل يوم للرجوع الى سرقوسه. فقبلت اخيرا على مضض، ويا للأسف. فركبنا سفينة مقلعة من ابيدفنوم، وما كدنا نبحر حتى هاجت الامواج على بعد فرسخ من المرفأ، وقد عهدناها دوما هادئة طيّعة تماشي الرياح التي لا تنذر عادة بأي شر. لكن أملنا برحلة مريحة ما لبث أن خاب، والنور الضئيل الذي كان يضيء من حولنا ما فتيء ان تحول الى شبه ظلام، ضاقت به صدورنا، وهددتنا الانواء بموت محتم عاجل. من جهتي، كنت اقتبلته راضيا لولا نحيب قرينتي الهلعة مما روّعها سلفا من ويل مداهم، ومن صراخ الاولاد وعويلهم، اذ سيطر عليهم فزع غريزي جعلني أحاول عبثا تجنب حكم القدر الغاشم الذي يتهدد حياتنا جميعا. وإليك ما تيسّر لي أن أفعله. لقد لجأ الملاحون الى قوارب النجاة، وتركونا في السفينة المشرفة على الغرق. وما كان من زوجتي المنشغلة بأحد

التوأمين، الا ان علقته بالصاري الاضافي الذي يحتفظ به البحارة على سبيل الاحتياط، ومعه ربطت احد التوأمين الآخرين. بينما رحت انا أهتم بالاثنين الباقيين. وبعد ان رتبنا الاولاد على هذا النمط، عمدنا انا وقرينتي، بدون ان تفارق أعيننا من تقتضيهم المراقبة، الى ربط ذواتنا في طرفي الصاري المذكور، وظللنا هكذا منساقين تحت رحمة الامواج التي تتقاذفنا باتجاه كورنثيا. اخيرا أطلت الشمس من وراء الغيوم وأرسلت أشعتها وبدّدت الضباب الذي كان يكتنفنا من كل جانب. واذا بالبحر، بفعل النور يهدأ، وتنقشع الرؤية، فيلمحنا عن بعد مركبان قادمان نحونا، الاول من كورنثيا، والثاني من أبيدور. ولكن قبل وصولهما الينا، اسمحوا لي بأن لا أعلمكم بأكثر من هذا. عليكم مما سبق ان تحزروا ما جرى بعد ذلك.

الدوق : لا، ايها الشيخ، أكمل ولا تتوقف هكذا، فيتسنى لك ان تحظى بعوننا، ان لم تنل عفونا.

اجايون : لو منَّت الآلهة برحمتها، لما وصفتها بالتصلب. كانت السفينتان لا تزالان بعيدتين نحو عشر فراسخ حينما اعترضتنا صخرة هائلة. وإذ قذفتنا الرياح اليها بعنف، تحطمت سفينتنا عند منتصفها وانشطرت الى قسمين جعلانا انا وزوجتي نفترق قسرا كل واحد في جهة، وترك لكل منا تعزية وحسرة معا. لان نصف الصاري الذي جرّها، ويا لها من مسكينة، كان على ما يظهر يحمل الثقل الاخف والالم الأوفر، فانجرف بسرعة اكبر. واذا بالثلاثة قد تلقاهم امام أعيننا صيادون من كورنثيا، على ما أظن. اخيرا التقطتنا سفينة اخرى، وعندما ابصر البحارة مَن أسعفهم الحظ بالنجاة من الغرق، بادروا الى الاهتمام بضيوفهم، وودّوا ان يحتفظوا ايضا بمن انقذهم الصيادون، لكن مركبهم لم يكن متين الاشرعة فاكتفوا بمن معهم وتوجهوا الى بلادهم. وهكذا أدركت، يا صاحب السيادة، كيف حرمت من سعادتي وهنائي، ولم ينتشلني بؤسي من الهلاك الا لأقص عليك ما حل بي من بلاء وشقاء.

الدوق : باسم الذين تبكيهم، زدني تفصيلا عن كل ما لقيته، انت ومن فقدتهم، حتى يومنا هذا.

اجايون : ان- ولدي الثاني الذي اصبح وحيدا بعد هذا الحادث، حينما بلغ

ربيعه الثامن عشر، شاء ان يتقصّى أخبار اخيه، وألحّ عليَّ كي أسمح له ولخادمه الذي فقد نظيره اخا لم يعد يذكر اسمه، كي يرافقه في البحث. وفي غمرة رجائي بأن ارى ثانية ولدي المفقود، غامرت بحياة الذي خصصته بكل محبتي. وأثناء الصيف خلال خمس سنوات سافرت حتى أقاصي اليونان متنقلا حتى في متاهات آسيا الى ان القيت رحلي في عودتي على شواطىء أفسس وقد خاب أملي في العثور على ولديّ بعد ان جبت تقريبا جميع أصقاع المسكونة. هنا تنتهي قصتي، وأنا مستعد لتجرع كأس المنون راضيا في هذه الساعة لو أدت أسفاري الى التيقن من وجودهما على قيد الحياة.

الدوق : ما أتعسك يا اجايون، اذ رماك الدهر بصروفه القاسية. صدقني ان قلت لك اني كنت حاولت المستحيل في هذا السبيل، لو لم يكن الأمر مخالفا لشرائعنا، ومذريا لتاجي ولقسمي وللهيبة التي لا يجوز للأمراء ان يمتهنوها عندما يعنّ لهم ذلك على بال. ولكن بالرغم من كونك محكوما بالاعدام، وكون نقض هذا الحكم يمسّ كرامتي، فأنا عازم على مساعدتك بقدر المستطاع. وبالتالي، أمنحك العفو، ايها التاجر، وأتعهد بمد يد العون اليك. فاتصل بجميع اصدقائك في أفسس، إلتمس او اقترض أي مبلغ تحتاج اليه فتحيا، وإلا كان نصيبك الموت. احتفظ به ايها السجّان واحرسه واسهر عليه.

السجّان : أمرك مطاع، يا مولاي.

اجايون : اني أنسحب مكسور الخاطر، محطم الامل غير ان نزاعي الاخير يمهلني ولا يهملني.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في الساحة العامة

(يدخل وانطيفولوس سرقوسه ودروميون سرقوسه)

التاجر (لأنطيفولوس) : عليك ان تعلن انك من ابيدمنوم، اذا شئت ان لا تصادر أرزاقك حالا. فاليوم بالذات ألقي القبض على تاجر من سرقوسه لانه نزل من السفينة الى شواطئنا المحظورة عليه. وبما انه لا يملك ما يفتدي به حياته حسب قوانين مدينتنا، تحتم عليه ان يموت قبل ان تغيب الشمس قريبا وراء أفق المغرب. هاك المال الذي احتفظت لك به كوديعة.
انطيفولوس سرقوسه (لدروميون) : خذ هذا الى نزل السنطور حيث نمكث، والبث هناك حتى أوافيك يا دروميون. اذ لا يزال امامنا ساعة من الزمن ليحين وقت الغداء. في هذه الاثناء سأطّلع على عادات اهل المدينة وأرى التجار وأتفحص الأبنية، ثم اعود لأنام لان السفر الطويل قد أرهقني، هيا اذهب.
دروميون سرقوسه (يأخذ كيس النقود) : اغلب الناس يصدقون كلامك ويمضون فعلا، وهم على احسن حال.

(يخرج دروميون سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : عندما تنال مني الهواجس والاحزان، يا سيدي، يسرّي عني هذا اللص الشريف بنكاته. هيا، ألا تحب ان تتجول قليلا بمعيتي في أرجاء المدينة، ثم ترافقني لنتناول طعام الغداء معا ؟
التاجر : لقد دعاني، يا سيدي، بعض التجار الذين آمل ان أعقد معهم صفقات رابحة جدا، فألتمس منك ان تعذرني. وأنا حول الساعة الخامسة على أبعد احتمال، أوافيك الى السوق اذا شئت، ثم ألازمك في السهرة حتى يحين وقت النوم. لان اعمالي تشغلني عنك في هذه الآونة.

انطيفولوس سرقوسه : الوداع. أنوي ان أتجول في المدينة وأتعرّف الى معالمها.

التاجر : أتمنى لك حظا سعيدا، يا سيدي.

(يخرج)

انطيفولوس سرقوسه : من يتمنّى لي الحظ السعيد يرغب في ما لا يتسنى لي ان ألاقيه. انا في هذا العالم كقطرة الماء التي تبحث عن قطرة ماء اخرى ضائعة مثلها في المحيط. وهي تدع نفسها تسقط لتلاقي مثيلتها، لكنها قلقة وغير منظورة، تغوص في أعماق اللجّة. هكذا انا شئت ان ألاقي أماً وأخاً تعيسين، أجدّ في البحث عنهما.

(يدخل دروميون أفسس)

هذا برنامج حياتي الحقيقي. فأية صدفة جعلتك تعود هكذا باكرا.

دروميون أفسس : أأنا عدت باكرا ؟ بل قل اني متأخر. الخبز قد احترق واللحم سقط عن المشواة. الساعة دقت الاثنتي عشرة وسيدتي لطمتني على خدي لطمة قوية. ولقد اغتاظت هكذا لان طعام الغداء قد برد. والغداء برد لانك لم تعد. وأنت لم تعد لأنك فقدت شهيتك للأكل. وشهيتك مفقودة لانك تناولت وجبة افطارك متأخرا. غير اننا نحن الذين نعرف بالاختبار ما معنى الصوم والصلاة، نكفّر اليوم عما سببته لنا من ذنوب.

انطيفولوس سرقوسه : تمالك نفسك، يا صاح... ارجوك ان تقول لي اين تركت النقود التي اعطيتك اياها ؟

دروميون أفسس : تعني الدراهم الستة التي اخذتها يوم الاربعاء الماضي لأدفع اجرة تصليح سرج حصان سيدتي. لقد دفعتها للسرّاج يا سيدي ولم أحتفظ بها.

انطيفولوس سرقوسه : لا قبل لي للضحك في هذه اللحظة. قل لي بدون مزاح اين النقود ؟ نحن هنا غرباء، فكيف تجاسرت على تبديد مبلغ هام كهذا ؟

دروميون أفسس : رحماك يا سيدي. يمكنك ان تمزح في اوقات فراغك. انا آتٍ اليك على عجل من قبل سيدتي، واذا عدت بدون ان أصطحبك،

ستعاقبني عقابا صارما بسببك. على ما يظهر، ان معدتك نظير معدتي تسير بانتظام كالساعة وتنادينا الى البيت بدون حاجة الى رسول لاستدعائنا.

انطيفولوس سرقوسه : هيا يا دروميون، مزاجك الآن في غير محله. الأولى بك ان ترجئه الى وقت يسود فيه المرح اكثر من هذه الساعة. ولكن، اين الذهب الذي أوصيتك بالحرص عليه ؟

دروميون أفسس : هل اعطيتني اياه حقا ؟ لكنك لم تسلمني ذهبا.

انطيفولوس سرقوسه : ما هذا الكلام ايها البارد ؟ دعك من هذه الادعاءات الصبيانية. واصدقني القول. ماذا فعلت بما أوكلت امره اليك ؟

دروميون أفسس : لم أكلف الا بمسألة واحدة، هي الذهاب الى السوق للبحث عنك ثم اصطحابك للغداء في بيتك في محلة الفينيق حيث تنتظرك سيدتي وأختها.

انطيفولوس سرقوسه : هيا أجبني، في أي مكان أمين اودعت مالي ؟ والله لأحطِّمنَّ رأسك ان ثابرت على هذا النكران الذي لا أستسيغه. اين الالف دينار التي قبضتها مني ؟

دروميون أفسس : لقد تلقيت عدة ضربات من سيدتي على رأسي، ونظيرها على كتفيّ. انما لم يصل المجموع الى الألف. فان رددتها لسيادتك فلن تتلقاها برضى وارتياح.

انطيفولوس سرقوسه : ضربات من سيدتك ؟ ومن هي سيدتك، ايها اللص المحتال ؟

دروميون أفسس : زوجة سيادتك، سيدتي التي تنتظر قدومك للغداء في محلة الفينيق، وهي تتضرّع كي تعجِّل في الحضور.

انطيفولوس سرقوسه : ما هذا التصرف الأرعن ؟ أتصرّ على مضايقتي بالرغم من تنبيهك الى التزام الجد. هاك، ايها الوغد اللئيم.

(يضربه)

دروميون أفسس : ما هذه المعاملة الغريبة، يا سيدي ؟ بالله عليك، أوقف يدك. وإلا أجبرتني على اللجوء الى الفرار.

(يهرب)

انطيفولوس سرقوسه (وحده) : أقسم بحياتي، ان هذا اللص، بحيلة من الحيل يسرق جميع نقودي. يقال ان هذه المدينة تعج بالنشالين البارعين الذين يخدعون النظر، والدجالين المحتالين الذين يسيطرون على العقول، والساحرات وقتلة النفوس الذين يشوهون الاجسام، والأوغاد المتنكرين والمراوغين الثرثارين، والعديد غيرهم من اهل الفساد. فان كان هذا هو الحال، فما عليَّ الا ان أنسحب بأقرب وقت. سأذهب الى نزل السنطور للبحث عن هذا المراوغ، لأني اخشى أن يكون مالي في خطر.

(يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في محلة الفينيق

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : لم يعودوا بعد، لا زوجي ولا الخادم الذي ارسلته في طلب سيده بعجلة فائقة. لا بد، يا لوسيانا، من ان تكون الساعة الآن الثانية.
لوسيانا : ربما دعاه احد التجار الى الغداء في مكان ما عند مغادرته السوق. تعالي نتغدى، يا أختاه، ولا تبالي بأحد. فالرجال سادة حريتهم. وليس من يتحكم بهم سوى الوقت، وحسب ظروفهم يروحون ويغدون. وعلى هذا الاساس ليس امامنا، يا أختي، الا الصبر الجميل.
ادريانا : لماذا يتمتعون بحرية اوفر من حريتنا ؟
لوسيانا : لان مشاغلهم تستدعيهم دائما الى الخارج.
ادريانا : لكن، اذا تصرفت انا مثلهم، لماذا يحملون عملي على محمل السوء ؟
لوسيانا : لا تنسي ان الرجل في يده مقود ارادته.
ادريانا : الحمير وحدها ترضى بالانقياد هكذا.
لوسيانا : الحرية الجامحة تخضعها سياط المصائب. اذ ليس في السماء ولا

على الارض ولا في البحر ولا في الفلك ما لا يخضع للنظام. فإناث ذوات الاربع، والاسماك والطيور كلها خاضعة لذكورها المتسلطة عليها. اما الانسان الذي يمتّ بالصلة اكثر منها الى الخالق، سيد الكون، رب القارات الشاسعة والمحيطات الممتدة الاطراف، فيعتبر روح الثقافة، لانه ارقى من الاسماك والطيور، وهو سيد الانثى التي تزعن لما تفرضه عليها المقتضيات.

ادريانا : وهل هذه العبودية ذاتها هي التي تحول دون زواجك ؟

لوسيانا : كلا، هي خشيتي من التقلبات في سرير الزوجية.

ادريانا : لكن، ان تزوجتِ، تسنى لك الاستئثار ببعض النفوذ.

لوسيانا : قبل ان أتعلم الحب، عليّ ان أتمرّس بالطاعة.

ادريانا : واذا كانت عيون زوجك تتطلع الى خارج البيت ؟

لوسيانا : أنتظر بصبر وهدوء حتى يعود اليّ.

ادريانا : محافظة المرء على الهدوء بطول أناة لأمر بسيط حين لا يكون قد مر بالتجربة. والانسان يستطيع ان يلتزم اللطف عندما لا يسعه ان يلجأ الى عكسه. وهل يقوى البائس المسكين الذي حطمه الشقاء على الصراخ عاليا بدون ان نزجره لكي يخرس ؟ انما، ان كان علينا ان نتحمل هذا القدر من العذاب، ستضاهي شكوانا ذروة ألمنا، ان لم تفقه. انت مثلا ليس لك زوج لئيم يضايقك، فتظنين انك تهوّنين عليَّ بتحريضك اياي على الصبر بسبب عجزي. لكن، ان عشتِ حتى تري حقوقك مهضومة ستكفين حينئذ عن الاعتصام بهذا الصبر الغبي.

لوسيانا : سأتزوج يوماً لأجرّب ذلك بنفسي. ها هوذا خادمك يتبعه زوجك من بعيد.

(يدخل دروميون أفسس)

ادريانا : هل سيدك المتأخر آتٍ وراءك ؟

دروميون أفسس : لقد لحق بي شوطاً طويلا. وها هي أذناي خير شاهد على صدق قولي.

ادريانا : هل كلّمته ؟ هل علمت بما ينوي عمله ؟

دروميون أفسس : نعم، نعم. لقد همس في أذني. ملعونة يده التي اطارت الشرر من عينيّ.
لوسيانا : هل كلمك بطريقة مبهمة لم تمكنك من ادراك ما يفكر به ؟
دروميون أفسس : كانت تعابيره في غاية الوضوح فطاش لها صوابي، وفي الوقت ذاته غامضة فأعمت بصيرتي.
ادريانا : ألا قل لي، بربك، هل هو عائد الى البيت ؟ أراه كثير الانهماك بارضاء زوجته.
دروميون أفسس : حقا، يا سيدتي، سيِّدي يحيِّر احياناً، لأنه مهووس.
ادريانا : مهووس، ايها المحتال ؟
دروميون أفسس : انا لا أدّعي انه أجوف نظير القمر عندما يهل. لكنه مهووس بكل معنى الكلمة، أي انه لا يلتزم دائما جانب الاتزان والتعقل. فحينما رجوته ان يعود للغداء، طالبني بألف دينار ذهبي. الطعام يحترق، فرد : اين ذهبي ؟ سألته : ألا تنوي الرجوع ؟ فنهرني صارخا : اين ذهبي ؟ ماذا فعلت بالالف دينار التي سلمتك اياها، ايها السارق ؟ قلت له : الطعام يحترق، يا سيدي، فأجابني : اين ذهبي، اين ذهبي ؟ فقلت : يا سيدي، ان سيدتي... فعاجلني بقوله : قتل الطاعون سيدتك، انا لا اعرف سيدتك. اذهب انت وسيدتك الى الجحيم.
لوسيانا : من تكلم هكذا ؟
دروميون أفسس : سيدي. اذ قال : انا لا اعرف لا بيتا ولا زوجة ولا أفهم ما تقول. حتى انه حمَّل كتفيّ الجواب الذي كان على لساني ان ينقله اليك، يا سيدتي. بالاختصار، هنا تلقيت ضرباته القاسية (يشير الى كتفه).
ادريانا : إمضِ ايها اللص، واياك ان ترجع بدونه.
دروميون أفسس : أأعود لأتلقى ضربات أقسى من الأولى ؟ بالله عليك، ابعثي اليه برسول غيري.
ادريانا : اذهب ايها المحتال، وإلا شطرت رأسك الى اربعة اجزاء.
دروميون أفسس : هذا يزيد الطين بلة فوق ما تكونين قد اتحفت به عقلي من الخبل.

ادريانا : اخرج من هنا، ايها الشرير الثرثار. عد بسيدك حالا وسريعا.
دروميون أفسس : أترينني غبيّا بمقدار ما انت قاسية عليّ، حتى تقذفيني كالكرة من جديد ؟ انت تطردينني من هنا، كما يطردني هو من هناك. فاذا كتب عليّ الاستمرار في هذه اللعبة المؤذية غلّفيني على الأقل بوسادة من الجلد تخفف عليّ وطأة الوجع.

(يخرج)

لوسيانا : تباً لك. ما أقبح قلة الصبر التي تمسخ سحنتك !
ادريانا : هو يجود على صديقاته بكرم حضوره، بينما انا في البيت اتوق الى نظرة حنان منه. هل انتزعت السنون بهذه الخشونة ما كان محياي، الكئيب حاليا، يتحلى به من جمال ؟ ان صح الامر، فهو المسؤول عن هذا التحول. هل حديثي ممل وذهني مجدب ؟ ان كان كلامي لم يعد طليا ومرضيا كالسابق، فان عدم احساسه، الصلب كالصخر، قد ذهب برونقه. هل تجتذبه صديقاته بملابسهن الانيقة ويحظين باسمات بعطفه ؟ ذاك لا حيلة لي به، لانه هو سيد مصيري. ماذا تغيّر فيّ، لم يكن هو العامل الاول على تشويهه ؟ فان كنت مرهقة فبسببه، وان هرمت ملامحي فبسببه ايضا. لان نظرة مشعة يلقيها عليّ ترمم سريعا ما تبقى لي من حسن متداع. اما هو المتمرد العزيز، فقد حطم جميع الحواجز ليذهب ويرعى في حقل غير الذي ألفه بجواري. وأنا المسكينة لم اعد في نظره سوى شبح مخيف كريه.
لوسيانا : ما هذه الغيرة ؟ قبحاً لها. عليك ان تبتعدي عنها لترتاحي.
ادريانا : هناك بعض المستهترات، الخالعات العذار، الخاليات من كل شعور نبيل، وحدهن لا يأبهن لهذه الهواجس التي تدل على الامانة واللهفة. انا اعرف ان عينيه تنظران على الدوام بتقدير الى غيري، وإلا ماذا يشغله عن الحضور الى هنا ؟ انت تعلمين، يا اختي، انه وعدني بسلسلة، وأنا أتمنى ان تكون الهدية الوحيدة التي اشتهيها. كما ارجو ان يظل مخلصا في علاقاتنا الزوجية. انا ألاحظ جيدا ان احلى الجواهر لا بد ان تفقد روعتها وبريقها. فالذهب مهما قاوم تقادم عهده فكثرة اللمس تبريه على مدى الأعوام. هكذا ليس من رجل لا تفسد اخلاقه اساليب الخداع والانحطاط. بما ان جمالي لم يعد باهرا

في نظره، أود بعد كثرة النحيب ان أحطم ما تبقى لي من إباء وأموت كمدا.
لوسيانا : كم من عديمي الاحساس ينساقون وراء الغيرة الحمقاء القاتلة !

(تخرجان)

المشهد الثاني

في الساحة العامة

(يدخل انطيفولوس سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : ان الذهب الذي اعطيته دروميون هو الآن مودع في نزل السنطور بأمان، والسارق المراوغ انطلق يبحث عني. حسب توقعات مضيفي وتقديره، لم أتمكن من محادثة دروميون هذا منذ ان ارسلته الى السوق، وها هو الآن قادم.

(يدخل دروميون سرقوسه)

ما وراءك من الاخبار يا سيدي ؟ هل تبدل مزاجك المرح ؟ ان كنت تحب الضربات فما عليك الا ان تكرر مزاجك بأنك لا تعرف موقع السنطور مثلا، وتدّعي انك لم تستلم مني ذهبا، وان سيدتك ارسلتك لتصطحبني الى الغداء. ألا اعلم اني باق هنا في محلة الفينيق. فهل يسرّك ان تثابر على هوسك وتجيبني بمثل هذه الحماقات ؟
دروميون سرقوسه : ما هذا الحديث يا سيدي ؟ متى تفوهت انا بمثل هذا الكلام ؟
انطيفولوس سرقوسه : في هذه اللحظة، وفي هذا المكان بالذات منذ أقل من نصف ساعة.
دروميون سرقوسه : انا لم ابصرك منذ مدة طويلة. فكيف اعدتني من هنا الى نزل السنطور مع الذهب الذي سلمتني اياه ؟
انطيفولوس سرقوسه : يا لك من لص ماكر ! انت تنكر اني اعطيتك الذهب،

وانك كلمتني عن سيدة، وعن غداء. هذه الامور لا تعجبني بتاتا، وآمل ان تكون قد فهمت واستوعبت ذلك.

دروميون سرقوسه : يسرني جدا ان اراك مسرورا ومنشرح الصدر، يا سيدي. ولكن، ما معنى هذا المزاح ؟ ارجوك ان تفسره لي يا سيدي.

انطيفولوس سرقوسه : كيف تجسر على الهزء بي هكذا وعلى انكار الحقائق ؟ أتظنني أداعبك ؟ خذ هذا، وهذا، ثم هذا ايضا.

(يضربه)

دروميون سرقوسه : كفى يا سيدي، بالله عليك. اضحى مزاحك مزعجا ومستهجنا. لماذا تتهجّم عليّ هكذا ؟

انطيفولوس سرقوسه : لاني أعتبرك احيانا سميري، أكلمك لأتسلى. انما اراك بكل وقاحة لا تبالي بحسن نيتي ولا تعبأ بجدّيتي. عندما تسطع الشمس يظهر الذباب الطائش الثقيل الظل ويملأ الدنيا بطنينه المزعج. لكن حالما تحتجب وراء الغمام، عليه ان يختفي في أوكاره ويريحنا. اذا شئت ان تمازحني تمعّن في ملامح وجهي وتصرف بما ينسجم وحركاتي الصامتة، او ألزمتك بعنف بالتقيد بآداب المعاشرة، يا ايها المسخ العنيد السمج.

دروميون سرقوسه : هل تعتقد بأني مشاكس غبي، بقدر ما كنت تود ان تكون انت مسايرا ظريفا، حتى تكفّ عن مضايقتي ؟ فاذا ثابرت على ضربي، اضطررت الى حماية نفسي منك، وإلا ظلت ضرباتك تنهال علي كالمطر. فرحماك يا سيدي ! بماذا اسأت اليك لأستحق العقاب ؟

انطيفولوس سرقوسه : ألا تعلم بعد ؟

دروميون سرقوسه : انا لا اعرف سوى ان الضربات تنهال عليّ.

انطيفولوس سرقوسه : هل عليّ ان أبيِّن لك السبب ؟

دروميون سرقوسه : أجل يا سيدي. ما دام لكل امر علة.

انطيفولوس سرقوسه : اولا، لانك سخرت مني، ثم لانك انت البادىء، والبادىء أظلم.

(يضربه مجددا)

دروميون سرقوسه : هل اتفق لك ان تضربني قبل الآن ؟ لذا شرحك لا معنى له فشكرا.

انطيفولوس سرقوسه : علامَ انت تشكرني، يا سيدي ؟

دروميون سرقوسه : على اعطائك اياي ما أستحقه.

انطيفولوس سرقوسه : سأعوض عليك في المرة القادمة بعدم اعطائك شيئا مقابل ما ستقدمه لي. لكن، قل لي يا سيدي، هل حان وقت الغداء ؟

دروميون سرقوسه : كلا، يا سيدي. أظن ان اللحم يحتاج الى ما حصلت عليه.

انطيفولوس سرقوسه : وعلامَ حصلت، من فضلك ؟

دروميون سرقوسه : على مرق لذيذ.

انطيفولوس سرقوسه : لا يصعب اعداده. وهذا كل ما في الامر.

دروميون سرقوسه : في هذه الحالة، يا سيدي، ارجوك ان لا تلمس شيئا.

انطيفولوس سرقوسه : ولأي سبب ؟

دروميون سرقوسه : خوفا من ان تستشيط غضبا، وأن تغطسني مرة اخرى في المرق.

انطيفولوس سرقوسه : هيا، يا سيدي، تعلَّم ان لا تمزح الا في المناسبات. اذ لكل امر زمان.

دروميون سرقوسه : هذا ما كنت انكرته، لو ما تملكك الغضب.

انطيفولوس سرقوسه : وما حجتك، يا سيدي ؟

دروميون سرقوسه : حجتي في غير محلها نظير الصلع المبكر.

انطيفولوس سرقوسه : انا مستعد لسماعها.

دروميون سرقوسه : لا سبيل لاسترداد الاصلع ما تساقط من شعره.

انطيفولوس سرقوسه : ألا يمكن استرجاعه بوسيلة من الوسائل ؟

دروميون سرقوسه : نعم، بشراء شعر مستعار للاستعاضة به عن الشعر المفقود.

انطيفولوس سرقوسه : لماذا يبخل الزمان علينا بعلاج الشعر في مثل هذا الحال ؟

دروميون سرقوسه : لان هذه الحسنة تشمل الحيوانات بسخاء. بينما الرجال محرومون منها. اذ يفقدون الشعر ويعوض عليهم بالفهم والذكاء.

انطيفولوس سرقوسه : لا يزال بين الرجال من تفوق كثافة شعرهم مدى ادراكهم وفطنتهم.

دروميون سرقوسه : ليس فيهم من يرغب في فقد شعره بغير مقابل.

انطيفولوس سرقوسه : منذ لحظة أكدت ان الرجال الأكثف شعرا هم الذين يتمتعون بالبلادة دون الذكاء.

دروميون سرقوسه : كلما ازداد الرجل بلادة تفاقم امكان فقده شعره، وهو يخسره راضيا مسرورا.

انطيفولوس سرقوسه : لأي سبب ؟

دروميون سرقوسه : لسببين مقبولين.

انطيفولوس سرقوسه : ارجوك ان لا تقول معقولين.

دروميون سرقوسه : اذاً لسببين وجيهين.

انطيفولوس سرقوسه : لا تقل ايضا وجيهين، عندما يكونان مغلوطين.

دروميون سرقوسه : اذاً هناك سببان اكيدان.

انطيفولوس سرقوسه : اذكرهما.

دروميون سرقوسه : الاولى ان يوفر نقوده فلا يصرفها على تجعيد شعره، والثاني ان لا يخشى سقوط بعض شعره في الحساء اثناء الاكل.

انطيفولوس سرقوسه : لقد شئت، طوال هذه المدة، ان تثبت ان لا مجال لاسترداد الشعر بعد سقوطه.

دروميون سرقوسه : لقد اثبته، يا سيد، ولا مجال بتاتا لاسترداد الشعر بعد فقدانه.

انطيفولوس سرقوسه : لكنك لم تبرهن بشكل قاطع لماذا لا مجال لاسترداده.

دروميون سرقوسه : هاك حجتي : الزمان هو ذاته اصلع. ولذلك يرغب حتى نهاية العالم ان يشيعه موكب من الصلعان.

انطيفولوس سرقوسه : كنت عالما بأن استنتاجك اصلع لكنه دامغ. ترى، من يومىء الينا بيده هناك ؟

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : نعم، نعم. تعلو محيا انطيفولوس امارات عدم المبالاة والخشونة، بينما انت تجود بنظراتك، الفياضة عطفا وحنانا، على احدى صديقاتك. انا لست ادريانا ولا زوجتك. مع ذلك، منذ مدة، اقسمت لي جازما بأنك لم تسمع كلمة واحدة حلوة الوقع على أذنيك، ولم تبصر ما يسر ناظريك، ولم تلمس يدا ناعمة، ولم تذق مأكلا شهيا الا وأنا بقربك، اتأمل فيك معجبة وأداعبك وأخدمك. فكيف اتفق لك يا زوجي العزيز ان تتجاهل ذاتك ؟ اقول ذاتك لانك هكذا تتجاهلني انا التي لا أفارقك، بل أندمج فيك، وأنا احلى جزء من شخصك الغالي. لا تتنصَّل مني، واعلم يا حبيبي ان سقوط قطرة ماء في المحيط وتبعثرها، ثم محاولة سحبها كاملة بدون زيادة ولا نقصان، لأهون من ان تحاول الابتعاد عني بدون ان تجرّني اليك. كم تشعر بأن جرحك عميق، لو أيقنت بأني خائنة، وان جسمي الذي خصصتك به قد ذوى في مغامرة زنى ؟ أولا تبصق في وجهي وتطردني من بيتك ؟ أولا ترفض اعتباري زوجتك ؟ أولا تسلخ جلدي الذي لوثته بعار وقاحتي وانحطاطي ؟ أولا تنتزع خاتمي من اصبعي الجاني وتحطمه تحت قدمك وتحلف عليّ بطلاق مؤبّد ؟ انا واثقة بأنك تفعل كل ذلك. اذاً لا تتأخر عن تنفيذه. فأنا ملطخة بجرم العهر، ومتمرغة في أوحال الدعارة التي اختلطت بدمي النجس. لاننا ان كنا فعلا كلانا شخصا واحدا، وأنت غير وفيّ، فان عدوى جسدك تسري في عروقي وأكون انا عاهرة سرت خيانتك الى أحشائي. فاحتفظ اذاً بحبك وايمانك لزوجتك الشرعية لكي احيا انا بدون سفالة، وأنت بدون عار ومذلة.
انطيفولوس سرقوسه : اتخاطبينني ايتها السيدة الجميلة ؟ انا لا اعرفك، لاني ما قدمت من افسس الا منذ ساعتين فقط. انا اذاً غريب عن ديارك كغربتي وعما تنسبينه اليّ. ومهما حصرت ذكائي في ادراك كل كلمة من اقوالك فالفطنة تخذلني ولن اعي حرفا واحدا منها.
لوسيانا : تباً لك، يا اخي. كم تبدلت الامور في نظرك ! متى عاملت هكذا اختي التي ارسلت دروميون في طلبك للغداء ؟
انطيفولوس سرقوسه : أأنا ارسلت دروميون ؟
دروميون سرقوسه : هل أرسلتني أنا ؟

ادريانا : أجل، انت. وقد جئتني بجواب منه تستحق صفعة لاجله، اذ انكر ان بيتي يخصه، واني انا قرينته.
انطيفولوس سرقوسه (لدروميون) : هل تحدثت فعلا، يا صاح، الى هذه المرأة، ما معنى مؤامرتك، وما هدفها ؟
دروميون سرقوسه : انا، يا سيدي، لم ابصر لها وجها قبل الآن.
انطيفولوس سرقوسه : انت كاذب، ايها المنافق الحقير، لانك نقلت اليّ كلامها تماما كما نطقت به في السوق.
دروميون سرقوسه : انا لم أكلمها في حياتي.
انطيفولوس سرقوسه : كيف تسنى لها اذاً ان تدعونا بأسمائنا ؟ هل نزل عليها وحي من السماء ؟

ادريانا : صدقني. لا يلائمك تمثيل هذه الرواية السخيفة مع خادمك الذي حرضته على مشاكستي في احزاني. يكفيني ظلما ان اصبح مهجورة. فلا تزد على اذلالي اهانة جديدة، إمعانا في تحقيري. هيا، انا أصرّ على التعلق بذراعك يا قريني، فأنت كالشجرة الراسخة في الارض، وأنا كالكرمة الضعيفة. فبتغلغل قواك الطبيعية في كياني ينتقل اليّ عنفوانك، وان فصلتك عني بعض نباتات مهملة او متسلقات طفيلية او اشواك جارحة او اعشاب عقيمة لم تقتلع، رغم انها اصبحت خانقة، فلا تجفف نسغك وتودي بك الى الهلاك.

انطيفولوس سرقوسه : هي تخاطبني، وتنصب حولي حبائل اشواقها ومناجاتها. ماذا جرى ؟ هل اكون قد تزوجتها في الحلم ؟ ام اني لا ازال نائما ويخيل اليّ اني اسمع كل هذا يدور حولي ؟ ما هذه الاخطاء التي تضلّل آذاننا وعيوننا ؟ فلكي يتسنى لي توضيح هذا الغموض، لا يسعني الا تصديق الاوهام التي تعترض سبيلي.

لوسيانا : اذهب، يا دروميون، وقل للخدم ان يجهزوا مائدة الغداء.
دروميون سرقوسه (على حدة) : اين سبحتي ؟ يخيل اليّ اني مخطىء. هذه دنيا الجنيات. يا لمهزلة المهازل. نحن نخاطب أبالسة وغيلان وعفاريت. اذا لم نطعها ونخضع لها، حطمت قلوبنا وأزهقت أنفاسنا.

لوسيانا : لماذا تغمغم بدلا من ان تجيب بصراحة ؟ يا دروميون، يا احمق، يا ذميم، يا حقير.

دروميون سرقوسه (لأنطيفولوس) : لقد تحولت الى مخلوق آخر، أليس كذلك يا سيدي ؟

انطيفولوس سرقوسه : أعتقد بأنك لا تزال على طبعك كما كنت نظيري تماما.

دروميون سرقوسه : لا، لا. انا استحلت كائنا جديدا، روحا وجسدا.

انطيفولوس سرقوسه : بل انت لا تزال على حالتك الاصلية خَلقا وخُلقا.

دروميون سرقوسه : كلا، انا اصبحت نسناسا.

لوسيانا : ان كنت قد تحولت فعلا فقد صرت حمارا.

دروميون سرقوسه : حقا هي ترهقني، وأنا اتوق الى المرعى. فعلا انا حمار، ولذا تعذر عليّ أن اعرفها كما عرفتني هي.

ادريانا : هيا، هيا. انا لا اريد ان اكون حمقاء، فأضع اصبعي في عيني وأبكي، بينما زوجي وخادمي لا يأبهان لأحزاني. يا زوجي العزيز، أود ان اتناول اليوم طعام الغداء بصحبتك، وأن أحملك على الاعتراف بألف مغامرة مشينة. ايها المحتال، اذا سأل احد عن سيدك، قل انه انه يتغدى خارج البيت، ولا تدع احدا يدخل داري. تعالي يا أختاه. يا دروميون، قم كما يجب بوظيفتك كبواب يقظ.

انطيفولوس سرقوسه : هل انا على الارض ام في السماء ام في الجحيم ؟ هل في يقظة انا ام في منام ؟ هل انا مجنون ام عاقل أتمتع بكامل ادراكي ؟ اراها تعرفني، وانا اجهل نفسي، أخبط خبط عشواء في ضباب هذه المغامرة الغريبة.

دروميون سرقوسه : هل عليّ ان اقوم يا سيدي، بوظيفة البواب ؟

ادريانا : أجل. ولا تدع احدا يدخل، وإلا حطمت رأسك.

لوسيانا : تعال، تعال، يا انطيفولوس، لاننا تأخرنا كثيرا. فهيا نتناول غداءنا.

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

امام الفينيق

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس وأنجلو وبلطزار)

انطيفولوس أفسس : ايها السيد الكريم انجلو، لا بد لك من ان تعذرنا. ان زوجتي تبدو في غاية الخشونة عندما لا آتي في الوقت اللازم. ارجوك ان تدّعي اني تأخرت في محلك لأريك سلسلتها، وانك ستأتي بها الى البيت (يشير الى دروميون) انظر الى هذا المحتال الذي شهد امامي بأني كنت في السوق واني ضربته وطالبته بألف دينار ذهبي، واني انكرت زوجتي وبيتي. تباً لك من سكّير. ماذا تعني بأقوالك هذه ؟

دروميون أفسس : قل ما شئت يا سيدي. فأنا اعرف جيدا ما اعرف. وبرهانا على انك ضربتني، ها هي آثار أظفارك في جسمي تشهد على ذلك. فان لم يكن جلدي مثل الورق وضرباتك مثل الحبر، فان كتابتك دليل قاطع على صحة تصريحاتي.

انطيفولوس أفسس : انا أؤكد لك انك حمار.

دروميون أفسس : يا إلهي ! لا يصدق السامع اني فعلا ألقى المعاملة السيئة التي أتعرض لها، وان الضربات الموجعة تنهمر عليّ. لا بد لي من ان أهاجمك

عندما أتلقى الضرب، ويتحتم عليك حينئذ ان تتجنب رفس احدى قوائمي وأن تحاذرني بصفتي حماراً.
بلطزار : انا لا أهتم الا قليلا للمآكل الشهية، يا سيدي، لان ما آبه له حقا هو حسن استقبالك.
انطيفولوس أفسس : يا سنيور بلطزار، بخصوص اللحم والسمك، ارى ان افضل استقبال لا يوازي صحنا من الطعام اللذيذ.
بلطزار : ان الطعام الشهي والاستقبال الفخم هما لديّ افخر وليمة.
انطيفولوس أفسس : أجل، للمضيف البخيل وللضيف القانع على السواء. لكن مهما كانت مائدتي فقيرة، عليك ان تعتبرها نعمة كبيرة : اذ يمكن ان تلاقي مآكل ألذ منها، انما القلوب تكون أقل طيبة. على كل حال، ارى باب بيتي مغلقا، فاذهب واطلب فتحه لنا.
دروميون أفسس (يتجه نحو الباب) : يا مدلين، يا بريجيت، يا مريانا، يا سالين، يا جولييت، يا جانين.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : يا مغفَّل، يا غبي، يا بهلول، يا حقير، ابتعد عن الباب، اذا لم تشأ ان تعرقل السير. هل تريد ان تذكرنا ببنات الهوى حتى تنادي هذا السرب منهن، لا تدعو الحاجة الا الى واحدة ؟ هيا ابتعد عن الباب.
دروميون أفسس : ما أغباك من بوّاب ! ان سيدي ينتظر في الطريق.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : ليرجع من حيث اتى، اذا لم يرد ان تتعب رجلاه.
انطيفولوس أفسس : من المتكلم هنا ؟ هيا افتح الباب، يا هذا.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : عظيم ! سأقول لك مَن، حالما تقول لي لماذا.
انطيفولوس أفسس : لماذا ؟ لكي اتناول غدائي. لاني لم أتغدَ اليوم.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : ولن تتغدى اليوم هنا. عد متى استطعت.
انطيفولوس أفسس : من انت، يا من تمنعني عن دخول بيتي ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : انا المكلف بحراسة الباب حاليا، يا سيدي، واسمي دروميون.

دروميون أفسس : ايها الاحمق، لقد انتحلت عملي كما انتحلت اسمي ايضا. فالاول لم يوفر لي سوى قلة الاعتبار والثاني كثرة الاهانات. فاذا كنت اليوم دروميون بدلا عني، وجب عليك ان تريني وجهك عوضا عن اعلان اسمك، وتعطي اسمك الحقيقي بدلا من اسم الحمار.

لوسي (من الداخل) : ما هذه الضجة ! يا دروميون، من في الباب ؟

دروميون أفسس : دعي سيدي يدخل، يا لوسي.

لوسي (من الداخل) : بربي، لن ادعه. لانه وصل متأخرا. قل ذلك لسيدك.

دروميون أفسس : يا الهي ! هذا مضحك. هيا، يا غبية. هل تريدين ان اضربك ؟

لوسي (من الداخل) : أسكت انت، يا مغفل. كيف السبيل لإسماعك وإفهامك ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : ان كان اسمك لوسي، يكون جوابك في محله.

انطيفولوس أفسس : اسمعي، انت يا حلوة. أملي ان تدعينا ندخل.

لوسي (من الداخل) : أعتقد بأنني طلبت ذلك منكم.

دروميون سرقوسه (من الداخل) : ورفضتم.

دروميون أفسس : هيا اكمل الحوار. جوابك سديد. صاع بصاع.

انطيفولوس أفسس : افتحي، يا منافقة، ودعينا ندخل.

لوسي (من الداخل) : هل لك ان تقول لي باسم مَن ؟

دروميون أفسس : سيدي، إقرع الباب بعنف.

لوسي (من الداخل) : ليقرع حتى يكلّ.

انطيفولوس أفسس (يطرق الباب) : ستدفعين ثمن عنادك باهظا، يا عزيزتي، اذا اضطررتني الى خلع الباب.

لوسي (من الداخل) : وما همني ذلك. المشنقة منصوبة في المدينة.

ادريانا (من الداخل) : من يحدث كل هذه الضجة في الخارج ؟

دروميون سرقوسه (من الداخل) : قسماً بشرفي، ارى مدينتكم تعجّ بالاشقياء.
انطيفولوس أفسس : أأنتِ هنا، يا زوجتي ؟ كان عليك ان تردّي قبل الآن.
ادريانا (من الداخل) : زوجتك ؟ ايها السيد الغريب الاطوار. هيا ابتعد عن الباب.
دروميون أفسس : اذا حنق سيدي، يا سيدتي، فأعتقد بأن ذلك سببه نعتك اياه بالغريب الاطوار. أفلا يغيظه ذلك منك ؟
انجلو : هنا لا وجود لطعام لذيذ، ولا لاستقبال لائق، ونحن نود الحصول على الاثنين معا.
دروميون أفسس (بسخرية لأنطيفولوس) : ضيوفك ينتظرون ببابك، والمفروض ان تبادر الى استقبالهم.
انطيفولوس أفسس : الجو غير ملائم، ودخولنا متعذر.
دروميون أفسس : كنت تنشَّقت الهواء بصورة افضل، يا سيدي، لو كنت مرتديا ألبسة توفر لك الدفء. فطعامك ساخن في بيتك، بينما هنا تظل معرضا للبرودة. في هذا المأزق الحرج، لا يجمل بالانسان ان يستشيط غضبا نظير حيوان ذي قرنين يمشي على اربع قوائم.
انطيفولوس أفسس : اذهب وائتني بأية آلة متينة، لاني أنوي خلع الباب.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : أجل، حطِّم انت ما تشاء، وأنا سأهشِّم رأسك ايها الاحدق المغرور.
دروميون أفسس : من المحتمل مبادلتك كلمة او كلمتين، لان الحديث ذو شجون. وأنا عازم على تشويه وجهك كي لا يرميني احد بالجبن.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : يبدو عليك انك تروم كسر أضلاعك. ليت الطاعون أودى بحياتك ايها العلج الذميم.
دروميون أفسس : هذا لا يطاق. اودى الطاعون بك انت يا مغفَّل. هيا، افتح الباب. ارجوك ان تدعني ادخل.
دروميون سرقوسه (من الداخل) : نعم، نعم. عندما يتخلى الغنم عن صوفه والسمك عن زعانفه.

انطيفولوس أفسس : هيا اسرع، وإلا خلعت الباب، اذهب وائتني بخشبة ضخمة.
دروميون أفسس : خشبة ضخمة مالسة. أوليس هكذا تفضلها، يا سيدي ؟ (لدروميون سرقوسه) واذا كان لا وجود لسمك بدون زعانف، فعلى الاقل وجود الخشبة المالسة متوفر. وسنجد وسيلة لدخولنا، يا غبي.
انطيفولوس أفسس : هيا اذهب وائتني بقضيب من حديد.
بلطزار : صبراً، يا سيدي. لا تحرك ساكنا. وإلا شوهت صيتك بتعريض سمعة زوجتك لشتى التهم وأحط الظنون بشرفها. هناك كلمة اخيرة. ان خبرة حكمتها الطويلة، وفضيلة عفتها وسنها وتواضعها جميعها تشفع بتصرفها هكذا لاسباب أجهلها. فلا تظن، يا سيدي، انها ستعتذر عن اغلاق الباب في وجهك. صدقني، وانسحب بهدوء. هيا بنا نتغدى جميعا في مطعم النمر. ثم تعود وحدك مساءً لمعرفة حجتها الغريبة التي حدت بها الى هذا التمنُّع العجيب. أما اذا صمَّمت على الدخول عنوةً في اكثر ساعات النهار ازدحاما، فحثالة الناس يطلقون مختلف الاقاويل والتعليقات على لجوئك الى هذا العمل غير المألوف الذي يحطّ بكرامتك المشكورة. لان الجمهور سيختلق التهم الشنيعة التي تلاحقك حتى الممات، وتثقل في المستقبل على بلاط ضريحك الى الابد. ان النميمة طويلة الاجل كأنها تتوالد وتتعاقب باستمرار حالما تستقر في مكان ما، وترسخ فيه كالطود الهائل الحجم الى آخر الازمان.
انطيفولوس أفسس : لقد أقنعتني، وسأمضي بسلام، ومهما صعب عليّ التستُّر بالفرح سألازم ابتهاجي المصطنع. انا أعرف فتاة طليَّة الحديث رائعة الجمال ذكية الفؤاد، وان لم تخلُ من العيوب تظل طيبة القلب. سنذهب لنتغدى عندها. وعلى ذكر هذه الغادة، انا موقن بأن زوجتي، قسماً بشرفي، وبدون سبب، لن تكف عن مشاجرتي. هيا اذاً لنتغدى عندها. (لأنجلو) عد الى محلك وائتني بالسلسلة التي لا بد من ان تكون الآن جاهزة. ارجوك ان توصلها الى نزل القنفذ حيث تقيم. سأهب هذه السلسلة مضيفتي نكاية بزوجتي. عجِّل، يا سيدي العزيز. فبما ان قرينتي ترفض استقبالي، سأطرق غير بابها، وسأرى ان كنت سأظل محروما من الاستضافة.

انجلو : سألحق بك الى هناك بعد حوالي ساعة من الزمان.
انطيفولوس أفسس : لا تتأخر. فهذه القصة ستكلفني غاليا.

(يخرجان)

المشهد الثاني

في نفس المكان

(تدخل لوسيانا وانطيفولوس سرقوسه)

لوسيانا : أيمكنك ان تنسى هكذا تماما سائر واجباتك الزوجية ؟ هل يجوز، يا انطيفولوس، ان تذبل زهرة حبك في مستهل ربيعها ؟ هل يعقل ان يهدد صرح الاسرة بالدمار قبل ان يتم بنيانه ؟ ان كنت انت اقترنت بأختي لاجل ثروتها، فعاملها بمقتضى اللياقة على الاقل من قبيل الاعتبار لا غير. وان تحوّل هيامك الى سواها، فعليك ان تعشق سرا لا علنا، وضع على عواطفك قناعا كي تستر معاصيك، فلا تقرأ اختي فصولها في عينيك. لا تدع لسانك يفضح ذلك. كن لطيفا، مهذب الالفاظ معها. اخفِ خيانتك بثوب الفضيلة، وكن عالي الجبين مهما كان قلبك غارقا في الدنايا. وألبس ذنوبك حلّة الصلاح واخدع شريكة حياتك بطريقة متوارية. ما الفائدة من اعلامها بكل ما يجري لك ؟ فمَن مِن اللصوص يتباهى بما تقدم عليه يداه من السرقات ؟ ان جرمك مضاعف، لانك تخون زوجتك اولا، ثم تتعمد أن تعلن لها خيانتك، وأنت جالس الى مائدة طعامها. هل نسيت ان التهتك الذي يداريه صاحبه، يكتسب ولو قليلا من الاعتبار حتى في نظر اللئيم ؟ أما الكلام البذيء فبطانته شتائم غليظة لا تحتمل. أسفي على امرأتك المسكينة ! ألا اجعلها تعتقد، وهي السهلة التصديق، بأنك تحبها. وان حصل غيرها على النصلة، فاعطها المقبض على الاقل. نحن النساء ندور في فلككم ايها الرجال، فتتصرفون بنا كما يحلو لكم.

وهكذا اسألك ان تعود الى بيتك، يا اخي الكريم، فتأنس اختي اليك، ويهدأ روعها. قل لها انها رفيقة عمرك، فالظهور بمظهر الفضيل فضيلة، وان اتى ذلك منك على مضض. والتزلف احيانا وحلاوة اللسان، تبدد الشقاق وتتغلب على الفرقة والبغضاء.

انطيفولوس سرقوسه : سيدتي العزيزة، ولا ادري كيف أناديك، ولا كيف علمت باسمي، ان انوارك وأفضالك تجعل منك درّة الكون، بل مخلوقة سماوية اكثر منك أرضية. ارجوك ان تعلميني بماذا عليّ ان أفكر، وماذا اقول. اكشفي لبصيرتي البشرية الخشنة التي تكتنفها الاخطاء وهي هزيلة سطحية، معاني اقوالك المبهمة المخيبة للآمال. لماذا، بالرغم من خالص مودتي وأمانتي، تحاولين ان تضعضعي ثقتي بنفسي في متاهات مجهولة ؟ هل انت إلهة ؟ هل تطمحين الى خلقي من جديد ؟ حوّليني الى ما شئت، وأنا كلي خضوع لمقدرتك الفائقة. لكن، ان ظللت كما انا، فاني على يقين بأن شقيقتك الحزينة ليس قرينتي، وأنا لست شريك حياتها. هناك ما هو اهم بكثير مما نظن، فأنا من جهتي أشعر في أعماق صدري بميل لا يقاوَم اليكِ. فأرجوك ان لا تجتذبيني بأناشيدك العذبة فقط، ايتها الحورية الساحرة، لكي لا تغرقيني في بحر دموع اختك. ترنَّمي، ايتها الفاتنة، بما يعجبك، فذلك يبهج ايامي. انشري على الأمواج المتلألئة خصلات شعرك الذهبي، فأتمدد عليها كفراش وثير، وأنام ملء أجفاني. وفي حلمي الجميل أستسيغ الموت هكذا في سبيل رضاك. دعي هيامي الاثيري يغوص في بحر عواطفك، اذا كان مقدّرا لسراج حياتي ان ينطفىء بين يديك.

لوسيانا : هل اصابك مس من الجنون لتهذي هكذا ؟

انطيفولوس سرقوسه : انا لست مهووسا، لكنني فقدت البصيرة، ولا ادري كيف.

لوسيانا : الذنب ذنب عينيك.

انطيفولوس سرقوسه : لقد بهرني التحديق في عينيك الساحرتين، ايتها الشمس الساطعة.

لوسيانا : وجِّه أنظارك حيث يجب، فتسترد وعيك ايها المغفَّل.

انطيفولوس سرقوسه : أفضِّل أن أغمض عينيّ، يا حبيبتي، على ان يغشى ظلام الليل بصري.
لوسيانا : لماذا تدعوني حبيبتك ؟ عليك ان تنادي أختي هكذا.
انطيفولوس سرقوسه : ولماذا لا أنادي هكذا أخت اختك ؟
لوسيانا : اختي انا ؟
انطيفولوس سرقوسه : كلا. انتِ، انت يا قطعة من كبدي، يا نور عينيّ، يا احلى آمالي وأغلى أمانيَّ، يا نعيمي وسعادتي، يا نصيبي من الخلود.
لوسيانا : أختي هي لك كل ما تعدّده الآن، او ما يجب ان توجهه اليها.
انطيفولوس سرقوسه : ألا كوني انت هذه الشقيقة. فأنت وحدك قبلة رجائي، وأنت وحدك اتيه في هواك، ومعك وحدك أريد ان اقضي بقية عمري. انت غير متزوجة بعد، وأنا ليس لي من زوجة ان صح التعبير، فتكرمي عليّ برضاك واقبلي بأن تصبحي شريكة حياتي.
لوسيانا : مهلا، مهلا. هدىء روعك، يا سيدي. انا ذاهبة لآتيك بأختي، ولأطلب لك موافقتها.

(تخرج لوسيانا)

(يدخل دروميون سرقوسه، وهو خارج من البيت)

انطيفولوس سرقوسه : الى اين انت مسرع، يا دروميون ؟
دروميون سرقوسه : أتعرفني، يا سيدي ؟ هل انا دروميون ؟ أأنا رجلك ؟ هل انا بذاتي ؟
انطيفولوس سرقوسه : أجل، انت دروميون. انت رجلي، انت بذاتك.
دروميون سرقوسه : انا حمار. انا رجل امرأة. انا غير ما انا.
انطيفولوس سرقوسه : انت رجل اية سيدة ؟ وكيف انت غير ما انت ؟
دروميون سرقوسه : انا، يا سيدي، لم اعد أخصّ نفسي. انا ملك امرأة تدَّعي انها زوجتي، وهي تهيمن على عقلي وتريدني ان اكون اسيرها.
انطيفولوس سرقوسه : وماذا لها عليك من حقوق ؟
دروميون سرقوسه : عين ما لك من حقوق على حصانك، يا سيدي. هي تطالب بي كمطيَّة، لا لاني مطيَّتها، بل لانها ترغب في ان اكون كذلك،

ولانها هي ذاتها مفطورة على هذه الغريزة، لا تقوى على رؤيتي الا على هذه الصورة.

انطيفولوس سرقوسه : من تعني ؟

دروميون سرقوسه : زوجتي الفائقة الاحترام التي لا يسعني ان أكلمها الا بكل وقار وإجلال. انما صفقتي في الاقتران بها عادت عليّ بأبخس الأرباح، مع ان هذا الزفاف كان دسما جدا جدا.

انطيفولوس سرقوسه : ماذا تقصد بالزفاف الدسم ؟

دروميون سرقوسه : انها ابنة مطبخ، وكلها شحم ولحم، لا ادري كيف أستخدمها، ربما لأصنع منها مصباحا اهرب منها على ضوئه. أؤكد لك ان ملابسها القديمة بما فيها من دهن تظل مشتعلة طوال الشتاء القارس البرد، وان عاشت الى يوم القيامة تظل مشتعلة مدة اسبوع زيادة عن سائر البشر.

انطيفولوس سرقوسه : ما هو لون بشرتها ؟

دروميون سرقوسه : هي سمراء كحذائي. انما محياها أبعد ما يكون عن النظافة. لماذا ؟ لانِ العرق يتصبب منها بمقدار ما يتجمع حول أقدام الرجل الشريف من قذارة حتى الكاحل.

انطيفولوس سرقوسه : هذا عيب يغسله الماء.

دروميون سرقوسه : كلا، يا سيدي، هذا متغلغل في مسام جسمها، وطوفان سيدنا نوح عليه السلام، لا ينظفه.

انطيفولوس سرقوسه : ما اسمه ؟

دروميون سرقوسه : الطنّ، يا سيدي. انما اذ تثلَّث هذا الاسم أي اذا امسى ثلاثة أطنان، فلا يوازي زنة ردفيها.

انطيفولوس سرقوسه : هي اذاً من الوزن الثقيل.

دروميون سرقوسه : وهي من اعلى رأسها الى أخمص قدميها ليست أطول من عرض ردفيها. هي بالحري كالكرة الارضية، ونظرا الى سعة رقعتها يتسنى لنا ان نرى جميع البلدان عليها.

انطيفولوس سرقوسه : في أية بقعة من جسمها تقع إرلندا ؟

دروميون سرقوسه : في الحقيقة، يا سيدي، هي واقعة بين إليتيها. ولقد

أمكنني التعرف عليها من المستنقعات.
انطيفولوس سرقوسه : وأين تقع إسكتلندا ؟
دروميون سرقوسه : من ارضها القاحلة، عرفت انها في راحة كفّها.
انطيفولوس سرقوسه : وأين فرنسا ؟
دروميون سرقوسه : في جبينها المالس المقبَّب الدائم الشموخ مع رأسها.
انطيفولوس سرقوسه : وأين انكلترا ؟
دروميون سرقوسه : لقد بحثت عن شواطئها المرتفعة الحوّاريَّة. وإذ لم اجد فيها بياضا، قدَّرت ان تكون في ذقنها، نظرا الى المد المالح الذي يجري بينها وبين فرنسا.
انطيفولوس سرقوسه : وأين اسبانيا ؟
دروميون سرقوسه : والله، لم أعثر لها على أثر. انما أحسست بحرارتها في أنفاسها.
انطيفولوس سرقوسه : وأين اميركا والهند ؟
دروميون سرقوسه : على انفها المزيَّن بالياقوت والفيروز وسائر الاحجار الكريمة التي يبهر بريقها بفعل وهج منطقة اسبانيا التي ارسلت اساطيلها لتتزود من خيشمها.
انطيفولوس سرقوسه : وأين تقع بلجيكا ثم هولندا ؟
دروميون سرقوسه : لم أخفض نظري الى اسفل، يا سيدي. ففي الختام طالبتْ هذه الساحرة القذرة بحقوقها عليّ، ودعتني دروميون، وأقسمت لي بأنها اصبحت مالكتي، وأفهمتني ما لها عليّ من حقوق خاصة، وأحدثت علامة فارقة في كتفي وأخرى في عنقي، وبُثورا في يدي اليسرى، حتى انها اخرجتني عن رشدي، فهربت منها مهرولا كما يبتعد الصحيح عن الأجرب. وأعتقد بأنها لو لم يكن صدري عامرا بالايمان وقلبي صلبا كالفولاذ، كانت حوّلتني الى كلب صغير، وجعلتني أدير لها سيخ شواء اللحم.
انطيفولوس سرقوسه : عجِّل اذاً في الذهاب الى الشاطىء، فالاولى ان تبعدنا الرياح بسرعة عن اليابسة. انا لا أريد قضاء الليلة في هذه المدينة. فان لقيت هناك مركبا مقلعا بادر وانبئني في السوق حيث انوي ان أتنزّه قليلا. انا هنا

يعرفني الجميع ولا اعرف احدا، لذا يجمل بي ان اسافر في اقرب فرصة.
درومیون سرقوسه : كما يهرب الانسان من الدب ويطلق ساقيه للريح، هكذا أفرّ انا من زوجتي لأغنم نفسي.

(يخرج)

انطيفولوس سرقوسه : هذه البلاد تسكنها الساحرات الخبيثات. لذلك يتحتم عليّ ان أرحل عنها بسرعة. فان المرأة التي تدعوني زوجها، دفعتني الى كرهها من كل جوارحي. انما اختها الرائعة اللطيفة الناعمة الطليَّة الحديث الجذابة العينين، فتنتني وحملتني على الكفر بنفسي. ولكني لكي لا أساهم في هدم حياتي صممت على سد أذنيّ حتى لا أسمع نداءات هذه الحورية المغرية.

(يدخل انجلو)

انجلو : سيدي انطيفولوس ؟
انطيفولوس سرقوسه : نعم، انا هو.
انجلو : مرحبا، يا سيدي. هذه هي السلسلة. فكرت بأن أوافيك الى نزل « القنفذ » انما السلسلة لم تكن بعد جاهزة. وهذا ما أخرني بعض الوقت. (يقدم له سلسلة ذهبية).
انطيفولوس سرقوسه : ماذا تريدني ان أفعل بها الآن ؟
انجلو : ما يحلو لك، يا سيدي، فقد صغتها خصيصا لك.
انطيفولوس سرقوسه : هل صغتها لي ؟ انا لم اطلبها منك.
انجلو : لم تطلبها مرة او مرتين بل عشرين مرة. خذها وعد الى بيتك وقدمها الى زوجتك. فها قد دنا وقت العشاء. سأزوركم عندئذ وأقبض ثمن السلسلة.
انطيفولوس سرقوسه : تفضل خذ القيمة حالا، وإلا لن تفوز لا بالسلسلة ولا بثمنها.
انجلو : مزاحك مزعج، يا سيدي. الوداع.

(يخرج)

انطيفولوس سرقوسه : ما هذا التصرف السخيف ؟ لست أدري. انما لا يوجد في الدنيا من أحمق يرفض عرضا لشراء سلسلة كهذه. كيف لا يسع المرء ان يتمتع بالحياة وهو يعالج أموره بالهرج والمرج، ويتسنى له ان يتلقى في

الطرقات هدايا قيِّمة كهذه ؟ سأذهب الى السوق حيث أنتظر قدوم دروميون. واذا وجد سفينة مقلعة، عليّ ان أرحل فورا.

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في الساحة

(يدخل تاجر وانجلو وضابط عدلي)

التاجر : هل تعلم ان المبلغ مستحق منذ مدة طويلة، وأنا في هذه الأثناء لم أضايقك بمطالبتك به، ولن أفعل ذلك اليوم حتى ولو كنت عازما على السفر الى بلاد الهند وكنت لا املك فلسا. فأرجوك ان تبرىء ذمتك حالا، وإلا طلبت الى هذا الضابط ان يوقفك.

انجلو : سأقبض الآن هذا المبلغ من انطيفولوس، وأسدد لك دَينك. حينما التقيت بك، سلمته سلسلة وعدني بأن يدفع لي ثمنها حول الساعة الخامسة. فأرجوك ان ترافقني اليه لأفيك ما لك عليّ، وأغدو لك من الشاكرين.

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس)

الضابط : وفر على نفسك هذا العناء، فها قد اتى.

انطيفولوس أفسس (لدروميون) : اذهب واشتر لنا قطعة من الحبل، ريثما أمضي الى الصائغ. سأكون سخيا على زوجتي وأعوانها، وأعلِّمهم كيف يغلقون الباب دوني في رابعة النهار. لكن مهلا، ها هو الصائغ مقبل. اذهب حالا واشتر الحبل وأوصله الى البيت.

درومیون أفسس : لقد اشتريت بألف دينار سلعا مختلفة، وها انا اشتري قطعة من الحبل ايضا.

(يخرج درومیون)

انطيفولوس أفسس (لأنجلو) : انا متكل عليك. وقد وعدت الصائغ بمجيئك ومعك السلسلة. لكن لا السلسلة حضرت ولا الصائغ حضر. اعتقدت بأن حبنا سيدوم الى الابد اذا ربطناه بسلسلة، وهذا ما أخرني عن القدوم.

انجلو : لا تعكر مزاجك المرح، يا سيدي. هذا حساب قيمة السلسلة بموجب وزنها على آخر قيراط، مع ذكر عيار الذهب وأجرة اليد العاملة. المبلغ اجمالا يناهز ثلاثمئة دينار اكثر مما انا مدين لهذا السيد. فأرجوك ان تسدد ما له عليّ من الدَين، لانه ينتظر قبض المبلغ ليركب البحر.

انطيفولوس أفسس : انا لا احمل المبلغ اللازم. ثم لديّ قضاء حاجة في المدينة. رافق، يا سيدي الكريم، هذا الغريب الى منزلي واجلب السلسلة، وقل لزوجتي ان تنقدك الثمن عند استلامها اياها، ومن المرجح ان اكون في ذلك الحين قد وافيتكم الى هناك.

انجلو : انت تود ان تحمل اليها السلسلة بنفسك ؟

انطيفولوس أفسس : بل احملها انت اليها، خشية ان لا اصل في الوقت المناسب.

انجلو : حسناً، يا سيدي. هل معك السلسلة ؟

انطيفولوس أفسس : اذا لم تكن بحوزتي، يا سيدي، فلا بد من ان تكون معك انت، وإلا عدت بدون ان تستوفي ما لك.

انجلو : ارجوك، يا سيدي، ان تعطيني السلسلة. لان الريح والبحر ينتظران هذا السيد، والملامة تقع عليّ اذا حجزته هنا هكذا طويلا.

انطيفولوس أفسس : يا الهي ! انت تلجأ الى هذه الثرثرة لكي تجد عذرا على إخلافك بوعدك في نزل القنفذ. عليّ ان أوبخك على عدم احضارها معك، وأنت المخالف تسبقني الى اللوم والعتب.

التاجر (لأنجلو) : الوقت يمضي. ارجوك، يا سيدي، ان تعجِّل.

انجلو (لانطيفولوس) : أترى كيف يضايقني ؟ هاتِ السلسلة.

انطيفولوس أفسس : هيا خذها الى زوجتي التي ستنقدك ثمنها.
انجلو : لماذا المماطلة ؟ انا واثق بأني سلمتك السلسلة منذ لحظة. فما عليك الا ان ترسلها او ان ترسل كلمة بمعيتي.
انطيفولوس أفسس : تباً لك. لقد تعدى مزاحك ابعد حدود الاحتمال. هيا، اين السلسلة ؟ أرني اياها. ارجوك ثم ارجوك.
التاجر : اعمالي لا تسمح لي بالتأخر اكثر مما فعلت. قل لي يا سيدي العزيز، أتريد ان تدفع لي أم لا ؟ وإلا ليس امامي سوى ان اشكوك الى الشرطة.
انطيفولوس أفسس : أأنا، ادفع لك ؟ وماذا عليّ ان ادفع لك ؟
انجلو : المال المتوجب عليك كثمن السلسلة.
انطيفولوس أفسس : انا لست مدينا لك بشيء طالما لم أستلمها بعد.
انجلو : هل نسيت اني سلمتك اياها منذ نصف ساعة.
انطيفولوس أفسس : انت لم تسلمني شيئا، وادّعاؤك الباطل اهانة بحقي لا تغتفر.
انجلو : انك تهينني اكثر، يا سيدي، بانكارك هذا، لا يغرب عن بالك ان دَيني مقدس.
التاجر (يشير الى انجلو) : ارجوك، يا سيادة الضابط، ان توقفه بناء على طلبي.
الضابط (لأنجلو) : انا أقبض عليك، وأنذرك باسم الدوق، ان تنصاع لأوامري.
انجلو (لآنطيفولوس) : هذا يمس بسمعتي وشرفي. ارجوك ان تدفع عني، وإلا طلبت من هذا الضابط توقيفك حالاً.
انطيفولوس أفسس : كيف ادفع عنك ما لا يتوجب عليّ. اوقفني ايها الاحمق، اذا تجاسرت على ذلك.
انجلو (للضابط) : هذه أتعابك، يا سيادة الضابط، واقبض عليه. لن أعفّ عن اخي بذاته في مثل هذا الوضع، اذا احتال عليَّ بصورة مفضوحة كهذه.
الضابط (لأنطيفولوس) : اني اقبض عليك، ايها السيد، وقد سمعت الطلب بأذنيك.

انطيفولوس أفسس : انا اطيعك، ريثما اعطيك مبلغ الكفالة لإخلاء سبيلي. انما ستدفع لي، ايها الخبيث، ثمن هذا المزاح باهظا جدا، وكل معدن محلك لن يكفيني.
انجلو : إعلم، يا سيدي، اني سأقاضيك في أفسس، وأشك كثيرا في ان يصدر الحكم لصالحك.

(يدخل دروميون سرقوسه)

دروميون سرقوسه (لأنطيفولوس) : سيدي، هناك مركب من ابيدمنوم لا ينتظر للاقلاع سوى وصول صاحبه. لذا نقلت امتعتنا الى السفينة، واشتريت زيتا وعطرا وخمرا. فالمركب جاهز والرياح مناسبة في هبوبها من اليابسة بانتظار قدوم صاحبه وقدومك يا سيدي.
انطيفولوس أفسس : هل اصابك مس من الجنون ؟ ايها الحيوان الغبي ؟ أي مركب من أبيدمنوم ينتظرني ؟
دروميون سرقوسه : المركب الذي ارسلتني لحجز امكنتنا عليه بغية السفر عاجلا.
انطيفولوس أفسس : يا لك من سكير أحمق ! أنا ارسلتك لتشتري حبلا وأفهمتك ما غايتي منه.
دروميون سرقوسه : وهل ارسلتني لكي اشنق نفسي ؟ ما بك، يا سيدي. ثم انت ارسلتني لأبحث لك عن مركب للسفر.
انطيفولوس أفسس : سأناقشك هذه المسألة في وقت فراغي، وسأعلّم أذنيك كيف تصغيان الي بانتباه اكثر. اذهب حالا، ايها الشقي، الى ادريانا واعطها هذا المفتاح، وقل لها ان في المكتب المغطى بسجادة عجمية كيس دنانير، أريد منها ان ترسله اليّ. قل لها اني اوقفت في الطريق، وان ما اطلبه من مال سأدفعه لإخلاء سبيلي. اسرع ايها الاحمق، أسرع. انا طوع امرك ايها الضابط، هيا الى السجن، ريثما يعود (يخرج التاجر وانجلو وأنطيفولوس أفسس والضابط).
دروميون سرقوسه : عزيزتي ادريانا، هنا قد تغدينا، حيث التقينا الغادة التي

ادّعت اني زوجها. هي بدينة جدا، وآمل ان أتمكن من معانقتها. انا مرغم على العودة الى هناك، ما دام محتما على الخدم ان يطيعوا سيدهم.

(يخرج)

المشهد الثاني

في منزل انطيفولوس أفسس

(تدخل ادريانا ولوسيانا)

ادريانا : آه ! يا لوسيانا. لقد غشك المحتال الغدار. هل استطعت ان تتبيَّني جيدا ان كان عليه مظهر الجد ام لا ؟ هل كان محياه احمر ام شاحب اللون ؟ هل كان عابسا ام مرحا ؟ وهل تسنى لك ان تلاحظي على وجهه علامات انفعال عواطفه نظير عناصر الجو المتصارعة ؟

لوسيانا : لقد انكر في بادىء الامر ان لك عليه اية حقوق.

ادريانا : قصد ان يقول انه لا يمنحني أي حق، وهذه اهانة فظيعة.

لوسيانا : ثم أقسم انه هنا كالغريب.

ادريانا : لقد أقسم الخائن زورا وبهتانا.

لوسيانا : اذ ذاك تكلم باسمك.

ادريانا : وماذا قال ؟

لوسيانا : توسَّل الخسيس مني لنفسه الحب الذي التمسته منه لكِ.

ادريانا : وما حجته في توسُّله اليك ان تحبيه ؟

لوسيانا : كان لكلامه أثر لو انه قاله في قضية لائقة. أولا، امتدح جمالي، ثم اثنى على حديثي.

ادريانا : وهل خاطبته باللهجة اللازمة ؟

لوسيانا : أستحلفك بأن تطيلي بالك عليّ قليلا.

ادريانا : انا لا استطيع، ولا اريد ان اكبت شعوري. لان لساني وقلبي لا بد لهما من ان يطمئنًا على مصيري. هو معوجّ مشوه مسن ذابل قبيح الوجه مشلول الجسم، كل ما فيه كريه نذل منحط احمق غبي عاقّ، كما هو شنيع الخَلق كذلك هو بذيء الخُلق.
لوسيانا : ومن ذا يغار من شخص ساقط كهذا ؟ أعتقد بأن لا احد يبكي أسفا على خسارة شرير ذميم نظيره.
ادريانا : لكني اظن بأنه يحوي حسنات اكثر مما أنسبه اليه. مع ذلك أتمنى ان يكون له نواقص أوفر في نظر الآخرين. يا له من ثعلب محتال يعوي وهو يبتعد عن مأواه، وبينما قلبي يلتمس له البركة ترى لساني يكيل له اللعنات.

(يدخل دروميون سرقوسه)

دروميون سرقوسه : هيا بنا نمضي على عجل. اعطني من المكتب، كيس النقود. اسرعي، ايتها السيدة العزيزة، أسرعي.
لوسيانا : كيف تقطعت أنفاسك هكذا ؟
دروميون سرقوسه : من شدة الركض.
ادريانا : اين سيدي دروميون ؟ هل هو بخير ؟
دروميون سرقوسه : كلا. هو يتقلّى على جمر الغضى، كأنه في نار الجحيم، وقد أسلم ذقنه لشيطان رجيم، لا قلب له ولا ضمير، لمصّاص دماء لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، لذئب مكشر الأنياب، لثور شرس هائج، لصديق خائن يعرف من أين تؤكل الكتف، لمارد يعرقل السير ويسد السبل، لمنافق مضلّل شارد عن طريق الحق وهو يعرف جيدا أين السراط المستقيم، لعفريت ماكر بصورة بشر يقود النفوس الى ظلمات التيه والضياع.
ادريانا : ما هذه الألغاز، يا عزيزي ؟ ما الأمر ؟
دروميون سرقوسه : لَست ادري. لقد القي القبض عليه.
ادريانا : هل أُلقي القبض عليه حقا ؟ بربك، قل لي لأي سبب ؟
دروميون سرقوسه : لا أعلم لماذا اعتقل. انما الخبر اليقين، هو انه أوقف لتصرفه الدنيء. أتريدين، يا سيدتي، ان ترسلي له المال الموجود في مكتبه ليدفعه كفدية عن نفسه ؟

ادريانا : اذهبي واجلبيه له، يا اختي. (تخرج لوسيانا) انا متعجبة كيف استدان هكذا وبدون علمي. قل لي، هل اعتقل لاجل ورقة ؟

دروميون سرقوسه : لا ليس لاجل ورقة بل لاجل ما هو اهم، لاجل سلسلة. أجل لاجل سلسلة. هل سمعت الصوت ؟

ادريانا : صوت السلسلة ؟

دروميون سرقوسه : لا، لا، صوت الجرس. لقد حان وقت ذهابي. كانت الساعة الثانية عندما غادرت سيدي، وها هي الساعة تدق الآن الواحدة.

ادريانا : وهل الساعة تسير الى الوراء، يا مغفل ؟ لم أسمع في حياتي مثل هذا الهراء.

دروميون سرقوسه : نعم، طبعا حينما تصادف الساعة شرطيا يجعلها الخوف تعود القهقرى.

ادريانا : كأن الوقت عليه ديون. ما اسخف تفكيرك، يا هذا !

دروميون سرقوسه : الوقت عامل فعال في الافلاسات، وفي هذه المناسبة، هو مدين بأكثر مما يساوي. وهو ايضا لص. أولم تسمعي بأن الوقت يسير اثناء الليل خلسة ؟ هو اذاً مدين وسارق، وما ان يصادف رجل أمن حتى يهرول الى الوراء مقدار ساعة في اليوم.

ادريانا : هيا، يا دروميون، هاك النقود، خذها عاجلا وعد بسيدك فورا. تعالي، يا أختاه، انا مرهقة الفكر، تارة اراه محقا، وطورا محقوقا.

(يخرجون)

المشهد الثالث

في ساحة السوق

(يدخل انطيفولوس سرقوسه)

انطيفولوس سرقوسه : لم أصادف انسانا الا سلم عليّ كما لو كنت له صديقا قديما، والجميع ينادونني باسمي. البعض يعرض عليّ مالا، والبعض الآخر يدعوني الى الغداء، منهم من يشكرني على خدمة أسديتها له، ومنهم من يعرض عليّ بضاعة لاشتريها. منذ لحظة استدعاني خياط الى مشغله وأراني حرائر ابتاعها لأجلي، وما عتم ان اخذ قياساتي. حتما كل هذا مصطنع ومحيَّر، لان جمعا من السحرة الدجالين يقيمون هنا.

(يدخل دروميون سرقوسه)

دروميون سرقوسه : اليك بالذهب الذي ارسلتني في طلبه، يا سيدي. ماذا ارى ؟ هل تخلصت من عقدة ابينا آدم المرتدي ثوبا جديدا ؟

انطيفولوس سرقوسه : ما هذا الذهب ؟ وعن أي آدم تتكلم ؟

دروميون سرقوسه : لا ليس عن آدم الفردوس، بل عن آدم المسجون، عن الذي وراءك، يا سيدي، نظير ابليس اللعين، وأجبرك على التخلي عن حريتك.

انطيفولوس سرقوسه : انا لا افهم ما تقول.

دروميون سرقوسه : مع ان الامر واضح نظير صوت مزمار القِرَب. فالرجل، يا سيدي، عندما يكون الناس مرهقين، يشفق على المفلسين منهم، ويلبسهم ثوب السجن المؤبد، وهو يدّعي تنفيذ القانون بوسائل تبرزه أبرع من الخيَّال في تسديد رمحه.

انطيفولوس سرقَوسه : ماذا تعني ؟ هل تريد ان تلجأ الى الشكوى ؟

دروميون سرقوسه : أجل، يا سيدي. فالضابط الذي يفرض على امرئ تأدية

حساب تمنّع عن دفعه، قد تلكأ هو شخصيا في تأدية ما عليه من واجب، وهذا الضابط بعينه يظن نفسه انه ذاهب الى النوم، بينما هو يشتهي وجبة طعام لذيذ يملأ بها بطنه.

انطيفولوس سرقوسه : هيا، يا صاحبي، دعك من انحرافاتك هذه. هل من مركب مقلع هذا المساء ؟ وهل نستطيع ان نرحل علىَ متنه ؟

دروميون سرقوسه : لقد اعلمتك، يا سيدي، منذ ساعة ان السفينة الراحلة تنشر اشرعتها هذا المساء. لكن الضابط احتجزك وحرّم عليك السفر. ها هي الدنانير التي ارسلتني في طلبها لاجل خلاصك. (يناوله المال).

انطيفولوس سرقوسه : هذا المسكين يهذي، وأنا كذلك. وكلانا هنا نتيه في بحر من الأوهام. أللهم نجنا من هذه الورطة.

(تدخل غانية)

الغانية : صدفة سعيدة، صدفة سعيدة حقا، يا سيدي انطيفولوس. ارى انك وجدت الصائغ اخيرا. هل هذه هي السلسلة التي وعدتني بها اليوم.

انطيفولوس سرقوسه : أبعد عني، يا شيطان، فأنا آبى ان تجرّبني.

دروميون سرقوسه : يا سيدي، هل هذه شريكة الشيطان ؟

انطيفولوس سرقوسه : بل الشيطان بذاته.

دروميون سرقوسه : كلا، هي أفظع منه. إنها أنثى الشيطان قادمة الى هنا بهيئة غادة. لذلك عندما تقول المرأة لعنة الله عليّ، كأني بها تقول، جعل الله مني غادة فاتنة. لقد جاء في الكتاب الكريم، انها تظهر للرجال نظير المخلوقات الملتهبة، فاللهب مصدره النار، والنار محرقة. اذاً وظيفة الغادة ان تحرق، فإياك ان تقربها.

الغانية : أنت وخادمك كلاكما ظريفان مرحان للغاية، يا سيدي، فهلّا رافقتماني ؟ سنجد هنا حتما ما يكفينا لعشاء فاخر.

دروميون سرقوسه : اذا مضيت، يا سيدي، تكون قد وعدت نفسك بأكلة شهية. لذا عليك، يا سيدي، ان تتسلح بملعقة طويلة.

انطيفولوس سرقوسه : ولماذا يا دروميون ؟

درميون سرقوسه : لان الانسان يحتاج الى ملعقة طويلة كي يتسنى له ان يأكل برفقة ابليس.
انطيفولوس سرقوسه (للغانية) : ابتعدي عني اذاً يا بديلة الشيطان. لماذا تكلمينني عن العشاء ؟ انتِ ساحرة نظير جميع أمثالك، فأستحلفك ان تدعيني وشأني وتبعدي عني.
الغانية : أعطني الخاتم الذي أخذته مني ونحن على مائدة الغداء، او السلسلة التي وعدتني بها لقاء الماسة التي كانت بحوزتي، وسأذهب، يا سيدي، بدون ان أسبب لك اي إحراج.
دروميون سرقوسه : هناك شياطين لا يطلبون الا مثقال ذرة، او قشة او شعرة او نقطة دم او دبوس او جوزة او بزرة كرز. لكن هذه الطمّاعة تريد ان تستولي على سلسلة ذهبية. انتبه، يا سيدي، اذا اعطيتها اياها فإبليس سيلفّ السلسلة حول عنقنا ويخنقنا.
الغانية : ارجوك، يا سيدي، ان تسملني خاتمي او السلسلة. ارجوك ان لا تنوي سرقتي هكذا.
انطيفولوس سرقوسه : ابتعدي عني ايتها الساحرة. هيا، يا دروميون، نرحل فورا.
دروميون سرقوسه : حتى الطاووس المتشامخ قال تباً للمتكبِّر المتجبِّر. وحتما انت لا تجهلين ذلك.

(يخرج انطيفولوس سرقوسه ودروميون سرقوسه)

الغادة : لا شك في ان انطيفولوس مجنون، وإلا ما تصرّف على هذا النحو. لقد حصل مني على خاتم يساوي اربعين دينارا، ووعدني مقابله بتسليمي سلسلة من الذهب. والآن يريد أن يقنعني بأنه مهووس، فوق البرهان الذي قدمه الآن، وهو الحساب السخيف الذي بيّنه لي اليوم اثناء الغداء، مدّعيا ان باب بيته قد أغلق هذا النهار في وجهه. ألا يجوز ان تكون زوجته التي بلغها ما اقترفه من منكرات قد منعته فعلا من الدخول الى البيت ؟ فلم يبقَ لي سوى ان أسارع الى منزله وأبلغ قرينته انه في ساعات هلَّته، قد داهم بيتي بغتة وانتزع

خاتمي من اصبعي عنوة، وهذا أفضل موقف يمكنني ان الجأ اليه لأتلافى خسارة الأربعين ديناراً الجسيمة جداً عندي.

(تخرج)

المشهد الرابع

في السوق

(يدخل انطيفولوس أفسس وضابط عدلي)

انطيفولوس أفسس : لا تخف ابدا، يا صديقي، فأنا لن اهرب. وقبل ان اغادرك سأدفع لك ككفالة مبلغا يوازي الذي أوقفتني لأجله. زوجتي اليوم حادة المزاج، ولن تصدّق ما يبلغها اياه الرسول عن اعتقالي في أفسس. أؤكد لك انها حتما وقفت على تفاصيل هذا النبأ المزعج.

(يدخل دروميون أفسس ممسكا بقطعة حبل)

هذا رجلي، وأظنه يجلب المال معه. هل أتيت، يا صاح، بما أرسلتك في طلبه ؟

دروميون أفسس : هاك ما يكفي لدفع كل المتوجب عليك.

انطيفولوس أفسس : لكن أين بقية النقود ؟

دروميون أفسس : لقد دفعتها ثمن الحبل.

انطيفولوس أفسس : خمسمئة دينار، يا شقي، ثمن قطعة الحبل ؟

دروميون أفسس : سأقدم لك خمسمئة تحية، يا سيدي، بهذا المبلغ.

انطيفولوس أفسس : لماذا أرسلتك اذاً الى البيت على عجل ؟

دروميون أفسس : لأجل قطعة حبل، وقد جئتك بها.

انطيفولوس أفسس : واليك الغاية التي من أجلها استلمتها (يضربه).

الضابط : مهلا، يا سيدي العزيز.

دروميون أفسس : انا المحتاج الى الصبر، لأني واقع في أصعب الورطات.

الضابط : ارجوك، يا سيدي، أن تصون لسانك.

دروميون أفسس : الأولى بك أن تقنعه بأن يصون يده.
انطيفولوس أفسس : يا ابن الزانية ايها اللص المحتال، أراك فقدت رشدك.
دروميون أفسس : أتمنى أن أكون فقدته كي لا أحس بضرباتك.
انطيفولوس أفسس : أنت كالحمار لا تشعر حتى بالضرب.
دروميون أفسس : في الواقع، أنا حمار كما تثبت ذلك أذناي اللتان أطالتهما يداك. لقد خدمته منذ صغري حتى اللحظة الحاضرة، ولم ينبْني منه لقاء ذلك سوى الضرب. فعندما أبرد يدفئني بلطمة، وعندما أحمى يرطّبني أيضاً بلطمة. لطمة توقظني حين أنام وتجعلني أهب واقفاً حين أجلس، ولطمة تدفعني الى الخارج عندما أمضي، وتستقبلني عندما أعود. وهي على كتفيَّ نظير طفل متسوّل وأعتقد بأنه حين يعطيني ويشوهني سأتنقّل بها من باب الى باب مثل الشحّاذ كأنها كشكول أضع فيه ما أجمعه من إحسان.

(تدخل ادريانا ولوسيانا والغانية والمدرس بنش)

انطيفولوس أفسس : هيا نتقدم. ها هي زوجتي تقترب.
دروميون أفسس : يا سيدتي، دنت ساعتك، فانتبهي الى تصرّفك او بالحري الى اقوالك التي ترددينها كالببغاء. ثم إياك وقطعة الحبل.
انطيفولوس أفسس : ما لك تثرثر وتثرثر على الدوام ؟ (يضربه).
الغانية : ما رأيك الآن ؟ أوليس زوجك مجنوناً ؟
ادريانا : لغوه اول شاهد على هوسه. ايها الدكتور الكريم بنش، انت محضر أرواح، فأرجوك أن تعيده الى صوابه، وأنا مستعدة لمنحك ما تشاء.
لوسيانا : وا أسفاه ! نظراته تائهة وعيونه زائغة من شدة الغضب.
الغانية : انظر اليه كيف يزمجر في هذيانه.
بنش (لأنطيفولوس) : هاتِ يدك، ودعني أجس نبضك.
انطيفولوس أفسس : هاك يدي، دعها تجس أذنك.
بنش : اني آمرك، ايها الشيطان الساكن في هذا الرجل، أن تنسحب مخزياً امام صلواتي المقدسة، وأن تعود بأسرع ما يمكن الى مملكتك في عالم الظلمات. آمرك بالخروج باسم جميع أولياء الجنة.
انطيفولوس أفسس : اهدأ، ايها الساحر الخرفان، اهدأ، لأني لست مجنوناً.

ادريانا : أتمنى أن تكون بكامل عقلك ؟ ايها المرهق المسكين.
انطيفولوس أفسس (لأدريان) : أهؤلاء هم اصحابك، يا حلوة ؟ هل هذا الصديق، الكالح الوجه كالزعفران، هو الذي يشترك اليوم في وليمتك، ويتذوّق المآكل اللذيذة التي تزين سفرتي، بينما باب بيتي موصد في وجهي، ودخول منزلي محرَّم عليّ.
ادريانا : ما هذا الكلام، يا زوجي العزيز ؟ أنسيت انك تغديت في البيت ؟ فلو مكثت فيه حتى هذه الساعة، لتجنبت الوقوع في هذه الفضيحة المشينة وهذه المهزلة السخيفة.
انطيفولوس أفسس (لدروميون) : أأنا تغديت في البيت ؟ ما قولك أيها الخدّاع ؟
دروميون أفسس : اني لا انطق إلا بالحقيقة، يا سيدي، عندما أصرح بأنك لم تتناول اليوم طعام الغداء في البيت.
انطيفولوس أفسس : أوَلم يكن باب بيتي موصدا في وجهي، وأنا خارج المنزل.
دروميون أفسس : والله، كان باب بيتك موصدا، وأنت خارج المنزل.
انطيفولوس أفسس : أوَما أهانتني هي نفسها ؟
دروميون أفسس : بدون كذب، نعم، قد أهانتك.
انطيفولوس أفسس : أوَلم تشتمني مساعدتها في المطبخ وتحتقرني وتسخر مني ؟
دروميون أفسس : أجل، ان خادمة المطبخ قد سخرت منك.
انطيفولوس أفسس : أوَلم أذهب ساخطا غاضبا ؟
دروميون أفسس : نعم، نعم. في الحقيقة، جرى كل ذلك بحذافيره، والبرهان عظامي المرتجفة التي أحست بوطأة هياجها وعنفها.
ادريانا (لبنش) : أمن اللائق أن يتعرض الانسان الى أهوائها المستهترة ؟
بنش : لا بأس. فهذا الشاب ينساق وراء ميوله، وبانحرافه يستسلم الى حماقته وغطرسته.
انطيفولوس أفسس (لأدريانا) : انت حرّضت الصائغ ليطلب توقيفي.

ادريانا : مع الأسف، أرسلت لك النقود لإخلاء سبيلك بواسطة دروميون الحاضر ها هنا، وقد أتاني مستعجلا ليأخذها.
دروميون أفسس : أرسلت نقودا بواسطتي ؟ ان كان الأمر مسألة تخمين فهذا ممكن. لكنني على يقين، يا سيدي، بأن لا أثر في القصة لأية نقود.
انطيفولوس أفسس : ألم تذهب لتطلب منها كيس الدنانير ؟
ادريانا : لقد جاءني، وسلمته اياه.
لوسيانا : وأنا شاهدة على ذلك.
دروميون أفسس : الله وبائع الحبال يشهدان على أنّي لم أذهب الّا لجلب قطعة الحبل.
بنش (لأدريانا) : يا سيدتي، ان سيدي والخادم يسكنهما ابليس، وأنا أرى ذلك في ما يبدو على سحنتيهما من الشحوب والانقباض. لا بد من ربطهما ووضعهما على انفراد في غرفة مظلمة.
انطيفولوس أفسس (لأدريانا) : لماذا أغلقت الباب اليوم في وجهي؟ (لدروميون) وأنت، لماذا تنكر أنك استلمت كيس الذهب ؟
ادريانا : يا زوجي الكريم، انا لم أغلق الباب في وجهك.
دروميون أفسس : وأنا يا سيدي الفاضل، لم استلم ذهبا. لكنني أقر بأن الباب كان موصداً في وجهينا نحن الأثنين.
ادريانا : ايها الغشّاش المنافق، انت هنا ترتكب لا خطأ واحد بل خطأين.
انطيفولوس أفسس : ايتها العاهرة الخبيثة، انت المخطئة في كل ما تدّعين. انت متواطئة وهذه الطغمة الحاقدة اللعينة، لتجعلي مني مخلوقا مرذولا ومهرجا حقيرا. لكني بأظفاري هذه سأقتلع عينيك هاتين اللتين شاءتا ان تصيِّراني ألعوبة في أيدي هؤلاء الأوغاد (يبادر بنش الى ربط انطيفولوس ودروميون المتناقشين).
ادريانا : أوثقه، أوثقه جيداً، ولا تدعه يدنو مني.
بنش : النجدة ! أرى الشيطان ثائر الأعصاب في بيته.
لوسيانا : يا للأسف ! كم شحب لون هذا الرجل المسكين واضطربت أعصابه !

انطيفولوس أفسس (يدافع عن نفسه) : أتريد أن تقتلني ؟ أيها السجان انا حبيسك. فهل ترضى بأن ينتزعني أحد منك ؟

الضابط : أتركوه وشأنه، يا سادة، فهو سجيني، ولن تستأثروا به.

بنش : هيا اربطوا هذا الرجل، لأنه هو ايضا في حالة هياج مخيف.

ادريانا : ماذا تريد، ايها الضابط الأحمق ؟ هل يسرك أن ترى رجلا تعيسا يتعرض للاهانة والعذاب ظلما ؟

الضابط : هو سجيني، واذا تركته يمضي، سأطالب انا بالمبلغ الذي يتوجب عليه تسديده.

ادريانا : انا ارفع عنك المسؤولية قبل ان يغادرك. خذني فوراً الى دائنه، وحالما أعرف كيف تمت صفقة هذا الدَين، سأخلي سبيله. عزيزي الدكتور اسألك بل ارجوك ان تؤمِّن له الحماية في بيتي. آه ! ما أتعب هذا النهار !

انطيفولوس أفسس : يا لك من عاهرة !

دروميون أفسس : لقد تلقيت عنك ضربة قاسية.

انطيفولوس أفسس : ليت الطاعون يفتك بك ايها المغفل ! لماذا تثير غضبي ؟

دروميون أفسس : أتريد ان تلبس التهمة وأنت بريء ؟ عليك أن تنتفض يا سيدي وتصرخ مثل ابليس.

لوسيانا : كان الله في عون المساكين. ما هذا الهذيان ؟

ادريانا : خذيه من هنا، يا اختي، وتعالي معي. (بنش وأعوانه يأخذون انطيفولوس ودروميون) قل لي، بناء على طلب من اعتقلته ؟

الضابط : بناء على طلب صائغ يدعى انجلو. هل تعرفينه ؟

ادريانا : أجل، أعرفه. ما مقدار المبلغ المطالب به ؟

الضابط : مئتان من الدنانير.

ادريانا : ومقابل ماذا هذا المبلغ ؟ قل لي، ارجوك.

الضابط : ثمن سلسلة، استلمها زوجك منه.

ادريانا : أوصى على سلسلة لي، ولم يستلمها ؟

الغانية : هل تعلمين أن زوجك جاءني اليوم غاضبا، وأخذ مني خاتمي، وقد رأيته في اصبعه منذ هنيهة ؟ وبعد برهة صادفته وفي يده سلسلة.

ادريانا : هذا جائز، غير اني لم أبصره. هيا، يا سجّان، خذني الى هذا الصائغ. إذ يهمني جدّاً أن أطلع على حقيقة الأمر.

(يدخل انطيفولوس سرقوسه، وسيف المبارزة في يده يتبعه دروميون سرقوسه).

لوسيانا : رحماك، اللهم. ها هما قد أخلي سبيلهما.

ادريانا : وهما آتيان وفي يد كل منهما سيفه مجردا. علينا ان نستعين بمن يقيدهما.

الضابط : لنهرب. فقد يقتلاننا.

(يخرج الضابط وتتبعه لوسيانا وادريانا)

انطيفولوس سرقوسه : أرى أنّ هاتين المشعوذتين تخشيان السيوف.

دروميون سرقوسه : إنّ التي ودّت ان تكون زوجتك تهرب الآن منك.

انطيفولوس سرقوسه : تعال نذهب الى نزل السنطور لنأخذ أمتعتنا لأني أرغب في وصولنا بأقرب وقت الى السفينة سالمين.

دروميون سرقوسه : طاوعني لنقضي هذه الليلة هنا. فلا أحد يؤذينا. لقد لاحظت كيف يخاطبنا الجميع بمودّة ويجودون علينا بالذهب. أرى أنّ القوم هنا لطفاء، ولولا جبل الشحم واللحم، طالبة الاقتران بي، لفكرت جديا بالاقامة في هذا المكان والعمل كساحر.

انطيفولوس سرقوسه : أنا لن أبقى الليلة هنا، ولو ملكوني جميع ثروات هذه المدينة. هيا نضع امتعتنا على متن السفينة.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

أمام معبد صغير

(يدخل التاجر وأنجلو)

أنجلو : أنا مستاء يا سيدي لكوني أخّرتك هكذا. غير اني أحتجّ على أخذ السلسلة مني، وإن أنكر المحتال بطريقة سافلة.
التاجر : كيف يتمتع هذا الرجل بالاعتبار في هذه المدينة ؟
انجلو : سِمعته محترمة جدا، والثقة به لا حد لها. هو محبوب للغاية، ولا يناوىء أحداً من السكان. وأنا استناداً الى تعهد بسيط منه أقرضه جميع ثروتي.
التاجر : تكلم بصوت خافت، فها هو مقبل على ما أرى.

(يدخل انطيفولوس افسس ودروميون افسس)

انجلو : هذا هو، وحول عنقه تلك السلسلة التي أقسم بدناءة انها ليست بحوزته. سيدي العزيز، إبقَ بجانبي لأكلّمه. يا سنيور انطيفولوس، يدهشني ان تكون وضعتني في مأزق حرج، لا يخلو من فضيحة تلحق بك، وأنت تنكر بإلحاح وتحلف بأنك لم تستلم هذه السلسلة التي تحملها الآن في عنقك علنا. فما عدا الانزعاج والتحقير والسجن، قد سببت ضررا بالغا لصديقي الشريف

الحاضر ها هنا، والذي لو لم يعتقل، بناء على طلبك، لكان الآن استقل السفينة وسافر بحرا في هذا النهار. لقد استلمت مني هذه السلسلة، فهل لك أن تنكرها ؟

انطيفولوس سرقوسه : أنا أعترف بأني اخذتها منك، ولم أنكرها ابداً.

التاجر : لقد انكرتها، يا سيدي، وأقسمت انك لم تستلمها.

انطيفولوس سرقوسه : من الذي سمع إنكاري وقسمي ؟

التاجر : انا سمعتك بأذنيّ الاثنتين، وأنت واثق بذلك. فليقض عليك الطاعون ايها المحتال الحقير. عار عليك ان تجيز لنفسك معاشرة الشرفاء الصالحين.

انطيفولوس سرقوسه : أنت تتعدى حدود الأدب واللياقة بتوجيهك اليّ هذه الاهانة البالغة. وأنا حريص على صيانة شرفي وذمتي حيالك بدون امهال، اذا ظللت مصرّا على موقفك المهين.

التاجر : انا أتحداك بشجاعة، ايها الخسيس. (يستل سيفه).

(تدخل ادريانا ولوسيانا والغانية وغيرهن)

ادريانا : قف، ولا تمسَّه بسوء، بحق صداقتنا، لأنه مريض مهووس. امسكوه وجرّدوه من سيفه. اوثقوا ايضا دروميون، وخذوهما الى بيتي.

دروميون سرقوسه : عجِّل لنختبىء في أحد البيوت. ها هوذا معبد صغير، فلنلجأ اليه، وإلا خسرنا حياتنا. (يدخل انطيفولوس ودرميون الى المعبد).

(تظهر الكاهنة)

الكاهنة : اهدآ ايتها المرأتان الكريمتان. لماذا تدخلان بمثل هذه العجلة ؟

ادريانا : للبحث عن زوجي المسكين الذي أصابه مس من الجنون. دعينا ندخل لكي نوثقه ونعود به الى البيت لمعالجته.

انجلو : انا كنت عالما بأنه لا يملك كامل وعيه.

التاجر : وأنا الآن مستاء، لأني اشهرت عليه السلاح.

الكاهنة : منذ متى تسكن العفاريت هذا الرجل ؟

ادريانا : منذ أول هذا الأسبوع، هو كئيب متجهِّم الوجه حزين، خلافا لما عهدناه فيه من البشاشة والمرح. لكنه قبل ظهر اليوم، بلغ ضياع رشده حداً مقلقاً.

الكاهنة : ألم تصبه خسارة كبيرة في غرق اثناء سفره بحراً ؟ ألم يفقد صديقاً عزيزاً. ألم تورِّط عيناه قلبه في حب غير شرعي، وهذا شطط، كثير الحدوث لدى الشبان، يتيح لهم ملء الحرية لتوزيع ابتساماتهم بسخاء زائد يمينا ويسارا. فماذا حل به من هذه المصائب ؟

ادريانا : لا شيء تقريبا، سوى حب طائش غالبا ما أبعده عن بيته.

الكاهنة : كان عليك ان توبخيه على هذا الزلل.

ادريانا : لم أقصِّر في هذا الباب.

الكاهنة : لكن كلامك على ما يبدو لم يكن قاسيا كما يجب.

ادريانا : بل قاسيا بقدر ما يسمح به اعتدالي.

الكاهنة : هل جرى ذلك بينك وبينه فقط ؟

ادريانا : بل في حضور بعض الاشخاص ايضاً.

الكاهنة : نعم، ولكن ليس في الغالب بالشدة التي يستوجبها استهتاره.

ادريانا : كان هذا موضوع معظم احاديثنا. في السرير كنت ألح كثيرا عليه كي ينام. على المائدة كنت أصر كي لا يأكل. في خلواتنا كان هذا مدار كل تعنيفي وبين الناس كنت غالبا ما أكرر عليه اقوالي بأن تصرّفه سافل مشين.

الكاهنة : وهذا ما جعله يفقد صوابه. ان غيرة المرأة الحاقدة لسمّ قاتل، اقوى من عضة كلب مصاب بداء الكلب. ومن الواضح جدا ان اهاناتك حرمته النوم، وهذا ما اورثه الهذيان. تؤكدين ان طعامه كان على الدوام مصحوبا باللوم والتأنيب، فوقعات الأكل التي يرافقها الاضطراب تسبب عسر الهضم، وهذا ما يفسر اصابته بالحمَّى المتواصلة. وما الحمَّى الّا مدخل الى الجنون. تؤكدين ايضا ان ملذاته كانت تصحبها دوما مشاحناتك المستمرة. فلدى عدم السكوت عن اخطائه، ماذا حدث ؟ سيطرت عليه السويداء الهدامة التي صحبها يأس قاتل ورغبة جامحة في التخلص من القلق والعذاب المرهق وكبت الحياء من اعداء الحياة أمثالك. فالهموم التي تلازم الانسان في الأكل والمتعة، وتحرمه النوم المعوّض عن التعب، تؤدي به حتما الى الجنون مهما كان قليل الاحساس. بصريح العبارة، بلغ تطرّف غيرتك حدود افقاد زوجك عقله.

لوسيانا : لم تكن توبخه الا بنعومة، بينما هو كان فظّاً حاقداً عنيفاً.

(لأختها) لماذا، لماذا تحملتِ هذه الملامة بدون ان تردّي عليها ؟
ادريانا : لقد أحالني على توبيخ ضميري. ايها الرجال الأكارم، ادخلوا وامسكوا به.
الكاهنة : كلا. لن يدخل المعبد احد.
ادريانا : اذاً، أوعزي الى خدمك ليمسكوا بزوجي.
الكاهنة : لن أفعل ذلك. لأنه اتخذ هذا المقر ملجأ، وتخلص هكذا من ملاحقتك. فالى ان أرده الى رشده يأتيه الفرج، او أكلّ من محاولتي هذه.
ادريانا : اريد ان اسهر على زوجي، وأن أكون له ممرضة، وأداري علّته، لأن ذلك من واجباتي، ولا أرضى بأن ينوب عني اي إنسان. لذا اسألك ان تساعديني على إعادته الى البيت.
الكاهنة : صبرا. لن اتركه يخرج من هنا قبل ان أستنفد جميع الوسائل التي تطالها يدي من اكسير وعقاقير ناجعة وصلوات حارّة. فأعيد اليه صوابه ورصانته. هذا هدفي، بل جزء من مهمتي، وواجب مقدس تحتمه علي دعوتي المباركة. فاذهبا بسلام، واتركاه تحت رعايتي.
ادريانا : لن أغادر هذا المكان، ولن اترك زوجي هنا. أعتقد بأن طبيعة خدمتك التقوية المشكورة لا تسمح لك بأن تفصلي بين الرجل وامرأته.
الكاهنة : عليك أن تصمتي وترحلي. فلن أدعه يذهب بمعيتك. (تدخل الكاهنة الى المعبد).
لوسيانا : لا يسعك الا ان تشتكي من هذا الاستبداد للدوق كي ينصفك.
ادريانا : هيا بنا نذهب اليه، يا سادة. أريد أن اجثو عند قدميه، ولن انهض قبل ان تحمل دموعي وتوسلاتي سيادته على القبول بالمجيء شخصيا الى هذا المكان، لينتشل زوجي عنوة من براثن هذه الكاهنة الطاغية.
التاجر : أعتقد بأن الساعة الآن تشير الى الخامسة، والدوق لا يعتم ان يمر بموكبه من هنا للذهاب الى الوادي الحزين القريب من حقل الموت، ومكان الاعدام الرهيب القائم خلف خندق هذا المعبد.
انجلو : لماذا ؟
التاجر : ليشاهد علنا قطع رأس تاجر محترم من اهالي سرقوسه، شاء حظه

العاثر أن يمر في هذا الخليج، مخالفا شرائع مدينتنا وقوانينها.

انجلو : انظر، ها هم آتون. تعال نشاهد اعدامه.

لوسيانا : انطرحي عند أقدام الدوق قبل ان يجتاز المعبد.

(يدخل الدوق مع حاشيته، ثم اجايون مكشوف الرأس ووراءه الجلاد وسواهم من الرسميين).

الدوق : أعلن من جديد، ان كان احد يريد التسديد عن هذا الرجل، فإنه لن يموت ما دمت أهتم شخصيا بأمره.

ادريانا : العدل، ايها الدوق الكريم، العدل والانصاف من الكاهنة المستبدة.

الدوق : هي سيدة فاضلة ومحترمة. ومحال ان تكون قد ألحقت بك ضررا.

ادريانا : ألتمس من سيادتك الاصغاء الى كلامي. ان انطيفولوس زوجي الذي جعلته سيد انوثتي وثروتي، حسب توصيتك المحترمة، قد انتابه في هذا اليوم المشؤوم عارض جنون، وبرفقته خادمه المهووس نظيره، وخرج الى الطريق فاقد الرشد لترويع المواطنين والتهجُّم على بيوتهم واختلاس خواتمهم ومجوهراتهم وكل ما يحلو له الاستئثار به. لقد تمكنت من تقييده برهة وارجاعه الى المنزل حينما ذهبت لأعوض عن الخسائر التي انزلها بالاهلين وروّعهم بها. بغتة، لا ادري كيف تملص بعنف هو وخادمه المخبول مثله، من الذين كانوا يحرسونهما. وكلاهما صادفانا وهما يهذيان ويزمجران، والسيف مستلّ في يد كل منهما، فهاجمانا وطاردانا. وإذ طلبنا النجدة جئنا الى هنا لنوثقهما ونمنع أذاهما، فماكان منهما الا ان لجآ الى هذا المعبد، فطاردناهما. انما الكاهنة القاسية اغلقت الباب في وجهنا وهي غير راضية بأن تسلمني زوجي لأصطحبه الى البيت. لذا، ايها الدوق العطوف، ألتمس منك ان تأمر بسحبه من هذا المكان وتسليمي اياه للمعالجة.

الدوق : زوجك قدّم لنا عدة خدمات ايام الحرب، وعندما اصبح شريك حياتك، وعدتك بصفتي امير البلاد أن أسدي اليه كل ما بإمكاني من الخير. فليطرق احدكم باب المعبد ويوعز الى الكاهنة ان تأتي وتخاطبني. لأني أود اتخاذ قراري قبل أن أذهب.

(يدخل احد الخدم)

الخادم (لأدريانا) : سيدتي، يا سيدتي، اختبئي، اهربي، لأن سيدي وخادمه قد أطلق سراحهما، فضربا الخادمات الواحدة تلو الاخرى، وربطا الدكتور الذي احرقا لحيته بجمرات متّقدة، وكلما التهبت رشقوه بدلاء من الماء الموحل لإطفائها. أما سيدي، فيلقي موعظة بالصبر وطول الأناة، بينما خادمه يجزّ له شعره بالمقص على طريقة المجانين. حقا، اذا لم ترسلي النجدة حالا لكليهما، سيقتلان الساحر شر قتله.

ادريانا : اصمت، يا بهلول. ها ان سيدك وخادمه هما هنا، وكل ما ترويه لنا هو مغاير للواقع تماما.

الخدم : بحياتي، يا سيدتي، انا لا اقول سوى الحق. منذ ان رأيته لم يتسنّ لي الوقت لتنفّس الصعداء. هو يصرخ ويلعن ويحلف انه إذا امسك بكِ سيهشّم رأسك ويشوّه وجهك ويقطّع جسمك (تسمع صيحات). اصغي، هيا اصغي. ها أنا أسمعه يقترب، وعليك أن تهربي حالا.

الدوق : لا، لا. ابقي بجانبي، ولا تخشي امرا. احموها برماحكم ايها الرجال.

ادريانا : بربكم، ارحموا زوجي. اشهدوا بأنه يتنقل في كل مكان بدون ان يبصره أحد. منذ برهة، دخل امامنا الى المعبد بطريقة خفية، والآن ها هو هنا. أولا يفوق هذا ادراك البشر ؟

(يدخل انطيفولوس أفسس ودروميون أفسس)

انطيفولوس أفسس : العدل، ايها الدوق الكريم. أرجوك ان تنصفني، باسم الخدمات التي أديتها لك عندما حميتك بجسمي في الحرب وتلقيت جراحا عميقة لانقاذ حياتك، باسم الدم الذي أهرقته لأجلك، ارجوك أن تنصفني.

اجايون : إلا اذا جعلني الخوف من الموت أهذي، أصرح بأن هذين الشخصين اللذين اراهما هما ولداي انطيفولوس ودروميون.

انطيفولوس أفسس : العدل، ايها الأمير الحكيم. انصفني من هذه المرأة التي زوجتني اياها والتي عذبتني ولطخت شرفي بأقبح عار وأحط مذلة. أجل، ان الاهانة التي ألحقتها بي اليوم هذه المتهتكة تتعدى كل تصور وخيال.

الدوق : قل لي كيف ومتى تود ان أنصفك ؟

انطيفولوس أفسس : في هذا النهار بالذات، ايها الدوق النبيل. لقد اغلقت

زوجتي في وجهي باب بيتي، بينما هي تتلذذ بوليمة مع المستهترين.
الدوق : هذا خطأ فظيع. قولي لي، يا امرأة، هل حقا فعلت ذلك ؟
ادريانا : كلا، كلا، يا مولاي السموح. انا وأختي وزوجي هذا تغدينا جميعا معا. اقسم لك بأعز ما لديّ ان ما يتهمني به لا أساس له من الصحة.
لوسيانا : اعدَم نظري. ولا ارى نور الشمس، ولا أنام طوال الليل، اذا كان هذا القول لسموّك يخالف الحقيقة الناصعة.
انجلو : تباً لها من امرأة جاحدة. صدقني ايها الامير، كلاهما تكذبان. وفي هذا الموضوع ارى أن المجنون يتهمهما وأختها بحق ونزاهة.
انطيفولوس أفسس : يا مولاي، انا أزن كل كلمة أتلفظ بها. ولست مضطربا بمفعول الخمر، ولا مضعضَع الحواس، ولا أهذي من الغيظ، وإن تكن هذه المشاكسة تُخرج عن الرزانة أرصن العاقلين. هذه المرأة قد اغلقت اليوم الباب في وجهي وأنا عائد للغداء. وهذا الصائغ الحاضر ها هنا، لو لم يكن منحازا اليها، لأكد لك حقيقة ما جرى كما ارويه، لأنه كان برفقتي. لقد غادرني ليذهب ويجلب سلسلة، ووعدني بأن يوافيني بها الى نزل القنفذ، حيث قصدت انا وبلطزار لنتغدى معا. عندما فرغنا من الأكل، ورأينا انه لم يأت، ذهبت للبحث عنه، فوجدته في الطريق بصحبة سيد. فأقسم هذا الصائغ المحتال بأني في بحر النهار قد استلمت منه السلسلة. والله يعلم اني لم أستلمها بعد. وبهذه الحجة طلب من ضابط الأمن ان يعتقلني. فأرسلت خادمي الى بيتي ليأتيني بكيس من الدنانير. فعاد بدون مال. فرجوت الضابط حينئذ بكل ادب أن يصحبني الى البيت. اثناء سيرنا صادفنا زوجتي وشقيقتها وزمرة من أعوانها الأنذال، وبرفقتهم شخص يدعى بنش، وهو أفّاك نحيل يشبه وجهه ميتا قضى نحبه جوعا ولم يبق منه سوى جلد على عظم، مشعوذ دجّال، كاشف حظ فاشل، متسوّل وقح غائر العينين موتور الملامح كأنه جثمان متحرك يمشي. فهذا الأحمق المنحطّ، والله العظيم، قام بدور الساحر. وإذ نظر الى بياض عينيَّ، وجسّ نبضي وحدّق في وجهي بعينيه المتطاير منهما شرر الحقد، صاح بأن العفاريت تسكن في جسمي وتسيطر على روحي. حينئذ وثب الجميع عليَّ وأوثقوني وجرّوني وحبسوني في مغارة بيتي المظلمة الرطبة

بصحبة خادمي المربوط مثلي. ختاما، بعد ان قضمت وثاقي وقطعته بأسناني، استرجعت حريتي، وحالا أسرعت الى هذا المكان لائذاً بحمى سيادتك. فأستحلفك ايها الأمير الحكيم، ان تمنّ عليَّ بإنصافي وانقاذي من العار ومن العذاب اللذين لا يرضى بهما انسان.

انجلو : مولاي، في الحقيقة، أؤكد لك انه لم يتغدّ في بيته، وأنّ بابه قد أغلق في وجهه.

الدوق : لكن، هل استلم منك السلسلة المذكورة ام لا ؟

انجلو : استلمها، يا مولاي. وحين سارع الى هذا المكان منذ برهة، شاهد جميع الحاضرين تلك السلسلة حول عنقه.

التاجر (لأنطيفولوس) : علاوة على ذلك، انا مستعد ان اقسم يمينا اني سمعته بأذنيّ الاثنتين يعترف بأنك استلمت منه السلسلة، بعد ان اقسم على صحة عكس هذا في ساحة السوق. وعلى هذا الأساس، استللت سيفي في وجهك، فلجأت انتِ الى هذا المعبد الصغير الذي لم تتمكن من مغادرته، على ما أعتقد، الا بأعجوبة خارقة.

انطيفولوس أفسس : انا لم أدخل ابدا الى هذا المعبد، وأنت لم تستلّ السيف في وجهي مطلقاً. ولم أبصر السلسلة بتاتا، تشهد السماء على صدق قولي، وكل ما تتهمني به لا اساس له من الصحة.

الدوق : ما هذه الادعاءات الغامضة ؟ أظنكم جميعا زمرة من المنافقين الأفاكين. لو رأيتموه يدخل الى هنا لبقي في مكانه. ولو كان مخبولا لما دافع عن نفسه بهدوء أعصاب وصفاء ذهن كما فعل. (لأدريانا) انتِ تؤكدين انه تغدى في بيته، وهذا الصائغ ينفي ذلك. (لدروميون) وأنت ايها المحتال، ماذا تقول ؟

دروميون أفسس (يشير الى الغانية) : لقد تغدى مع هذه المرأة في نزل القنفذ.

الغانية : حقا، هذا ما جرى في الواقع. ولقد انتزع هذا الخاتم من اصبعي.

انطيفولوس أفسس : صحيح، يا مولاي، انا اخذت الخاتم منها.

الدوق : وهل رأيته يدخل المعبد ؟

الغانية : بكل تأكيد، يا مولاي، كما ابصر الآن سموّك.
الدوق : لا، حقا هذا في غاية الغرابة. استدعوا لي الكاهنة. أظنكم جميعا واهمين، او انكم جميعا من المعتوهين.

(يخرج احد الخدم)

اجايون : ايها الدوق القدير، اسمح لي بأن اقول كلمة. ها انا أرى صديقا لي قد ينقذ حياتي بدفع الفدية اللازمة لخلاصي.
الدوق : تكلم واشرح لنا غموض الموقف بإيجاز، ايها السرقوسي.
اجايون : ألا تدعى انطيفولوس، يا سيدي، وأنت دروميون خادمه ؟
دروميون أفسس : منذ ساعة كنت خادمه، يا سيدي، وأنا مكبَّل. لكنه قطع وثاقي بأسنانه، وأنا اشكره على ذلك. والآن انا لا ازال دروميون خادمه، بعد ان صرت حرا طليقا.
اجايون : انا على يقين بأنكما تتذكراني.
دروميون أفسس : انت، يا سيدي، تتذكرنا، لأننا كنا كلانا مقيدين. فهل تكون عرضا من زبانية بنش ؟
اجايون (لأنطيفولوس) : لماذا تنظر اليّ نظرك الى غريب ؟ أؤكد لك انك تعرفني جيدا.
انطيفولوس أفسس : انا، يا سيدي، لم ابصرك قط في حياتي قبل الآن.
اجايون : لا بد للحزن من ان يكون قد غيَّر ملامحي كثيرا. فمن حين رؤيتك سابقا الى الآن، لا بد لسنين طويلة من العذاب ان تكون قد خطَّت بيد الزمن الغدّار تجاعيد بدلت ملامح وجهي. لكن، مع ذلك، قل لي ألم تتعرف على صوتي ؟
انطيفولوس أفسس : كلا.
جايون : ولا انت، يا دروميون ؟
دروميون أفسس : والله، يا سيدي، انا ايضاً لا أتذكرك.
اجايون : انا على يقين بأنك تعرف صوتي.
دروميون أفسس : كلا، يا سيدي، انا ايضا واثق بأني لا أتذكره ابدا. وعندما ينفي شخص مثلي امرا، عليك انت بنوع خاص ان تصدّقه.

اجايون : أحقا لا تتذكر صوتي ؟ ما اعجبك ايها الزمان ! هل تغيّرت هيئتي خلال هذه السنين السبع الى درجة أن لا يتعرف ابني الوحيد حتى على صوتي انا والده ؟ وهل أضعفته الآلام وبحّته الأيام الى هذا الحد ؟ مهما جفّف الشتاء نسغ النبات، ومهما غطى معالم وجهي الذابل بياض الشيب كالثلج، وجمّد الدم في عروقي برد الشيخوخة، فان أصيل حياتي لا يزال فيه قليل من الذاكرة، ومصباح عمري المائل الى الانطفاء لا يزال فيه قبس من الاشعاع، وأذنيّ الضئيلتي السمع لا تزالان تلتقطان بعض النبرات، وجميع هذه الشواهد، وانا غير مخطىء حتما، تقول لي انك ابني انطيفولوس.

انطيفولوس أفسس : انا لم ابصر أبي في حياتي مطلقا.

اجايون : ولكن لم تمر سبع سنوات بعد، يا بني، على يوم فراقنا في سرقوسه، كما تعلم. ربما انت تستحي، يا ولدي، بأن تتعرف عليّ انا والدك في محنتي وبؤسي.

انطيفولوس أفسس : الدوق ومن يعرفونني في المدينة يؤكدون مثلي اني لست كما تظنني. فأنا لم أشاهد سرقوسه قط في حياتي.

الدوق : أؤكد لك ايها السرقوسي، اني منذ خمسة وعشرين عاما، وأنا سيد انطيفولوس، أعرف جيدا انه لم يشاهد سرقوسه. اعتقد أن العمر والحزن قد تركا اثرا سيئا على وعيك.

(تدخل الكاهنة ويتبعها انطيفولوس سرقوسه ودروميون)

الكاهنة : ايها الدوق الكريم، انت في حضرة رجل أسيئت معاملته بصورة مخزية.

(يلتفت الجميع الى انطيفولوس سرقوسه)

أدريانا : أأنا أرى زوجين، أم ان عيوني تخدعني ؟

الدوق : أحد هذين الرجلين هو حتما رديف الآخر. وهكذا هو حال هذين الاثنين ايضا. فمن هو الرجل الأصيل، ومن هو الرديف ؟ من ذا الذي يستطيع ان يميز بينهما ؟

دروميون سرقوسه : سيدي، انا دروميون الأصيل. فاطرد هذا الرجل.

دروميون أفسس : بل انا دروميون، يا سيدي. أرجوك ان تسمح لي بالبقاء.

انطيفولوس سرقوسه : أهذا انت، يا اجايون، ام طيفك ؟
دروميون سرقوسه : يا سيدي القديم، من أوثقك هكذا ؟
الكاهنة : ليس المهم من أوثقه، فأنا أحلّ رباطه وأربح زوجا بنجاته. تكلم يا اجايون العجوز. ألست انت زوج المرأة المدعوة إميليا التي انجبت لك توأمين وسيمين ؟ ان كنت انت اجايون بنفسه، تكلم، تكلم، وخاطب اميليا قرينتك الماثلة الآن امامك.
اجايون : ان لم اكن في حلم، فأنت اميليا بعينها. ألا قولي لي اين ذاك الابن الذي كان يطفو معك على الطوف المشؤوم فوق الامواج المتلاطمة ؟
الكاهنة : انا وهو، والتوأم دروميون، اسعفنا بعض اهالي ايبدمنوم واستضافونا عندهم بعض الوقت. لكن، فيما بعد، خطف صيادون عتاة من كورنثيا دروميون وولدي بالقوة، وتركوني في عهدة اهالي ايبدمنوم. فماذا حل بهما بعد ذلك يا ترى ؟ لست ادري. اما انا، فأنت ترى ما صرت اليه.
الدوق : ها هيذا قصة هذا الصباح قد اخذت تنجلي. هذان هما المدعوان انطيفولوس المتشابهان، والمدعوان دروميون المتشابهان ايضا. ثم فرّقهم حادث الغرق في البحر الذي تشير اليه. وأخير ها هما والدا هذين الابنين اللذين جمعتهما الصدفة بهما. يا انطيفولوس، أأنت القادم من كورنثيا ؟
انطيفولوس سرقوسه : كلا، يا مولاي، لست انا. لأني قادم من سرقوسه.
الدوق : انتظر اذاً حتى أميِّز احدكما عن الآخر. فأنا لا أرى فرقاً بينكما.
انطيفولوس أفسس : انا القادم من كورنثيا، يا مولاي الكريم.
دروميون أفسس : وأنا ايضا.
انطيفولوس أفسس : وقد جئت هذه المدينة بمعية المحارب الشهير الدوق مينافون عمك المبجَّل.
ادريانا : من منكما تغدى اليوم معي ؟
انطيفولوس سرقوسه : انا يا سيدتي اللطيفة.
ادريانا : أوَلست زوجي ؟
انطيفولوس أفسس : كلا، يا سيدتي. هنا لا مجال لأن أقول لكم نعم.
انطيفولوس سرقوسه : وأنا أقول عين الكلام، بالرغم من كونها دعتني زوجها،

وهذه الآنسة الجميلة اختها الحاضرة ها هنا، قد دعتني شقيقها. (للوسيانا) ان ما قلته لك حينذاك، آمل ان يتسنى لي تأكيده بالطبع، ان كان ما اراه وأسمعه ليس حلما.

انجلو (لأنطيفولوس سرقوسه) : ها هي السلسلة التي اخذتها مني، يا سيدي.

انطيفولوس سرقوسه : أعتقد بأنها هي، يا سيدي. وأنا لا انكرها.

انطيفولوس أفسس (لأنجلو) : وأنت، يا سيدي، لاجل هذه السلسلة قد طلبت اعتقالي.

انجلو : أعتقد بأن هذا ما جرى تماما، يا سيدي، وأنا لا انكره.

ادريانا (لأنطيفولوس أفسس) : لقد ارسلت لك الدنانير مع دروميون لأجل فديتك، يا سيدي، لكني أعتقد بأنه لم يسلمك اياها.

دروميون أفسس : كلا، ليس معي.

انطيفولوس سرقوسه (لأدريانا) : انا استلمت هذا الكيس من الدنانير، ودروميون خادمي هو الذي اعطاني اياه. ارى ان كلا منا التقى بخادم الآخر (يشير الى اخيه) وقد ظنّه الجميع اني انا هو. ومن هنا نجمت كل هذه الملابسات والاخطاء.

انطيفولوس أفسس : اني أدفع هذه الدنانير فدية عن والدي.

الدوق : لم يعد من حاجة الى ذلك. فأبوك اصبح حرا طليقا.

الغانية (لأنطيفولوس أفسس) : عليك اذاً ان ترد لي هذه الماسة، يا سيدي.

انطيفولوس أفسس : ها هي، خذيها، وأنا أشكرك على غدائك الفاخر.

الكاهنة : ايها الدوق الكريم، تفضل بالقدوم معنا الى داخل المعبد لسماع تفاصيل جميع مغامراتنا. وأنتم المجتمعون في هذا المكان، والمتضررون من اخطاء مضاعفة في هذا النهار، ارجوكم ان ترافقونا جميعكم، ونحن على اتم الاستعداد لمراضاتكم. ففي مدة خمسة وعشرين سنة قلقت على مصيركم، يا ولديّ الحبيبين ويا زوجي العزيز، ولم يرتح بالي من نحوكم الا في هذه الساعة، اذ زال عن صدري كابوس فقدكم الاليم. وأنت يا سيادة الدوق، ويا ذويّ، يا نور عينيَّ، وأنتم يا شهود مولد ابنيَّ، تعالوا كلكم الى التمتع بسماع

الاحاديث الشيقة التي نتوق جميعنا الى الوقوف على تفاصيلها تعالوا معي.

الدوق : أود من كل قلبي ان أشارككم فرحكم باجتماع شملكم.

(يخرج الدوق وحاشيته والكاهنة وأجايون والغانية والتاجر وأنجلو)

دروميون سرقوسه : أتسمح لي، يا سيدي، بأن اجلب لك امتعتك من السفينة ؟

انطيفولوس أفسس : تعني أمتعتي التي اخذتها الى متن السفينة، يا دروميون ؟

دروميون سرقوسه : أمتعتك التي كانت في نزل السنطور، يا سيدي.

انطيفولوس سرقوسه : هذا الكلام يجب توجيهه اليّ انا سيدك، يا دروميون. هيا تعال معنا. سنهتم بالامر حالاً. عانق اخاك الواقف بجانبك وابتهج بلقائه بعد طول الغياب.

(يخرج انطيفولوس أفسس مع انطيفولوس سرقوسه وادريانا ولوسيانا).

دروميون سرقوسه : في بيت سيدك، امرأة بدينة اوصتني اليوم اثناء الغداء بأن أهتم بك. فسأعتبرها من الآن وصاعدا اختي لا زوجتي.

دروميون أفسس : يخيَّل اليّ انك لست اخي بل المرآة التي أرى نفسي فيها شابا وسيما، فهل تريد ان تدخل لنستمع الى احاديثهم ؟

دروميون سرقوسه : تفضل اسبقني، يا سيدي، لأنك اكبر مني سنا.

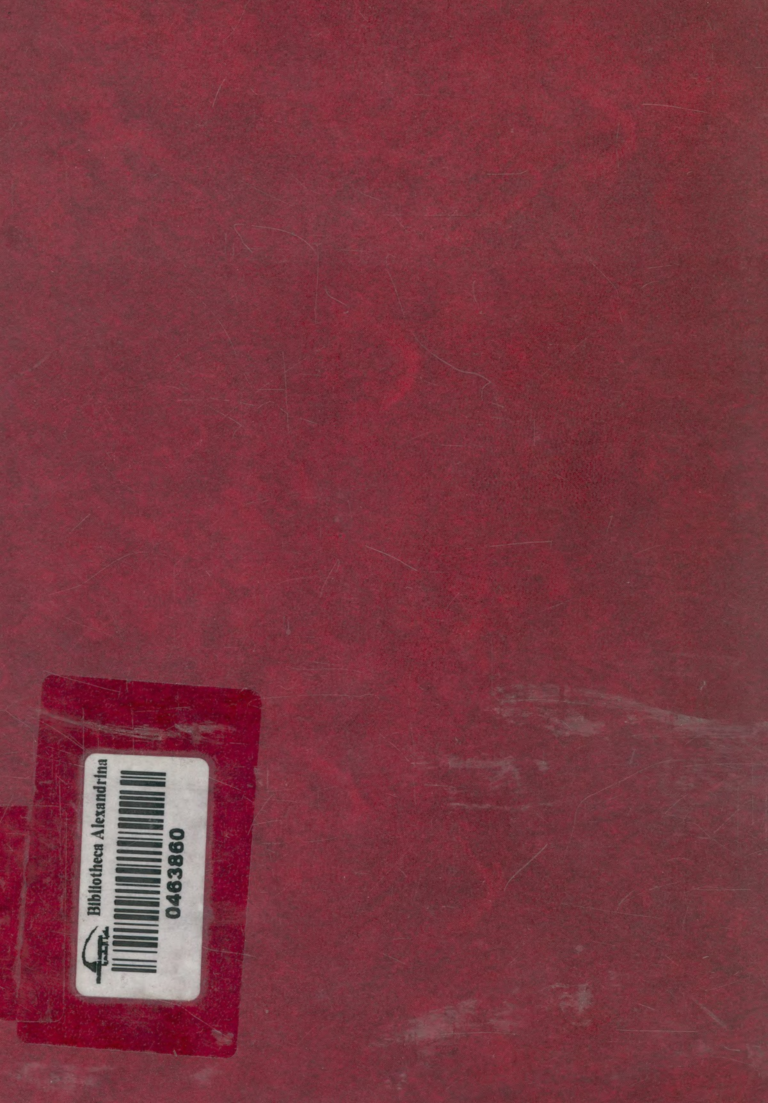
دروميون أفسس : هذه قضية لا أرى كيف يمكننا حلها.

دروميون سرقوسه : سنقترع لنرى من منا يكون المتقدم. لكني في هذه الساعة، ارجوك ان تدخل قبلي.

دروميون أفسس : كلا، لقد جئنا الى هذا العالم توأمين، وعلينا الآن ان نسير متأبطين كل منا ذراع الآخر، لا الواحد تلو الاخر.

(يخرجان)




Bibliotheca Alexandrina
0463860